

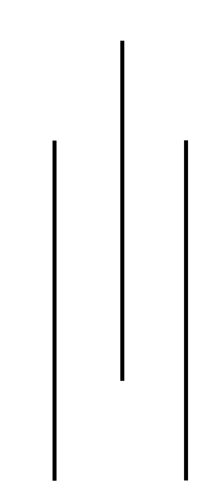
سلسلة سير الآل والأصحاب (١٧)



عرض لسيرة عمرو بن العاص رضي الله عنه ورد الشبهات المثارة حوله

وليد محمد سالم عبد الحق

مراجعة وتنقيح مركز البحوث والدراسات بالمبرة



بذل الإخلاص

في سيرة

عمرو بن العاص

رضي الله عنه

فهرسة مكتبة الكويت الوطنية أثناء النشر

٢٣٩,٨ عبد الحق، وليد محمد سالم

بذل الإخلاص في سيرة عمرو بن العاص رضي الله عنه/ وليد محمد سالم عبد الحق.

ط١. ــ الكويت: مبرة الآل والأصحاب، ٢٠١٣

٤٠٨ ص ؛ ٢٤ سم . (سيرة الآل والأصحاب ؛ ١٧)

ردمك: ٥ – ١٧ – ٦٤ – ٩٩٩٦٦ – ٩٧٨

١. عمرو بن العاص ٢. الصحابة والتابعون أ. العنوان

رقم الإيداع: ٢٣٤ / ٢٠١٣

ردمك : ٥ – ١٧ – ٦٤ – ٩٩٩٦٦ – ٩٧٨

الطبعة الأولى

١٤٣٥هـ/٢٠١٤م



هاتف: ٢٢٥٦٠٢٠٣ ـ ٢٢٥٥٢٣٤٠ فاكس: ٢٢٥٦٠٣٤٦

ص. ب: ١٢٤٢١ الشامية الرمز البريدي ٧١٦٥٥ الكويت

E ـ mail: almabarrh@gmail. com

www.almabarrah.net



فهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

** ** **




مقدمة المركز

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه أما بعد، فهذا هو كتاب (بذل الإخلاص) الذي يندرج ضمن السلسلة الرائدة (سير الآل والأصحاب) التي حملت المبرة على عاتقها بيانها للناس، وإيصالها لهم بأسلوب علمي رصين، يجمع بين سهولة الأسلوب، وجدية التناول، والتزام المنهج العلمي في البحث، مع لغة راقية بعيدة عن تبادل الاتهامات وأجواء الشحن الطائفي، يأتي هذا الكتاب في إطار سياسة المبرة في التعاون العلمي مع الكفاءات البحثية خارج المبرة بما يصب في هدفها السامي: تاريخ الآل والأصحاب، وتصفيته من الشوائب التي كدَّرته، من قبل المستشرقين ومن دار في فلكهم من أعداء الإسلام، فضلاً عن تقديم صورة صافية نقية تبرز صورتهم الحقيقية للناس، وتصحح كثيراً من الأخطاء والمفاهيم التي شاعت بين أبناء المسلمين عنهم.

ومن بين شخصيات الصحابة التي طالها كثير من الظلم والإجحاف شخصية الصحابي الجليل عمرو بن العاص رضي الله عنه، مما جعل من المناسب إفراده بمصنفٍ يبدِّد ظلامًا ويحقُّ حقيقة، فقد افتُريَ عليه كثير من الأقوال والمواقف والشبهات التي لا تثبت أمام النقد العلمي



والتاريخي الموضوعي، مع قلة المصنفات التي تناولت تلك القضايا بالدراسة والتحليل.

والحق أن شخصية عمرو بن العاص رضي الله عنه مثيرة للاهتمام والدراسة فهو ذلك الحكيم الكبير ـ المعروف ـ جاهلية وإسلاماً ـ بحكمته البالغة، ورجاحة عقله، وبُعْد نظره، ثم هو ذلك المؤمن الصادق مسلم القلب ـ كما شهد له النبي صلى الله عليه وآله وسلم ـ وهو ذلك القائد الباسل، المغوار الذي لا يشق له غبار، وهو الحاكم العادل، الذي فتح مصر ـ قلب الدنيا حينها ـ وحَكَمَها.

فإذا أضيف إلى ما سبق مشاركته في أحداث الفتنة بين الصحابة وبروز دوره فيها، مع بلوغ ذلك الدور ذروته في حادثة التحكيم المشهورة، فنحن أمام شخصية ثرية حافلة بالمناحي والزوايا، التي يجدر تحليلها ودراستها وفق منهج علمي منصف موضوعي، لا يغتر ببهرج التاريخ غير المحقق، ولا ينساق خلف الدعاوى العارية عن الدليل، ولا يهدر ـ في نفس الوقت ـ قيمة العقل، وقراءته للأحداث بعين التحليل والاستنباط.

لهذا كان ذلك الكتاب ـ بين يديك ـ الذي يتعرض للذب عن الصحابي الجليل (عمرو بن العاص رضي الله عنه) وبيان فضائله ومناقبه ومناقشة الشبهات المثارة حوله بأسلوب علمي دعوي هادئ، أفاد فيه الأخ الباحث/ **وليد محمد سالم عبد الحق** وأجاد، وبذل فيه جهداً طيباً يشكر



عليه، ثم كان دور إخوانه في مركز البحوث والدراسات بالمناقشة والمشاورة، وإكساب العمل صبغة أعمال المبرة بمنهجيتها العلمية والفكرية الفريدة الرائدة.

هذا، وفي الختام فإن مبرة الآل والأصحاب تجدد رؤيتها، واستعدادها للتعاون مع كل الباحثين وطلبة العلم الجادين بما يصب في خطها العلمي الدعوي في الدفاع عن الآل والأصحاب.

✍ **محمد سالم الخضر**

رئيس مركز البحوث والدراسات



شكر وتقدير

الحمد لله عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته، له الحمد كما ينبغي لكمال وجهه وعظيم سلطانه. أحمده على نعمه العظيمة وآلائه الجسيمة، وما بنا من نعمة فمن الله، ومن عد نعمة الله فلن يحصيها.

فلله الحمد والشكر على أن يسر لي كتابة هذا البحث، وأعانني على إتمامه، فله الحمد أولاً وآخراً؛ على توفيقه وتسديده، وأسأله سبحانه المزيد من فضله ونواله، وأن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم.

ومن منطلق الهدي النبوي والأدب المحمدي «لَا يَشْكُرُ اللهَ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ» ـ أخرجه أحمد في مسنده (١٣) رقم (٧٩٣٨) ـ أتوجه بالشكر لوالدَيَّ الكريمين اللذين لهما الفضل الكبير بعد الله عز وجل في طلبي للعلم وتحصيله والنظر فيه؛ فالله أسأل أن يحفظهما ويرعاهما ويقر عيني بهما في الدنيا والآخرة إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وأثنّي بالشكر لمركز البحوث والدراسات بمبرة الآل والأصحاب على مشاركته في عملي في هذا الكتاب، ابتداءً باقتراح فكرته، ثم الإشراف عليه، والتدقيق والمراجعة، والاستدراك على بعض مباحثه، وإبداء الملاحظات القيمة، حتى خرج على الوجه اللائق، والشكر



موصول لإدارة المبرة لاهتمامهم بالكتاب ولقيامهم بطبعه ونشره.

كما أتوجه بالشكر لكل من علمني أو أرشدني أو نبهني على خطأ.

وأخيراً هذا جهد المقل؛ فإن أصبت فمن الله، وإن أخطأت فمني ومن الشيطان، وأبى الله الكمال إلا لكتابه العزيز قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ لَمَّا جَآءَهُمۡۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ﴿٤١﴾ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ﴾. [فصلت ٤١ ـ ٤٢].

وليد محمد سالم عبد الحق

١/١/١٤٣٥هـ

بدولة الكويت حرسها الله




بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة الكتاب

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبًا﴾[2].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾[3].

(١) سورة آل عمران الآية (١٠٢).

(٢) سورة النساء الآية (١).

(٣) سورة الأحزاب الآية (٧٠ ـ ٧١).



أما بعد:

فإن من الضروريات الخمس التي يجب على المسلم حفظها الدين الإسلامي، فسعادة المرء في الدنيا والآخرة بدينه، وبقدر ما يحافظ المرء على دينه بقدر ما يحصل له من العزة والكرامة.

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول ﷺ «وَجُعِلَ الذُّلُّ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي»[1].

بل شرف الأمة بشرف دينها، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «إنا كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام فمهما نطلب العز بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله»[2]. فلكي تبقى لنا كرامتنا وعزتنا وتبلغ أمتنا الإسلامية قمة مجدها وشرفها وسؤددها؛ كان لزاماً على كل مسلم أن يحافظ على دينه وأن يصون مبادئه، والحفاظ على الدين يكون بتطبيقه، وتخليصه مما ليس منه، وبالتصدي لكل ما يقدح فيه، أو ينقص منه.

وإن مما يقدح في الدين؛ القدح في أصحاب رسول الله ﷺ، إذ هم الواسطة بيننا وبين نبينا ﷺ، فهم نقلة دينه وحملة أمانته، وعليهم المُعَوَّل في فهمه ودراية أحكامه، فلهم الفضل الأعظم على من جاء

---

(١) أخرجه أحمد (٩) رقم (٥٦٦٧)، والبخاري تعليقاً: كتاب: الجهاد، باب: الرماح (١٠٦٦/٣)، وأصله في سنن أبي داود (٤٠٣١)، وحسنه الألباني في الإرواء (١٠٩/٥).

(٢) أخرجه الحاكم (١٣٠/١) وقال صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في الصحيحة (٥٠/١).



بعدهم من الأمة؛ ولذلك وجب شكرهم بالوفاء لجهودهم، والدفاع عن أعراضهم بشتى الوسائل والطرق، ومن أهم هذه الوسائل الكتابة، فالكتابة في هذا المجال ذات أهمية عظيمة؛ إذ هي تتعلق بأساسيات الدين القويم، فلذا أحببت أن تكون لي مشاركة في هذا الباب أدلو فيه بدلوي، باذلاً فيه جهدي؛ لعلي أبلغ بحبي لأولئك الأخيار بعض ما قصدت من الدفاع عنهم في بحث متواضع تدور مسائله حول الصحابي الجليل عمرو بن العاص رضي الله عنه، ووسمته بـ(**بذل الإخلاص في سيرة عمرو ابن العاص رضي الله عنه**).

وقد تناولت فيه: ـ بعد التمهيد ـ ترجمته، وسيرته، والشبه المثارة حوله مقرونة بالرد عليها وتفنيدها، وبيان فسادها على أصول البحث العلمي المتجرد، سالكاً في ذلك المنهج الاستقرائي التحليلي المعروف راجياً من الله أن يجعله لوجهه خالصاً، وللذنوب ممحصاً، ومن عذابه وغضبه مخلصاً، وأن ينفع به كاتبه، وقارئه، والناظر فيه إنه ولي ذلك والقادر عليه.

۞ أسباب اختيار الموضوع:

ثمة أسباب عدة دفعتني لدراسة هذا الموضوع، ومن ذلك:

* **أولاً**: أني لم أطلع على دراسة لهذا الموضوع أثناء كتابتي لهذا البحث.

* **ثانياً**: ما رأيته من روايات ضعيفة؛ شوهت صورة ذلك العَلَم



الكبير، وتلك الشخصية التاريخية الفذة وذلك بالنيل من ديانته، وسيرته، وحسن رأيه، مع أنه كان موضع ثقة رسول الله ﷺ؛ إذ هو أحد عُمَّاله وأمرائه، ويكفيه فخراً وشرفاً أنّه صاحب تلك الشهادة الرفيعة الصادرة من المدرسة النبوية على صاحبها أفضل صلاة وسلام وتحية: «أَسْلَمَ النَّاسُ وَآمَنَ عَمْرُو بْنُ العَاصِ» ـ كما سيأتي في ثنايا البحث ـ فكان مما يجدر بي دراسة هذه الروايات لتظهر لنا شخصيته الحقيقية، وليزول ما علق في أذهان البعض من نظرة سيئة تجاهه؛ نتيجة تلك الروايات الضعيفة.

* **ثالثاً**: أن دراسة هذا الموضوع الذي يعتبر أصلاً أصيلاً من أصول الدين، وباباً عظيماً من أبوابه، لها أهمية عظيمة؛ إذ الصحابة هم حملة هذا الدين إلينا، والطعن فيهم طعنٌ في الدين، بل طعنٌ في من اصطفاهم لرسوله ﷺ ـ ننزه الله عن ذلك ـ، ودراسة هذه الروايات وبيان زيفها تمنع الوقيعة في صحابة رسول الله ﷺ لمن كان مستنده تلك الروايات.

* **رابعاً**: أن الذب عن المسلمين كما هو معلوم من أجلِّ القربات، وأعظم الطاعات كما في حديث أسماء بنت يزيد رضي الله عنها مرفوعاً «مَنْ ذَبَّ عَنْ لَحْمِ أَخِيهِ بِالْغِيبَةِ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يُعْتِقَهُ مِنَ النَّارِ»[1]. فكيف الشأن بمن يذب عن أصحاب محمد ﷺ ويدافع عن أعراضهم!.

---

(١) أخرجه أحمد (٤٥) رقم (٢٧٥٣٦) واللفظ له، والطبراني (١٧٦/٢٤)، وصححه الألباني في غاية المرام (ص/٢٤٦).



۞ الدراسات السابقة:

لقد اعتنى علماء الإسلام في القديم والحديث عناية كبيرة بالكتابة في شأن الصحابة من حيث ذكر فضائلهم، وواجبنا نحوهم، وذكر تراجمهم، وهذه الكتب منها ما هو مختص ومستقل بهم، ومنها ما هو مضمن في كتب ضمن مواضيع أخرى، وهذه المصنفات المستقلة منها ما هو في عموم الصحابة ككتاب فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل المتوفى سنة (٢٤١هـ)، وكتاب فضائل الصحابة للنسائي المتوفى سنة (٣٠٣هـ)، ومنها ما هو خاص ببعض الصحابة ككتاب فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه للعشاري المتوفى سنة (٤٥١هـ)، وكتاب مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه لابن المغازلي المتوفى سنة (٤٨٣ هـ).

ولست الآن في صدد ذكر الكتب التي صنفت في الصحابة عموماً، بل أريد ما كتب في الصحابي الجليل عمرو بن العاص رضي الله عنه على وجه الخصوص، وبالأخص المؤلفات التي تناولت دراسة الروايات التي شوهت تاريخ وشخصية هذا الصحابي الجليل.

ولقد وجدت عدة كتب تناولت تاريخه في الجاهلية والإسلام منها كتاب:

١ ـ عمرو بن العاص رضي الله عنه لعباس محمود العقاد:

ذكر في كتابه نشأة عمرو والتعريف به منذ مزاولته للتجارة قبل الإسلام إلى إمارته الثانية على مصر في زمن معاوية، فهو يحلل الآثار



الواردة في أخبار عمرو؛ ليصل إلى معرفة طبيعة عمرو ونفسيته ثم يربط الوقائع والأحداث بتلك الطبيعة والنفسية، وقد أبدع في جانب التحليل، وتيقن إلى ما وصل إليه فتجده ربما يؤكد وقوع الحدث لمطابقته لطبيعته وإن ضعفه المؤرخون.

٢ ـ تاريخ عمرو بن العاص، د. حسن إبراهيم:

وهي رسالة تقدم بها إلى الجامعة المصرية كلية الآداب ونوقش فيها وفي غيرها من المسائل ـ سنة ١٩٢١ م ـ وحصل بها على درجة الدكتوراة في الآداب، واحتوى الكتاب على تاريخ عمرو من الولادة إلى الوفاة، وركز في كتابه على تحليل شخصية عمرو حيث يقول ص٢٨٤: وقد امتاز عمرو بين قومه بمزايا عديدة ظهر أثرها في أعماله ظهوراً بيناً، وتجلت صورتها للناس كلما ذكر اسمه، فكانت ذات أثر كبير في أحوال الأمة الإسلامية: الدينية والسياسية والحربية والاجتماعية.

وبتحليل نفس عمرو يعرف المرء الصلة بين مواهبه وبين هذه الأحوال، تلك النفس التي حللناها فيما مررنا به من استقصاء أخباره وتتبع آثاره وذكر أقواله المأثورة وحكمه التالدة.

وامتاز كتابه بترجيح الخلاف الواقع بين المؤرخين؛ حيث يذكر الروايات المختلفة ويقارن بينها ثم يرجح بحسب ما تم التوصل إليه.

٣ ـ القائد المسلم والسفير الأمين للواء الركن محمود شيت خطاب:



اهتم في كتابه بالمجال العسكري وهو جانب عظيم ولا غرو فهو اللواء الركن.

٤ ـ عمرو بن العاص القائد والسياسي، د. عبد الرحيم علي:

اهتم بجانب عمرو القيادي والسياسي، بل هو الدافع له لكتابة هذا الكتاب، كما نص عليه في المقدمة، فتجده يذكر الروايات ويحلل ويستنتج منها شخصية عمرو.

٥ ـ حياة عمرو بن العاص لمحمود شلبي:

أسلوب قصصي جميل، ذكر مناقبه وحروبه والفتوحات التي شارك فيها، وما حصل له من الولايات، ثم انضمامه إلى صف معاوية حينما حصل الخلاف بينه وبين وعلي رضي الله عنهم، وختم بوفاته.

٦ ـ مشاهير العرب (عمرو بن العاص فاتح مصر)، لعبد السلام العشري:

أسلوب قصصي جميل، بدأ كتابه بحلف الفضول ثم إرساله للحبشة من قبل قريش؛ لمقابلة النجاشي ليرجع إليه من هاجر إليه من المسلمين، وبعدها إسلامه، وأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم جعله على سرية ذات السلاسل وأرسله إلى ملك البحرين ليعرض عليه الإسلام، وذكر بعدها فتوحات الشام وفتح مصر في عهد أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ثم انضمامه إلى صف معاوية حينما حصل الخلاف بينه وبين وعلي رضي الله عنهم، وختم بوفاته.

وجميع الكتب المتقدمة جميلة ومفيدة، وكما يقال: لا يخلو كتاب



من فائدة، لكن لعدم الاعتناء بصحة الرواية في بعض ما تقدم، ولعدم التدقيق في البعض الآخر، اشتملت هذه الكتب على بعض الروايات التي فيها لمز لهذا الصحابي الجليل، أو وصْفه بأشياء لا تتناسب مع مجتمعات الصحابة[1].

وينبغي لمن أراد أن يدرس شخصية صحابي من خلال ذكر الروايات؛ أن يحلل تلك الروايات بما يتناسب مع مجتمعهم لا بواقعنا ومجتمعنا.

وأفضل من رأيته اعتنى في كتابة تاريخ هذا الصحابي الجليل بذكر الرواية الصحيحة، والتنبيه على الرواية الضعيفة التي شوهت تاريخه هو كتاب:

٧ ـ عمرو بن العاص الأمير المجاهد للدكتور منير محمد الغضبان:

إلا أن موضوع الكتاب لا يتناسب معه جمع الروايات الضعيفة ودراستها لأن هدف صاحب الكتاب هو عرض الصورة التاريخية الصحيحة لهذا الصحابي الجليل، ولم أرى أثناء كتابتي لهذا البحث من تناول الجزئية التي أردتها وهي دراسة هذه الروايات الضعيفة دراسة تحليلية إلا بعد انتهائي من كتابة هذا البحث، فقد أوقفت على كتاب **درء الانتقاص عن عمرو بن العاص** لمحمد كمال[2]، وهو كتاب مفيد،

---

(١) كوصفه بأنه كان يحرض على عثمان، وأنه انضم مع معاوية لأجل الدنيا، وأنه خادع في التحكيم، وأن أبا موسى كان مغفلاً وسيأتي إبطال هذا الزعم في الفصل الثاني.

(٢) ولقد أفدت منه في ثلاثة مواضع وعزوتها إليه.



إلا أنَّ بحثي أوسع من حيث إيراد الشبه والرد عليها، كما أني جعلت ـ قبل إيراد الشبه والرد عليها ـ تمهيداً ذكرت فيه مكانة الصحابة في الإسلام، ولمحة سريعة عن أصول عقيدة المسلم فيهم، وذكرت الفتنة التي وقعت في عهد الصحابة، وموقف المسلم منها، ثم ذكرت في الفصل الأول ترجمة مختصرة لعمرو بن العاص ﵁؛ لأظهر فيها شخصيته الحقيقية ولتكون مع التمهيد للقارئ؛ تأصيلاً لدحر الشبه من حيث الجملة، قبل الدخول للفصل الثاني (حيث الرد على الشبه المثارة حوله بالتفصيل).

۞ وقد سلكت في هذا البحث النهج الآتي:

١ ـ ذكر ترجمة مختصرة للصحابي الجليل مدار البحث، موثقة من المصادر المعتمدة.

٢ ـ ذكر الشبهات المثارة حول الصحابي عمرو بن العاص ﵁ وتوثيقها ـ غالباً ـ والرد عليها.

٣ ـ نقض هذه الشبهات من خلال المنهج الآتي:

أ ـ دراسة سند الرواية والحكم عليه صحةً وضعفاً، مع توثيق ذلك بكلام الأئمة.

ب ـ النظر في متن الرواية (من حيث الصحة وعدمها)، من خلال وجوه النقد الآتية:

١ ـ دلالة بعض ألفاظ المتن على بطلانه.



٢ ـ النقد التاريخي.

٣ ـ المقارنة بين بعض الروايات، وإظهار التناقض بينها ـ إن وجد ـ مما يؤدي إلى إسقاطها.

د ـ توجيه الرواية في حالة صحة سندها أو على افتراض صحة السند إن أمكن.

٤ ـ بيان موقف المسلم من الخطأ الصادر من الصحابي على افتراض صحة الرواية.

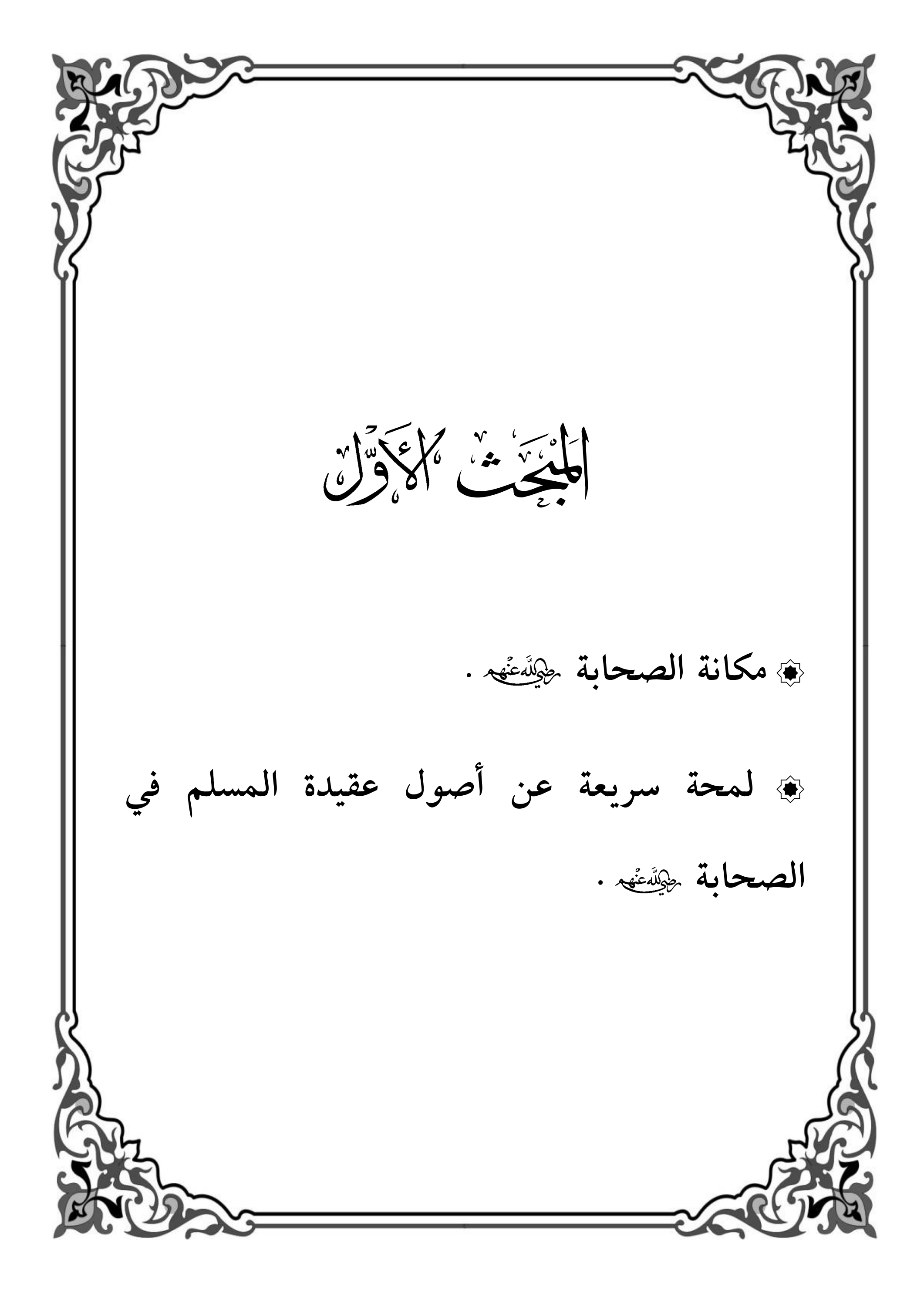
** ** **



التمهيد

۞ المبحث الأول: مكانة الصحابة في الإسلام، ولمحة سريعة عن أصول عقيدة المسلم فيهم.

۞ المبحث الثاني: الفتنة التي وقعت بين الصحابة.



المَبْحَثُ الأَوَّلُ

۞ **مكانة الصحابة** رضي الله عنهم .

۞ **لمحة سريعة عن أصول عقيدة المسلم في الصحابة** رضي الله عنهم .




مكانة الصحابة رضي الله عنهم

إن الله سبحانه وتعالى اصطفى لهداية الأنام رسله الطيبين الطاهرين الكرام؛ ليكونوا على خير هدى ووئام، وختمهم بحبيبه وخليله سيد الأنام عليه الصلاة والسلام، فنصره وأيده فله الفضل والإنعام، واصطفى له خير الناس من بعده لصحبته فآمنوا به وأيدوه ونصروه على الدوام.

قال تعالى: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[1] ذكر الطبري بسنده إلى ابن عباس رضي الله عنه، والثوري في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓ﴾[2].

بأن المراد به: أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

قال الطبري: «اجتباهم لنبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فجعلهم أصحابه ووزراءه على الدِّين الذي بعثه بالدعاء إليه دون المشركين به، الجاحدين نبوّة نبيه»[3].

---

(١) سورة الأنفال الآية (٦٢).

(٢) سورة النمل من الآية (٥٩).

(٣) تفسير الطبري (٤٨٢/١٩)، وتفسير ابن أبي حاتم (٢٩٠٦/٩).

فكانوا الرعيل الأول، الذين حازوا قصب السبق في الدين، ونالوا شرف الصحبة الذي لا يعادله شرف.

وقال عبد الله بن مسعود ﷺ: «إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه فابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون على دينه، فما رأى المسلمون حسناً فهو عند الله حسن، وما رأوا سيئاً فهو عند الله سيئ»(١).

وقال ابن مسعود ﷺ: «من كان منكم متأسياً فليتأسّ بأصحاب محمد ﷺ فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، وأقومها هدياً، وأحسنها حالاً، قوماً اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم»(٢).

وللصحابة مكانة عظيمة في الإسلام بينها الله في كتابه وبينها الرسول ﷺ لأمته؛ ليعرفوا لهم قدرهم وليتأسوا بهم، وقد أثنى الله سبحانه عليهم بما لم يثنه على أمة من الأمم سواهم في آيات كثيرة منها

(١) أخرجه أحمد رقم (٣٦٠٠) واللفظ له، والبزار (٢١٢/٥)، والطيالسي في مسنده (١٩٩/١) وغيرهم. وصحح إسناده الحاكم في المستدرك (٨٣/٣) ووافقه الذهبي، وحسنه السخاوي في المقاصد الحسنة (ص/٤٣١)، والألباني في الضعيفة (١٧/٢).

(٢) أخرجه أحمد (٣٦٠٠) بإسناد حسن كما قال الأرناؤوط أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣٠٥/١ ـ ٣٠٦)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم (٩٧/٢ ـ ٩٨) واللفظ له.

قوله تعالى: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلۡعُسۡرَةِ مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾(١).

وقوله تعالى: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾(٢).

ومنها قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾(٣).

ومنها قوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا﴾(٤).

وقوله تعالى: ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ

(١) سورة التوبة الآية (١١٧).

(٢) سورة آل عمران الآية (١١٠).

(٣) سورة التوبة الآية (١٠٠).

(٤) سورة الفتح الآية (٢٩).



وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾[2].

في هذه الآية بشارة لجميع الصحابة المتقدمين السابقين، والمتأخرين اللاحقين، وإن كانوا متفاوتين في الدرجات والفضائل بما منحهم الله من المواهب والوسائل؛ إلا أن الكل شملتهم الصحبة والعدالة والثناء عليهم والوعد بالجنة[3].

وأما بيانه صلى الله عليه وآله وسلم لذلك ففي أحاديث كثيرة منها ما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وآله وسلم: «لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلاَ نَصِيفَهُ»[4].

---

(١) سورة الحشر الآية (٨ ـ ٩).

(٢) سورة الحديد الآية (١٠).

(٣) تفسير القرطبي (٣/٢٦٤)، (١٧/٢٤٢) بتصرف.

(٤) أخرجه البخاري: كتاب المناقب، باب: باب قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «لو كنت متخذاً=



وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَغْزُو فِئَامٌ[1] مِنَ النَّاسِ، فَيُقَالُ لَهُمْ: فِيكُمْ مَنْ رَأَى رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ، ثُمَّ يَغْزُو فِئَامٌ مِنَ النَّاسِ، فَيُقَالُ لَهُمْ: فِيكُمْ مَنْ رَأَى مَنْ صَحِبَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ. فَيُفْتَحُ لَهُمْ، ثُمَّ يَغْزُو فِئَامٌ مِنَ النَّاسِ فَيُقَالُ لَهُمْ: هَلْ فِيكُمْ مَنْ رَأَى مَنْ صَحِبَ مَنْ صَحِبَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ فَيُفْتَحُ لَهُمْ»[2].

وعن أبي بردة عن أبيه قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ فَإِذَا ذَهَبَتْ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءَ مَا تُوعَدُ، وَأَنَا أَمَنَةٌ لِأَصْحَابِي فَإِذَا ذَهَبْتُ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ، وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ»[3].

= خليلاً» (٣) رقم (٣٤٧٠)، ومسلم: كتاب: فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب: تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم (٤) رقم (٢٥٤٠) واللفظ له.

(١) أي جماعة. شرح مسلم للنووي (١٦/٨٣).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب: من استعان بالضعفاء والصالحين في الحرب (٣) رقم (٣٣٩٩)، ومسلم: كتاب: فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب: فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم (٤) رقم (٢٥٣٢) واللفظ له.

(٣) أخرجه مسلم: كتاب: فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب: بيان أن بقاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمان لأصحابه، وبقاء أصحابه أمان للأمة (٤) رقم (٢٥٣١).
قال القرطبي الأمنة: الأمن، ومنه قوله تعالى: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ﴾؛ أي: أمنًا. وفي بذلك: أن الله تعالى رفع عن أصحابه الفتن، والمحن، والعذاب مدة كونه فيهم، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾، فلما تولي رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ جاءت الفتن، وعظمت المحن، وظهر الكفر والنفاق، وكثر الخلاف والشقاق،=

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ أَقْوَامٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ»[(١)].

وعن ابن عمر ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «مَنْ سَبَّ أَصْحَابِي فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»[(٢)].

قال ابن القيم: «قال الشافعي: وقد أثنى الله على الصحابة في التوراة والإنجيل والقرآن وسبق لهم على لسان نبيهم ﷺ من الفضل ما ليس لأحد بعدهم».

= فلولا تدارك الله هذا الدين بثاني اثنين لصار أثراً بعد عين، وهذا الذي وعدوا به.
وقوله: «النجوم أمنة للسماء»؛ أي: ما دامت النجوم فيها لم تتغير بالانشقاق، ولا بالانفطار، فإذا انتثرت نجومها، وكورت شمسها، جاءها ذلك، وهو الذي وعدت به.
وقوله: «وأصحابي أمنة لأمتي»؛ يعني: أن أصحابه ما داموا موجودين كان الدِّين قائماً، والحق ظاهراً، والنصر على الأعداء حاصلاً، ولما ذهب أصحابه لأمته غلبت الأهواء، وأديلت الأعداء، ولا يزال أمر الدِّين متناقصاً، وجده ناكصاً إلى أن لا يبقى على ظهر الأرض أحد يقول: الله، الله.
وهو الذي وعدت به أمته، والله تعالى أعلم. المفهم لما أشكل من صحيح مسلم للقرطبي (٦/٤٨٥).

(١) أخرجه البخاري: كتاب المناقب، باب: لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد (٣) رقم (٢٦٥٢) واللفظ له، ومسلم: كتاب: فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم (٤) رقم (٢٥٣٤).

(٢) أخرجه البزار من حديث ابن عمر (١٢) رقم (٥٧٥٣)، والطبراني (١٢) رقم (١٢٧٠٩) واللفظ له، وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم (١١٢٣٠).



وقال ابن القاسم: سمعت مالكاً يقول: «لما دخل أصحاب رسول الله ﷺ الشام نظر إليهم رجل من أهل الكتاب، فقال: ما كان أصحاب عيسى ابن مريم الذين قطعوا بالمناشير وصلبوا على الخشب بأشد اجتهاداً من هؤلاء، وقد شهد لهم الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى بأنهم خير القرون على الإطلاق، كما شهد لهم ربهم تبارك وتعالى بأنهم خير الأمم على الإطلاق»(١).

كيف لا يكونوا خير الأمم ومعلمهم ومؤدبهم أفضل الخلق وسيد ولد آدم محمد صلوات ربي وسلامه عليه، تعلموا منه الأدب والعلم والعمل والتضحية لأجل الدين، وتفرقوا بعد موته في الأمصار؛ ليبلغوا دين الله، وليفقهوا الناس في دينهم.

قال ابن القيم: «والعلم إنما انتشر في الآفاق عن أصحاب رسول الله ﷺ فهم الذين فتحوا البلاد بالجهاد والقلوب بالعلم والقرآن فملئوا الدنيا خيراً وعلماً والناس اليوم في بقايا آثار علمهم.

قال الشافعي في رسالته وقد ذكر الصحابة فعظمهم وأثنى عليهم ثم قال: وهم فوقنا في كل علم واجتهاد وورع وعقل وأمر اُسْتُدْرِكَ به علم واُسْتُنْبِطَ به وآراؤهم لنا أحمد وأولى بنا من آرائنا، ومن أدركنا ممن أدركنا ممن نرضى أو حكي لنا عنه ببلدنا صاروا فيما لم يعلموا فيه سنة إلى قولهم؛ إن اجتمعوا، أو قول بعضهم إن تفرقوا، وكذلك

(١) هداية الحيارى لابن القيم بتصرف (ص/٢٤٣)، وما بين القوسين من مقدمة ابن الصلاح (١٧١/١)، وإعلام الموقعين لابن القيم (٨٠/١).

نقول ولم نخرج من أقاويلهم كلهم... وعلماؤهم وتلاميذهم هم الذين ملئوا الأرض علماً. فعلماء الإسلام كلهم تلاميذهم وتلاميذ تلاميذهم، وهلم جرا، وهؤلاء الأئمة الأربعة الذين طبق علمهم الأرض شرقاً وغرباً هم تلاميذ تلاميذهم، وخيار ما عندهم ما كان عن الصحابة، وخيار الفقه ما كان عنهم، وأصح التفسير ما أخذ عنهم. وأما كلامهم في باب معرفة الله وأسمائه وصفاته وأفعاله وقضائه وقدره ففي أعلى المراتب فمن وقف عليه وعرف ما قالته الأنبياء عرف أنه مشتق منه مترجم عنه، وكل علم نافع في الأمة فهو مستنبط من كلامهم ومأخوذ عنهم... وهذه تآليف أئمة الإسلام التي لا يحصيها إلا الله، وكلهم من أولهم إلى آخرهم يقر للصحابة بالعلم والفضل، ويعترف بأن علمه بالنسبة إلى علومهم كعلومهم بالنسبة إلى علم نبيهم»(١).

قال عطاء بن أبي رباح: «ما رأيت مجلساً قط أكرم من مجلس ابن عباس رضي الله عنهما، أكثر فقهاً ولا أعظم جفنة، أصحاب القرآن عنده يسألونه، وأصحاب العربية عنده يسألونه، وأصحاب الشعر عنده يسألونه، فكلهم يصدر في رأي واسع»(٢).

وعن نافع قال: «كان عبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس يجلسان للناس عند قدوم الحاج. قال: كنت أجلس إلى هذا يوماً، وإلى

---

(١) المصدر نفسه بتصرف (ص/٢٤٣ ـ ٢٤٥).

(٢) أخرجه ابن المبارك في الزهد (١/٤١٤) واللفظ له، والفاكهي في أخبار مكة (٤/٢٨٥)، والآجري في الشريعة (٥) رقم (١٧٥٤) وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٣/١٧٠٣).



هذا يوماً، فكان ابن عباس يجيب ويفتي في كل ما يسأل عنه، وكان ابن عمر يرد أكثر مما يفتي»[1].

وقال مالك: «قد أقام ابن عمر بعد النبي ﷺ ستين سنة يفتي الناس في الموسم وغير ذلك وكان من أئمة الدين»[2].

قال وكيع عن هشام بن عروة قال: «رأيت لجابر بن عبد الله حلقة في المسجد ـ يعني المسجد النبوي ـ يؤخذ عنه»[3].

فالصحابة خير جيل أنجبته الرسالات السماوية، فهم مصابيح الهدى في كل عصر، وقدوة الشعوب في كل جيل، وأئمة الناس في كل ما يصلح شؤونهم من دين ودنيا، وعلم وحكمة، وأدب وفضيلة، وبذل وفداء، كانوا ليوث غابة وغيوث سحابة، لا يريدون من الدنيا إلا مقدار ما يبلغهم الآخرة؛ لذا لم يرغبوا فيها، فكتبت لهم السعادة، ولم يتظاهروا بأعمالهم فخلَّدها لهم التاريخ، ولم يلتفتوا إلى بقاء ذِكْرِهِمْ فحفِظَه لهم الخلف. إن سيرهم لتقرع الأسماع، وتجتذب الأنظار، وتحرك أوتار القلوب، وتستثير الألسنة الصامتة، وتحرك القلوب

(١) أخرجه البيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى (ص/١٥١)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (١٦٧/٣١).

(٢) أخرجه الفسوي في المعرفة والتاريخ (٢٦٤/١)، والبيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى (١٥٢)، والبغدادي في تاريخ بغداد (١٧٢/١)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (١٦٤/٣١).

(٣) أخرجه البيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى (ص/٥٨)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٣٣/١١).



الراقدة، نسرد أحاديثهم لنستلهم منها الدروس والعبر. إن كل موقف وحدث يصوغ فن الموعظة، وصنوف الحكم، بل لايزال أثره جديداً كلما عاود القلب النابض تأمُّلَه[1].

روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال ـ موضحاً دور الصحابة رضي الله عنهم، وجهادهم في نشر الإسلام وإرساء دعائمه ـ: «إن الله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه خص نبيه محمداً صلى الله عليه وآله وسلم بصحبة آثروه على الأنفس والأموال وبذلوا النفوس دونه في كل حال ووصفهم في كتابه فقال: ﴿رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ﴾. فقاموا بمعالم الدين وناصحوا الاجتهاد للمسلمين حتى تهذبت طرقه وأسبابه، وظهرت آلاء الله واستقر دينه، ووضحت أعلامه وأذل الله بهم الشرك وأزال رؤوسه ومحا دعائمه وصارت كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى، فصلوات الله ورحمته وبركاته على تلك النفوس الزاكية والأرواح الطاهرة العالية، فقد كانوا في الحياة أولياء وكانوا بعد الموت أحياء وكانوا لعباد الله نصحاء رحلوا إلى الآخرة قبل أن يصلوا إليها وخرجوا من الدنيا وهم بَعْدُ فيها»[2].

فإذا كان ابن عباس رضي الله عنهما وهو من هو بين الصحابة رضي الله عنهم ينظر إليهم بعين الإجلال هذه، ويحتفظ لهم في قلبه بهذه المنزلة الرفيعة، فما أحرانا نحن بأن نحترمهم ونتولاهم ونتقرب إلى الله بحبهم[3].

---

(١) نفحات من منبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، عبد الباري الثبيتي (١/٣٤٩ ـ ٣٥٠) بتصرف يسير.

(٢) مروج الذهب للمسعودي (١/٣٧١).

(٣) الصحابة ومكانتهم عند المسلمين، لمحمود عيدان (ص/٢٨).

وها هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه يذكر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مقارناً بينهم وبين من خذله فيقول: «لقد رأيت أصحاب محمدٍ صلى الله عليه وآله وسلم فما أرى أحداً يشبههم منكم! لقد كانوا يصبحون شعثاً غبراً وقد باتوا سجداً وقياماً يراوحون بين جباههم وخدودهم ويقفون على مثل الجمر من ذكر معادهم، كأن بين أعينهم ركب المعزى من طول سجودهم. إذا ذكر الله هملت أعينهم حتى تبل جيوبهم، ومادوا كما يميد الشجر يوم الريح العاصف خوفاً من العقاب ورجاء الثواب»[١].

ويقول أيضاً في حقهم آسفاً على ذهابهم: «أين القوم الذين دعوا إلى الإسلام فقبلوه، وقرءوا القرآن فأحكموه، وهيجوا إلى الجهاد فولهوا وله اللقاح[٢] إلى أولادها، وسلبوا السيوف أغمادها، وأخذوا بأطراف الأرض زحفاً زحفاً وصفاً صفاً، بعض هلك وبعض نجا، لا يبشرون بالأحياء ولا يُعزون عن الموتى، مُرْهُ[٣] العيون من البكاء، خمص البطون من الصيام، ذبل الشفاه من الدعاء، صفر الألوان من

(١) نهج البلاغة (١/١٨٩)، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (٧/٧٧).

(٢) الوَلَهُ: الحزن وقيل: هو ذهاب العقل والتحير من شدّة الوجد أَو الحزن أَو الخوف.

واللِقاحُ بالكسر: الإبلُ بأعيانها، الواحدة لَقوحٌ، وهي الحلوب. قال أبو عمرو: إذا نُتِجَتْ فهي لَقوحُ شهرين أو ثلاثةً، ثم هي لَبونٌ بعد ذلك. والمعنى أنهم اشتد وجدهم واشتياقهم للجهاد كاشتداد وجد الناقة على ولدها.

انظر الصحاح في اللغة للجوهري (١/٤٠١)، ولسان العرب لابن منظور (١٣/٥٦١).

(٣) قال الأزهري: المَرَه، والمُرْهَةُ: بياضٌ تَكرَهُه عَينُ النَّاظر، وعينٌ مَرْهاءُ إِذا كَانَت تضرِب إِلَى الْبيَاض. تهذيب اللغة للأزهري (٦/١٦٠).



السهر، على وجوههم غبرة الخاشعين؟ أولئك إخواني الذاهبون فحق لنا أن نظمأ إليهم ونَعُضَّ الأيدي على فراقهم»(١).

«هذه هي منزلة الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ عند علماء الأمة، وهي هبة من الله وفضل حباهم به وأصفاهم له، ووفقهم لمنازلة أسبابه وتعاطي دواعيه من متابعتهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وإيمانهم به، وجهادهم معه وبذلهم النفوس والأموال وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

ولا شك أن العلماء حينما يُجلون ويُعَظمون كل من صح أن يطلق عليه اسم الصحبة؛ إنما يكونون بذلك قد اقتدوا بالصحابة أنفسهم، فإنهم كانوا يرون أن للصحبة فضلاً لا يعادله فضل»(٢).

❊❊ ❊❊ ❊❊

---

(١) نهج البلاغة (٢٣٥/١)، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (٢٩١/١).

(٢) الصحابة ومكانتهم عند المسلمين، لمحمود عيدان (ص/٣٠) بتصرف.

لمحة سريعة
عن أصول عقيدة المسلم في الصحابة رضي الله عنهم

يتضح لنا أخي الكريم مما تقدم أصول وأمور لا بد أن نجعلها نصب أعيننا، ونعلم أنها من عقيدتنا.

* **أولاً**: حب الصحابة كلهم والترضي عنهم؛ لأمور عدة:

ـ **الأمر الأول**: أن هؤلاء القوم اصطفاهم الله اصطفاءً ربانياً؛ لصحبة هذا النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم، فجمع الله الطيب مع الطيب، فهذا اصطفاء رباني يوجب لهم الحب رضي الله عنهم وأرضاهم.

ـ **الأمر الثاني**: أن الله شرفهم بصحبة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وهنيئاً لقوم رأوا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم رؤية واحدة ولو لحظة؛ ولهذا فإن فضل الصحبة لا يوازيه فضل.

ـ **الأمر الثالث**: نصرتهم لدين الله تعالى: فهؤلاء القوم كان لهم من السابقة العظيمة الفريدة في نصرة دين الله تعالى، والتفاني في الدفاع عنه ﴿وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ وسبحان الله!! كم بذلوا ـ من الغالي والنفيس ـ في نصرة دينه وقتال أعدائه سواء في قتال الكفار والمرتدين في ساحة المعارك، أو في مجال العلم ونفي الشبه عنه، فقد قدموا نفوسهم رخيصة في سيبل الله، حتى قال الصحابي الجليل خبيب رضي الله عنه:




وَلَسْتُ أُبَالِي حِينَ أُقْتَلُ مُسْلِمًا ... عَلَى أَيِّ شِقٍّ كَانَ لِلَّهِ مَصْرَعِي
وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الإِلَهِ وَإِنْ يَشَأْ ... يُبَارِكْ عَلَى أَوْصَالِ شِلْوٍ مُمَزَّعِ(١)

فهذه صورة مصغرة عن هوان أنفسهم في سبيل الله واسترخاصها في طلب مرضاته. فإذا كانت النفوس في ذات الله فإنها تهون، فرضي الله عنهم كم قدموا أنفسهم، وبذلوا من أموالهم، وإن نسيت فلا أنسى تلك الصورة الحية من التضحية والتي قام بها عبد الله بن حرام ﷺ في غزوة أحد حتى قال رسول الله ﷺ لابنه جابر: أَفَلاَ أُبَشِّرُكَ بِمَا لَقِيَ اللَّهُ بِهِ أَبَاكَ؟ قَالَ: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: مَا كَلَّمَ اللَّهُ أَحَدًا قَطُّ إِلاَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، وَكَلَّمَ أَبَاكَ كِفَاحًا، فَقَالَ: يَا عَبْدِي، تَمَنَّ عَلَيَّ أُعْطِكَ، قَالَ: يَا رَبِّ تُحْيِينِي، فَأُقْتَلُ فِيكَ ثَانِيَةً، فَقَالَ الرَّبُّ سُبْحَانَهُ: إِنَّهُ سَبَقَ مِنِّي أَنَّهُمْ إِلَيْهَا لاَ يَرْجِعُونَ، قَالَ: يَا رَبِّ، فَأَبْلِغْ مَنْ وَرَائِي، قَالَ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا﴾ الآية(٢)، وكل ذلك

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب: التوحيد، باب: ما يذكر في الذات والنعوت وأسامي الله (٣) رقم (٢٨٨٠).

(٢) أخرجه الترمذي: أبواب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، باب: ومن سورة آل عمران (٥) رقم (٣٠١٠)، وابن ماجه: كتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب: فيما أنكرت الجهمية (٦٨/١) واللفظ له، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٧٩٠٥). وحديث استشهاده ﷺ أخرجه البخاري (١) رقم (١١٨٧)، ومسلم (٤) رقم (٢٤٧١) وفيه قال جابر: لما قتل أبي جعلت أكشف الثوب عن وجهه أبكي وينهوني عنه والنبي ﷺ لا ينهاني، فجعلت عمتي فاطمة تبكي فقال النبي ﷺ: (تبكين أو لا تبكين! ما زالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفعتموه).




منه محبة في نصر دين الله تعالى وإعلاء كلمته.

ـ **الأمر الرابع**: صبرهم على أذى المشركين، ولقد صبر أصحاب رسول الله ﷺ على أذى المشركين صبراً عجيباً، وكم حصل لهم من الأذى رضي الله عنهم وأرضاهم.

ـ **الأمر الخامس**: هجرهم لأوطانهم: فلقد تركوا بيوتهم وأموالهم، وتركوا عشائرهم لأجل هذا الدين رضي الله عنهم وأرضاهم، وبعد ذلك كتب الله لهم الأجر العظيم.

ـ **الأمر السادس**: تقديمهم حب الله ورسوله على كل شيء، أليس قد قيل لزيد بن الدَّثِنَة رضي الله عنه وأرضاه لما ربط للقتل: (يَا زَيْدُ، أُنْشِدُكَ اللَّهَ، أَتُحِبُّ أَنَّكَ الْآنَ فِي أَهْلِكَ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عِنْدَنَا مَكَانَكَ نَضْرِبُ عُنُقَهُ؟ قَالَ: لاَ وَاللَّهِ، مَا أَحَبُّ أَنَّ مُحَمَّدًا يُشَاكُ فِي مَكَانِهِ بِشَوْكَةٍ تُؤْذِيهِ وَأَنِّي جَالِسٌ فِي أَهْلِي) قال أبو سفيان: والله ما رأيت من قوم قط أشد حباً لصاحبهم من أصحاب محمد له[1]. فدل على أنهم يفدونه ﷺ بدمائهم وأرواحهم من عظيم حبهم له.

ـ **الأمر السابع**: سابقتهم للإسلام، والله سبحانه وتعالى قد أثنى عليهم في غير ما آية لسبقهم للإسلام، وكلما كان الإنسان أسبق للخير كان في الرتبة أعلى.

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٢/٥٦).




ـ **الأمر الثامن:** تبليغ دين الله على أيديهم[١]. فهم الواسطة بين رسول الله ﷺ وبين أمته، فمنهم تلقت الأمة عنه الشريعة[٢].

ـ **الأمر التاسع:** أنهم نشروا الفضائل بين هذه الأمة من الصدق والنصح والأخلاق والآداب التي لا توجد عند غيرهم، ولا يعرف هذا من كان يقرأ عنهم من وراء جدر، بل لا يعرف هذا إلا من عاش في تاريخهم وعرف مناقبهم وفضائلهم وإيثارهم واستجابتهم لله ولرسوله[٣].

ـ **الأمر العاشر:** أنهم خير القرون في جميع الأمم، كما صرح بذلك رسول الله ﷺ حين قال: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»[٤].

ـ **الأمر الحادي عشر:** نحبهم لأن حبهم دين وإيمان وإحسان، **قال الطحاوي:** «ونحب أصحاب رسول الله ﷺ، ولا نفرط في حب أحد منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم، وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان»[٥]. اهـ.

---

(١) شرح لامية شيخ الإسلام ابن تيمية للشيخ عمر العيد (ص/١٣) بتصرف.

(٢) شرح الواسطية لابن عثيمين (٢/٢٤٨).

(٣) المصدر نفسه.

(٤) تقدم (ص/٣٤).

(٥) متن الطحاوية للطحاوي (ص/٨١).




قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

يـا سَـائِلِي عَـن مَـذْهَبي وعَقِيـدتِي ... رُزِقَ الهُـدَى مَـن لِلْهِدَايـةِ يَسْـأَلُ
اسْـمَعْ كَـلامَ مُحَقِـقٍ فـي قَولِـهِ ... لا يَنْثَنِـي عَنْـهُ ولا يَتَبَّـدلُ
حُبُّ الصَّحَابةِ كُلِّهـم لِـي مَـذْهَبٌ ... وَمَـوَدَّةُ القُرْبـى بِهَـا أَتَوَسّـلُ
ولِكُلِّهـم قَـدْرٌ وفَضْـلٌ سَـاطِعٌ ... لَكِنَّمَـا الصِـدِّيقُ مِـنْهُمْ أفْضَـلُ[(١)]

❊ **ثانياً:** من أصول أهل السنة والجماعة في أصحاب رسول الله ﷺ **أنهم:**

لا يعتقدون أن كل واحد من الصحابة معصوم عن كبائر الإثم وصغائره؛ بل تجوز عليهم الذنوب في الجملة، ولهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما يصدر منهم إن صدر، حتى إنه يغفر لهم من السيئات ما لا يغفر لمن بعدهم؛ لأن لهم من الحسنات التي تمحو السيئات ما ليس لمن بعدهم. وقد ثبت بقول رسول الله ﷺ: «إنهم خير القرون» وإن المد من أحدهم إذا تصدق به كان أفضل من جبل أحد ذهباً ممن بعدهم ثم إذا كان قد صدر من أحدهم ذنب، فيكون قد تاب منه، أو أتى بحسنات تمحوه، أو غفر له بفضل سابقته، أو بشفاعة محمد ﷺ الذي هم أحق الناس بشفاعته، أو ابتلي ببلاء في الدنيا كفر به عنه[(٢)]. فإذا

(١) انظر: جلاء العينين في محاكمة الأحمدين للألوسي (ص/٧٣).

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ما أصاب العبد من عافية ونصر ورزق فهو من إنعام الله عليه وإحسانه إليه فالخير كله من الله؛ وليس للعبد من نفسه شيء بل هو فقير لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً: وما أصابه من مصيبة فبذنوبه والله تعالى=




كان هذا في الذنوب المحققة فكيف بالأمور التي كانوا فيها مجتهدين: إن أصابوا فلهم أجران وإن أخطئوا فلهم أجر واحد، والخطأ مغفور لهم؟ ثم القدر الذي ينكر من فعل بعضهم قليل نزر مغمور في جنب فضائل القوم ومحاسنهم من الإيمان بالله ورسوله والجهاد في سبيله والهجرة والنصرة والعلم النافع والعمل الصالح»[(١)].

* **ثالثاً**: «أن الصحابة رضي الله عنهم بشر عاشوا حياتهم كما عاش غيرهم يفرحون ويحزنون ويختلفون مع غيرهم في وجهات النظر، لكنهم اختلفوا عن غيرهم في أن ما كان بينهم لم يصل إلى أن يحقد بعضهم على بعض، فكانوا قدوة لمن بعدهم في كل شيء: في سلمهم وحربهم، في جدهم ومرحهم، في رضاهم وغضبهم؛ لأن الله أختارهم وجعلهم في موضع القدوة. والدارس لتاريخ الصحابة الكرام ـ رضي الله عنهم ـ ممن لا يرضى لنفسه أن يصطاد في الماء العكر يعرف هذه الحقيقة جيداً»[(٢)].

فهذا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه لما دار بين القتلى في

= يكفر ذنوب المؤمنين بتلك المصائب ويأجرهم على الصبر عليها ويغفر لمن استغفر ويتوب على من تاب قال النبي صلى الله عليه وسلم «ما يصيب المؤمن من نصب ولا وصب ولا هم ولا غم ولا حزن ولا أذى حتى الشوكة يشاكها؛ إلا كفر الله بها من خطاياه» ولما أنزل الله تعالى قوله: ﴿مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ﴾ قال أبو بكر: يا رسول الله قد جاءت قاصمة الظهر وأينا لم يعمل سوءاً؟ قال: يا أبا بكر ألست تنصب؟ ألست تحزن؟ ألست تصيبك اللأواء؟ فذلك ما تجزون به» مجموع الفتاوى (٣٥/٣٧٥ ـ ٣٧٦).

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣/١٥٥).

(٢) الصحابة ومكانتهم عند المسلمين، لمحمود عيدان (ص/٣٥) بتصرف.




الجمل رأى طلحة بن عبيد الله فجعل يمسح التراب عن وجهه وقال: رحمة الله عليك أبا محمد، يعز عليَّ أن أراك مجدولاً تحت نجوم السماء ثم قال: إلى الله أشكو عُجَري وبُجَري[1]، والله لوددت أني كنت مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة[2].

قال ابن كثير: «وثبت عنه أيضاً من غير وجه أنه قال: إني لأرجو أن أكون أنا وطلحة والزبير وعثمان ممن قال الله فيهم: ونزعنا ما في صدروهم من غل إخواناً على سرر متقابلين»[3].

* **رابعاً:** ومن أصول أهل السنة والجماعة: سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله ﷺ كما وصفهم الله به في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ

---

(١) قال ابن الأثير: أي همومي وأحزاني. وأصل العُجْرة نفخة في الظهر فإذا كانت في السُّرة فهي بُجْرة. وقيل: العُجَر العروق المتعَقّدة في الظهر، والبُجَر العروق المتعَقّدة في البطن، ثم نُقِلا إلى الهموم والأحزان. أراد أنه يشكوا إلى اللّه أموره كلّها ما ظهر منها وما بطن. النهاية (٢/١٦٣).

(٢) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٥/١١٥)، وانظر: أسد الغابة (٢/٤٥)، وتاريخ الإسلام (٢/١٦٥)، والبداية والنهاية (١٠/٤٧٦).

(٣) الصحابة ومكانتهم عند المسلمين، لمحمود عيدان (ص/٣٥) بتصرف. وقول ابن كثير المذكور هو في كتاب البداية والنهاية (١٠/٣٣٤) والأثر الذي ذكره الحافظ ابن كثير أخرجه الإمام أحمد في فضائل الصحابة (٢/٧٤٧)، وابن سعد في الطبقات (٣/١١٣).



﴿رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[1]، وطاعة النبي في قوله ﷺ: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي». ويقبلون ما جاء به الكتاب والسنة والإجماع، من فضائلهم ومراتبهم.....، ويقولون: إن هذه الآثار المروية في مساويهم منها ما هو كذب، ومنها ما قد زيد فيه ونقص وغير عن وجهه والصحيح منه: هم فيه معذورون إما مجتهدون مصيبون وإما مجتهدون مخطئون[2].

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لا تسبوا أصحاب محمد، فإن الله عز وجل قد أمر بالاستغفار لهم، وهو يعلم أنهم سيقتتلون»[3].

سئل عمر بن عبد العزيز عن علي وعثمان والجمل وصفين وما كان بينهم، فقال: «تلك دماء كف الله يدي عنها، وأنا أكره أن أغمس لساني فيها»[4].

قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: «ومن الحجة الواضحة الثابتة البينة المعروفة ذكر محاسن أصحاب رسول الله ﷺ كلهم أجمعين، والكف عن ذكر مساويهم التي شجرت بينهم. فمن سب أصحاب رسول الله ﷺ، أو واحداً منهم، أو تنقص أو طعن عليهم، أو عرض بعيبهم أو عاب واحداً منهم فهو مبتدع... لا يقبل الله منه صرفاً ولا

(١) سورة الحشر الآية (١٠).

(٢) مجموع الفتاوى (٣/١٥٢ ـ ١٥٥).

(٣) أخرجه أحمد في فضائل الصحابة (١/٥٩)، ومن طريقه الآجري في الشريعة (٥) رقم (١٩٧٩).

(٤) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٥/٣٩٤) واللفظ له، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٩/١١٤).




عدلاً، بل حبهم سنة، والدعاء لهم قربة، والاقتداء بهم وسيلة، والأخذ بآثارهم فضيلة، وخير الأمة بعد النبي ﷺ أبو بكر وعمر بعد أبي بكر وعثمان بعد عمر وعلي بعد عثمان، ووقف قوم على عثمان، وهم خلفاء راشدون مهديون ثم أصحاب رسول الله ﷺ بعد هؤلاء الأربعة خير الناس لا يجوز لأحد أن يذكر شيئاً من مساويهم ولا يطعن على أحد منهم بعيب ولا بنقص. فمن فعل ذلك فقد وجب على السلطان تأديبه وعقوبته ليس له أن يعفو عنه بل يعاقبه ويستتيبه فإن تاب قبل منه وإن ثبت أعاد عليه العقوبة وخلده في الحبس حتى يموت أو يراجع»[(١)].

قال إبراهيم بن آزر الفقيه: «حضرت أحمد بن حنبل وسأله رجل عما جرى بين علي ومعاوية فأعرض عنه. فقيل له: يا أبا عبد الله هو رجل من بني هاشم، فأقبل عليه وقال اقرأ: ﴿**تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ**﴾»[(٢)].

وعن سعيد بن المسيب: «أن رجلاً كان يقع في علي وطلحة والزبير فجعل سعد بن مالك ينهاه، ويقول: لا تقع في إخواني، فأبى، فقام سعد فصلى ركعتين ثم قال: اللهم إن كان مسخطاً لك فيما يقول: فأرني به آفة، واجعله آية للناس فخرج الرجل فإذا هو ببختي يشق

---

(١) العقيدة للإمام أحمد رواية أبي بكر الخلال (ص/٨٠) بتصرف.

(٢) أخرجه ابن أبي يعلى في طبقات الحنابلة (٩٤/١)، والبغدادي في تاريخ بغداد (٤٤/٦)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (١٤١/٥٩).



الناس فأخذه بالبلاط فوضعه بين كركرته والبلاط فسحقه حتى قتله، فأنا رأيت الناس يتبعون سعداً ويقولون: هنيئاً لك أبا إسحاق أجيبت دعوتك»[1].

وكان الصحابة رضي الله عنهم على جانب كبير من الاتزان في الحكم على الأشياء فهم لا يبحثون عن الزلة لكي يسقطوا صاحبها من معيار العدالة[2].

❊ **خامساً**: من أصول أهل السنة والجماعة: أن الصحابة كلهم عدول، ومقتضى العدالة لهم أنه لا يُتكلم فيهم بموازين الجرح والتعديل التي وجدت عند أئمة الحديث، وهذا مما اتفق عليه أئمة أهل السنة والجماعة على وجه العموم، وأن من نقد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإنما ينقدهم لمرض في قلبه وخبث في طويته.

ومن أسباب عدم جعلهم تحت موازين الجرح والتعديل: أن الله سبحانه وتعالى قد عدلهم في كتابه، فقال سبحانه: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ

(١) أخرجه البغدادي في تاريخه (١٠/١٣٩)، وابن عساكر في تاريخه (٢٠/٣٤٨ ـ ٣٤٩)، وابن الأثير في أسد الغابة (٣/٨٨)، وسعد بن مالك هو ابن أبي وقاص رضي الله عنه، وأخرجه من طريق آخر بلفظ قريب الطبراني في معجمه الكبير (١/١٤٠) رقم (٣٠٧) والبخت الإبلُ الخراسانية، تُنْتَجُ بين الإبل العربية والْفالِجِ. تهذيب اللغة (٧/٣١٢).
والبلاطُ: الحجارة المفروشة، يقال: دارٌ مُبَلَّطَةٌ بآجرّ أو حجارة. تهذيب اللغة للأزهري (١٣/٣٥٢).

(٢) الصحابة ومكانتهم عند المسلمين، لمحمود عيدان (ص/٣٥).




وَقَـٰتَلُواْۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾.

والرسول ﷺ قد زكاهم، بل جعل الرسول ﷺ لهم السياج المنيع فلا يتعرض لهم أبداً[1] فقال ﷺ «لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي فو الذي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلاَ نَصِيفَهُ»[2].

فهذه ـ أخي الكريم ـ لمحة سريعة عن أصول عقيدة المسلم في الصحابة رضي الله عنهم؛ مما ينبغي لكل مسلم أن يجعلها نصب عينيه لتكون له كالميزان فيما أثير حولهم من الشبه.

** ** **

(١) شرح اللامية (ص/١٠) بتقديم وتأخير.

(٢) تقدم تخريجه (ص/٣٢).



الفتنة التي حصلت بين الصحابة

- أساس الفتنة.
- ما تناقلته الألسن من كلام بعضهم في بعض إبّان الفتنة.
- موقف المسلم من الفتنة التي وقعت بين الصحابة.




أساس الفتنة التي حصلت بين الصحابة

وحاصل الفتنة أن في السنوات الأخيرة من خلافة عثمان رضي الله عنه بدت في الأفق سمات الاضطراب في المجتمع الإسلامي؛ نتيجة بعض عوامل التغيير التي أدت إلى ظهور هذه الفتنة العظيمة بين الصحابة وإليك بعضها:

١ ـ ظهور نشاط سري لأفراد وجماعات من الموالي أظهروا الإسلام وأخفوا معتقداتهم القديمة؛ بغية تحطيم الدولة الإسلامية من داخلها وإثارة الفتنة والفرقة بين المسلمين؛ وذلك ببث العقائد الفاسدة ونشر الإشاعات بدوافع نفسية أو عرقية.

٢ ـ وينضم للعنصر الأول عنصر الأعراب الذين لم يدخل في قلوبهم الإيمان وهم: قبائل مختلطة وفيهم من حسن إسلامه، ومنهم من أسلم خوفاً ونفاقاً، ومنهم من تمسك بالإسلام تمسكاً تلازمه الشدة والتعصب بالرأي والغلو في الدين، وهؤلاء هم القراء سلف الخوارج[١].

٣ ـ دخول أقوام شتى مختلفة المشارب والمذاهب في دين الإسلام ـ نتيجة الفتوحات الإسلامية ـ منهم نصارى العرب في العراق

---

(١) البداية والنهاية (١٠/٢٨٢) بتصرف.



والشام ومنهم الفرس ومنهم الأقباط وما إلى ذلك، وكان من هؤلاء نفر يحملون في أنفسهم حقداً على الإسلام من أمثال الذي قتل سيدنا عمر وغيرهم كثير هنا وهناك كانوا يتحينون الفرص للنيل من عزة الإسلام.

٤ ـ كان بعض الشباب المتحمس للإسلام والذي لم يفقه الإسلام كما فقهه الصحابة أو كبار الصحابة لا يفهمون ما اجتهده عثمان في باب السياسة الشرعية، وقد كان عمر رضي الله عنه ومن قبله أبو بكر رضي الله عنه قد اجتهدا وفعلا ما فعل سيدنا عثمان، ولكن طوائف من الناس وعلى رأسهم هؤلاء الشباب لم يفهموا ذلك[١].

٥ ـ طبيعة التحول الاجتماعيِّ في عهد عثمان رضي الله عنه:

شهدت خلافة عثمان رضي الله عنه تطورات خطيرة في حياة الدولة الإسلامية؛ فقد حكم عثمان الدولة الإسلامية بعد أن تحولت من دولة محدودة النطاق تقوم في المدينة المنورة وتحكم شبه الجزيرة العربية إلى دولة عالمية يمتد سلطانها ليشمل إلى ذلك ممالك العراق والشام ومصر وإفريقية وأرمينية وبلاد فارس وبعضاً من جزر البحر الأبيض المتوسط، ولم يكن الزمن كافياً لترسيخ التعاليم الإسلامية في نفوس كثير منهم مما ساعد ـ مع غيره من العوامل ـ على وجود خلخلة فكرية وظواهر سلبية دخيلة على النهج الإسلامي؛ مما كان له أثر في عدم استقرار الدولة.

---

(١) انظر: صحيح تاريخ الطبري ـ حاشية المحقق ـ (٣/٣٥٧ ـ ٣٥٨).



٦ ـ الرخاء وأثره على المجتمع الإسلامي في عهد عثمان رضي الله عنه:

أقبلت الدنيا على المسلمين؛ من أثر الفتوح وكثرت واردات بيت المال من الغنائم والأسلاب، فضلاً عما يخص المجاهدين،... وهذا الرخاء سيكون له أثر على المجتمع؛ إذ يترتب عليه من انشغال الناس بالدنيا والافتتان بها، كما أنها مادة للتنافس والبغضاء خاصة بين أولئك الذين لم يصقل الإيمان نفوسهم من أعراب البادية وجفاتها.

٧ ـ اختلاف الطبع بين عمر وعثمان أدى إلى تغير أسلوبهما في معاملة الرعية، فكان عثمان ألين طبعاً وأرق في المعاملة ورغبوا في الصدر الأول من خلافته وأصبحت محبته مضرب المثل:

أحبـــك والـــرحمن ... حـب قـريش عثمـان[(١)]

ثم تَجَرّؤوا عليه لرقة طبعه حتى قال: «أتدرون ما جرّأكم علي؟ ما جرّأكم علي إلا حلمي»[(٢)].

وأخذ بعض اليهود يتحيَّنون فرصة الظهور مستغلِّين هذه العوامل، ومتظاهرين بالإسلام، واستعمال التَّقيَّة، ومن هؤلاء: عبد الله بن سبأ اليهودي الملقب بابن السَّوداء الذي أظهر إسلامه في زمن عثمان بن عفان واشتهر أكثر من غيره؛ لأنه أسلم متأخراً، وظهر له نشاط ملحوظ

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب العيال (٤٣٥/١) بإسناده إلى الشعبي قال: كانت قريش تحب عثمان حتى إن المرأة كانت ترقص ابنها فتقول (أحبك والرحمن... حب قريش عثمان).

(٢) تاريخ الطبري (٢٥١/٤).




في الشام والعراق ومصر خاصة، كما ظهر مع الخوارج والناقمين يرسم خططاً ويدلي بآراء هدامة ذكرها معظم المؤرخين القدامى ـ في كتبهم[1]، وعلى رأسهم الإمام الطبري الذي اعتبره رأس الفتنة وأساس البلاء، وخلاصة ما جاء به: أن أتى بمقدِّمات صادقة، وبنى عليها مبادئ فاسدة راجت لدى السُّذَّج، والغلاة، وأصحاب الأهواء من النَّاس. وقد سلك في ذلك مسالك ملتوية لبّس فيها على من حوله، حتى اجتمعوا عليه فطرق باب القرآن يتأوله على زعمه الفاسد حيث ادعى رجعة الرسول ﷺ بقوله: لعجب ممن يزعم أن عيسى يرجع ويكذب بأن محمداً يرجع، وقد قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾[2]. فمحمد أحق بالرجوع من عيسى، قال: فقُبِل ذلك عنه ووضع لهم الرجعة فتكلموا فيها، ثم قال لهم بعد ذلك إنه كان ألف نبي ولكل نبي وصي، وكان علي وصي محمد، ثم قال: محمد خاتم الأنبياء وعلي خاتم الأوصياء، وحينما استقر الأمر في نفوس أتباعه انتقل إلى هدفه المرسوم، وهو خروج الناس على الخليفة عثمان رضي الله عنه، فصادف ذلك هوى في نفوس بعض القوم حيث قال: من أظلم ممن لم يجز وصية رسول الله ﷺ، ووثب

(١) تحسراً، وانظر للاستزادة كتاب عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام، سليمان العودة، رسالة ماجستير عام (١٤٠٢هـ) من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.

(٢) سورة القصص من الآية (٨٥).




على وصي رسول الله ﷺ وتناول أمر الأمة، ثم قال لهم بعد ذلك: إن عثمان أخذها بغير حق وهذا وصي رسول الله ﷺ فانهضوا في هذا الأمر فحركوه وابدأوا بالطعن على أمرائكم وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تستميلوا الناس وادعوهم إلى هذا الأمر، ووجد في الأعراب مادة ملائمة لتنفيذ خطته، فالقراء منهم استهواهم عن طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأصحاب المطامع منهم هيج أنفسهم بالإشاعات المغرضة المفتراة على عثمان، مثل تحيزه لأقاربه، وإغداق الأموال من بيت مال المسلمين عليهم، وأنه حمى الحمى لنفسه إلى غير ذلك من التهم والمطاعن التي حرك بها نفوس الغوغاء ضد عثمان رضي الله عنه[1]، وهذه التهم: بعضها كذب وبهتان فقد كتبوا على لسانه، وبعضها أمور اجتهادية بعضها من باب المصالح المرسلة، وبعض هذه التهم ـ زعموا ـ قد فعلها أحد الخلفاء ولكنهم استغلوا لين عثمان فلم يكن له طبع عمر فَتَجَرّؤوا عليه. قال ابن عمر رضي الله عنهما لقد عتبوا على عثمان أشياء ولو فعلها عمر ما عتبوا عليه[2]. ولم يكتف المغرضون بهذا فقاموا بتزوير الكتب على لسان كبار الصحابة كعلي وطلحة والزبير وعائشة رضي الله عنهم وبعثوا بها إلى الأمصار يأمرونهم بالقدوم على عثمان ليقاتلوه[3].

---

(١) تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة، د.محمد أمحزون (١/٣٢٥ ـ ٣٦٣) باختصار وتصرف.

(٢) الاستيعاب لابن عبد البر (١/٣٢٠).

(٣) البداية والنهاية (١٠/٢٨٢) بتصرف.

فثارت ثائرتهم وقدموا من أمصارهم إلى المدينة ظانين أن الدين وصل في السوء منتهاه، فما كان منهم إلا أن قدموا المدينة فحاصروا عثمان وطلبوا منه بعض الأمور منها: ترك الخلافة وإلا فالقتل لا محالة، فأبى عثمان ترك الخلافة؛ لقوله ﷺ: «يَا عُثْمَانُ، إِنَّ اللَّهَ مُقَمِّصُكَ قَمِيصًا، فَإِنْ أَرَادَكَ الْمُنَافِقُونَ عَلَى أَنْ تَخْلَعَهُ فَلَا تَخْلَعْهُ لَهُمْ، وَلَا كَرَامَةَ».

يقولها له مرتين أو ثلاثاً. وفي رواية: «يَا عُثْمَانُ، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عَسَى أَنْ يُلْبِسَكَ قَمِيصًا، فَإِنْ أَرَادَكَ الْمُنَافِقُونَ عَلَى خَلْعِهِ، فَلَا تَخْلَعْهُ حَتَّى تَلْقَانِي. يَا عُثْمَانُ، إِنَّ اللَّهَ عَسَى أَنْ يُلْبِسَكَ قَمِيصًا، فَإِنْ أَرَادَكَ الْمُنَافِقُونَ عَلَى خَلْعِهِ فَلَا تَخْلَعْهُ حَتَّى تَلْقَانِي»[١].

وحضر لدى عثمان مجموعة من الصحابة لحراسته والدفاع عنه منهم: أبو هريرة، وابن عمر، والحسن، والحسين، وابن الزبير، لكن لما اشتد الحصار عزم عثمان عليهم في وضع سلاحهم، وخروجهم، ولزوم بيوتهم؛ حفظاً لدماء المسلمين[٢].

عن عبد الله بن عامر بن ربيعة قال: كنت مع عثمان في الدار، فقال: أعزم على كل من رأى أن عليه سمعًا وطاعة إلا كف يده وسلاحه وجاءه زيد بن ثابت فقال له: إن هؤلاء الأنصار بالباب

---

(١) أخرجه أحمد (٤١) رقم (٢٤٥٦٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٧٩٤٧).

(٢) انظر: تاريخ خليفة بن خياط (ص/ ٣٩).

يقولون: إن شئت كنا أنصار الله مرتين. قال عثمان: لا حاجة لي في ذلك كفوا[1]. وعرف رضي الله عنه أنه مقتول وقد أسر له ﷺ بهذه الفتنة، ولما استئذن على النبي ﷺ وهو في حائط من حيطان المدينة قال لأبي موسى: «افْتَحْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ، عَلَى بَلْوَى تُصِيبُهُ»[2].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ومن المعلوم بالتواتر أن عثمان كان من أكف الناس عن الدماء وأصبر الناس على من نال من عرضه، وعلى من سعى في دمه، فحاصروه وسعوا في قتله وقد عرف إرادتهم لقتله، وقد جاءه المسلمون من كل ناحية ينصرونه ويشيرون عليه بقتالهم وهو يأمر الناس بالكف عن القتال ويأمر من يطيعه أن لا يقاتلهم، وروى أنه قال لمماليكه من كف يده فهو حر، وقيل له: تذهب إلى مكة، فقال لا أكون ممن ألحد في الحرم، فقيل له: تذهب إلى الشام، فقال لا أفارق دار هجرتي فقيل له: فقاتلهم فقال: لا أكون أول من خلف محمداً في أمته بالسيف، فكان صبر عثمان حتى قُتِل من أعظم فضائله عند المسلمين»[3].

ثم بايع الصحابة الذين في المدينة بالخلافة لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه ولم ينازعه فيها أحد.

---

(١) العواصم من القواصم (١٣٢ ـ ١٣٣).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب: المناقب، باب قول النبي ﷺ: «لو كنت متخذاً خليلاً» (٣/١٣٥٠)، ومسلم: كتاب: فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب: من فضائل عثمان بن عفان رضي الله عنه (٤) رقم (٢٤٠٣).

(٣) منهاج السنة (٦/٢٨٦).



قال ابن حزم: «وأما أم المؤمنين والزبير وطلحة رضي الله عنهم ومن كان معهم فما أبطلوا قط إمامة علي ولا طعنوا فيها، ولا ذكروا فيه جرحة تحطه عن الإمامة، ولا أحدثوا إمامة أخرى، ولا جددوا بيعة لغيره، هذا ما لا يقدر أن يدعيه أحد بوجه من الوجوه، بل يقطع كل ذي علم على أن كل ذلك لم يكن فإذ لا شك في كل هذا فقد صح صحة ضرورية لا إشكال فيها أنهم لم يمضوا إلى البصرة لحرب علي ولا خلافاً عليه ولا نقضاً لبيعته ولو أرادوا ذلك لأحدثوا بيعة غير بيعته هذا ما لا يشك فيه أحد ولا ينكره أحد، فصح أنهم إنما نهضوا إلى البصرة؛ لسد الفتق الحادث في الإسلام؛ من قتل أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه ظلماً[1]، وكان علي رضي الله عنه يرى تأخير القصاص حتى يستتب له الأمر لاسيما وأن اشترك في قتله كثير»، فكان يقول لهم: «يا إخوتاه إني لست أجهل ما تعلمون، ولكني كيف أصنع بقوم يملكوننا ولا نملكهم، ها هم هؤلاء قد ثارت معهم عبدانكم وثابت إليهم أعرابكم وهم خلالكم يسومونكم ما شاؤوا فهل ترون موضعاً لقدرة على شيء مما تريدون؟ قالوا: لا، قال: فلا والله لا أرى إلا رأياً ترونه إن شاء الله»[2].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ولم يكن ممكنا من أن يعمل كل ما يريده من إقامة الحدود ونحو ذلك؛ لكون الناس مختلفين عليه،

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤/١٥٣).

(٢) تاريخ الطبري (٤/٤٣٧).



وعسكره وأمراء عسكره غير مطيعين له في كل ما كان يأمرهم به»[1].

وكان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يدعو على قتلة عثمان، فعن محمد ابن الحنفية يقول سمعت أبي ورفع يديه حتى يرى بياض إبطيه وقال: «اللهم العن قتلة عثمان في البر والبحر والسهل والجبل ثلاثاً يرددها»[2].

وذهب علي رضي الله عنه لملاقاة طلحة والزبير رضي الله عنهما؛ مريداً الصلح والاتفاق وجمع الشمل، ولم تكن الحرب مرادة من الطرفين، وكاد الصلح أن يتم بين طلحة وعلي قبل معركة الجمل «فباتوا على الصلح، وباتوا بليلة لم يبيتوا بمثلها للعافية من الذي أشرفوا عليه والنزوع عما اشتهى الذين اشتهوا وركبوا ما ركبوا، وبات الذين أثاروا أمر عثمان (منهم ابن سبأ اليهودي)[3] بشر ليلة باتوها قط، قد أشرفوا على الهلكة، وجعلوا يتشاورون ليلتهم كلها حتى اجتمعوا على إنشاب الحرب (قبل أن يجتمع الطرفان على قتلهم قصاصاً)[4] في السر، واستسروا بذلك؛ خشية أن يفطن بما حاولوا من الشر، فغدوا مع الغلس وما يشعر بهم جيرانهم، انسلوا إلى ذلك الأمر انسلالاً وعليهم ظلمة، فخرج مضريهم إلى مضريهم وربعيهم إلى ربعيهم ويمانيهم إلى يمانيهم، فوضعوا فيهم

(١) مجموع الفتاوى (٢٧/٤٧٧).

(٢) تاريخ المدينة المنورة لابن شبة (٤/١٢٦٧).

(٣) انظر البداية والنهاية (١٠/٤٥٢).

(٤) المصدر نفسه.




السلاح فثار أهل البصرة وثار كل قوم في وجوه أصحابهم الذين بهتوهم...، وقصف أهل البصرة أولئك حتى ردوهم إلى عسكرهم، فسمع علي وأهل الكوفة الصوت وقد وضعوا رجلاً قريباً من علي؛ ليخبره بما يريدون فلما قال: ما هذا؟ قال: ذاك الرجل ما فاجأنا إلا وقوم منهم بيتونا فرددناهم من حيث جاؤوا فوجدنا القوم على رجل فركبونا وثار الناس...»[(١)] فأوهم قتلة عثمان الطرفين أنه غدر بهم، وحصلت الفتنة، معركة الجمل، ولم تكن برضا الطرفين، وقتل فيها خلق كثير منهم طلحة والزبير، وكان معاوية بالشام يطالب بقتلة عثمان وامتنع من الدخول في البيعة حتى يُسلم له قتلة عثمان، ولم ينازعه في الخلافة إنما اشترط تسليم القتلة وكان يرى أنه ولي دمه، وانضم إليه عمرو بن العاص ﷺ ـ ولم يشهد معركة الجمل ـ وكان بفلسطين ثم كانت الفتنة العظيمة وقعة صفين.

فالحاصل أن هذه الفتنة احتار فيها أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، واختلف محل نظرهم واجتهادهم: فمنهم من رأى الصواب مع أمير المؤمنين علي ﷺ، ومنهم من رأى الصواب مع معاوية ﷺ في المطالبة بقتلة عثمان ﷺ، وطرف آخر اعتزل القتال وهم خلق كثير[(٢)]؛ لأنه رأى أنها فتنة القاعد فيها خير

(١) تاريخ الطبري (٤/٥٠٦ ـ ٥٠٧) باختصار.

(٢) كسعد بن أبي وقاص، ومحمد بن مسلمة، وزيد بن ثابت، وأبو موسى الأشعري، وابن عمر. انظر: تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة، د. محمد أمحزون (٢/١٦٧).



من القائم، ثم إن بعض من اعتزل رجع للقتال مع علي ﷺ لما قتل عمار؛ لأنه ﷺ قال: «وَيْحَ عَمَّارٍ، تَقْتُلُهُ الفِئَةُ البَاغِيَةُ»[1].

ومن هذا التقرير يتبين لك أخي الكريم أن المسألة بينهم كانت محل اجتهاد، بين مصيب له أجران، ومخطئ له أجر، وأن المخطئ فيهم كان متأولاً رضي الله عنهم أجمعين.

❋❋ ❋❋ ❋❋

(١) أخرجه البخاري: كتاب الصلاة، باب: التعاون في بناء المسجد (١) رقم (٤٣٦).




ما تناقلته الألسن من كلام بعضهم في بعض إبّان الفتنة

معلوم أن ما حصل من الخلاف بين الطائفتين في عهد الصحابة شر مستطير، وفتنة عظيمة كانت من عواقبها السيئة: وقعتا الجمل وصفين، وهما فتنتان عظيمتان زهقت فيهما أرواح خير البشر بعد الأنبياء عليهم السلام.

ولولا أن ما حصل بينهم سُطِر في تاريخنا، وتناقلته الأجيال لقطعنا أنه ضَرْبٌ من الخيال، وأنه من أساطير الأولين؛ لأنه أمر لا يتوقع، بل هم أنفسهم لم يتوقعوا أن يصل الأمر بهم إلى حرب طاحنة تزهق فيها الأرواح وتبتر فيها الأعضاء(١).

فهذا الحدث ثابت في تاريخنا وتراثنا نقرأه فتتحسر له قلوبنا بل تتقطع، ولكن نسلي أنفسنا بأنه أمر أراده الله فلا راد لأمره، ويبقى أنهم بشر يجتهدون فيصيبون، ويخطئون، وهما طائفتان عظيمتان كما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم في شأن ابنه الحسن بن علي رضي الله عنهما: «إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ وَلَعَلَّ اللهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ»(٢).

---

(١) تقدم في (أساس الفتنة) أن بعض الحاقدين على الإسلام أظهروا الإسلام وأخفوا معتقداتهم القديمة؛ بغية تحطيم الدولة الإسلامية.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الصلح، باب: قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم للحسن بن علي رضي الله عنهما (٢) رقم (٢٥٥٧) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه.



وقوله ﷺ: «تَمْرُقُ مَارِقَةٌ فِي فُرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ فَيَلِي قَتْلَهُمْ أَوْلَى الطَّائِفَتَيْنِ بِالْحَقِّ»(١). فوصف الرسول ﷺ ـ الذي لا ينطق على الهوى ـ الطائفتين بأنهما عظيمتان، وأنهما من المسلمين، وأن أَوْلاهما بالحق وأقربهما الطائفة التي تقتل الخوارج، وهي طائفة أمير المؤمنين علي رضي الله عنه. فكلا الطائفتين متأول للقتال غفر الله للجميع. ومعلوم أنه إذا وصل الخلاف إلى القتال سينتج عنه تخطئة كل منهما للآخر ودعاء بعضهم على بعض، بل قد يصل الأمر بمقتضى الطبيعة البشرية إلى اللعن عند ثوران الغضب؛ ولذا وردت روايات في هذا الأمر أعرضت عن إيرادها في الشبه؛ لأنه حصل بينهم ما هو أعظم من ذلك وهو القتال. إلا أن ما ورد من الروايات من كلام بعضهم في بعض قد زيد فيه وأقحم فيه ما ليس منه؛ فكان لزاماً أن أذكر بعض هذه الروايات؛ لمعرفة صحيحها من سقيمها، ولمعرفة توجيهها.

❊ من هذه الروايات:

١ ـ ما روي أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ذم عمرو بن العاص رضي الله عنهما:

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم (٢) رقم (١٠٦٤) من حديث أبي سعيد الخدري. قال النووي: وفي رواية أولى الطائفتين بالحق، وفي رواية تكون أمتي فرقتين فتخرج من بينهما مارقة تلي قتلهم أولاهما بالحق، هذه الروايات صريحة في أن علياً رضي الله عنه كان هو المصيب المحق والطائفة الأخرى أصحاب معاوية رضي الله عنه كانوا بغاة متأولين وفيه التصريح بأن الطائفتين مؤمنون لا يخرجون بالقتال عن الإيمان ولا يفسقون وهذا مذهبنا ومذهب موافقينا. شرح مسلم (١٦٧/٧).




روى ذلك الطبري[١] معلقاً من طريق أبي مخنف عن عبد الملك ابن أبي حرة.

وأبو مخنف: هو لوط بن يحيى، قال الذهبي: أخباري تألف لا يوثق به، تركه أبو حاتم، وضعفه الدارقطني، وقال عنه ابن معين: (ليس بشيء)[٢]، وقال أبو عبيد الآجري: سألت أبا حاتم عنه ففض يده: وقال: أحد يسأل عن هذا، وذكره العقيلي في الضعفاء[٣].

وعبد الملك بن أبي حرة مجهول العين أورده ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل[٤] ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً روى عنه عبد الله بن الوليد بن عبد الله بن معقل المزني.

ونحو ذلك ما أورده الطبري معلقاً: من ذم علي رضي الله عنه لمن خرج عنه ووصفه لهم بالمكر والغدر من طريق أبي مخنف عن مالك بن أعين عن زيد بن وهب.

أبو مخنف تقدم الكلام عليه، ومالك بن أعين الجهني: مجهول روى عن زيد بن وهب روى عنه أبو مخنف لوط بن يحيى قاله أبو حاتم[٥]. فالأثر لا يصح له إسناد، وسيأتي الكلام في إبطال قضية

(١) التاريخ (٣/١١٥ ـ ١١٦).
(٢) انظر: ميزان الاعتدال للذهبي (٣/٤٢٠)
(٣) لسان الميزان لابن حجر (٤/٤٩٢).
(٤) (٥/٣٤٨).
(٥) الجرح والتعديل (٨/٢٠٦)، وانظر لسان الميزان (٥/٣).

الخلع في قصة التحكيم[1].

٢ ـ ما روي من قنوت أمير المؤمنين علي على عمرو بن العاص ولعنه:

ورد ذلك في قصة التحكيم والخلع من طريق أبي مخنف المتقدم، والقصة ضعيفة سنداً ومتناً، وسيأتي وجه إبطالها في الكلام عن التحكيم.

نعم وردت آثار عن علي رضي الله عنه أنه قنت على معاوية رضي الله عنه بعد الحرب كما في مسند أبي حنيفة[2] حدثنا محمد بن أحمد، ثنا بشر بن موسى، ثنا المقرئ، ثنا أبو حنيفة، عن حماد، عن إبراهيم، عن علقمة، قال: «ما قنت أبو بكر، ولا عمر، ولا عثمان، وما قنت علي حتى حارب أهل الشام، وكان يقنت على معاوية».

هذا السند رجاله ثقات عدا أبي حنيفة على جلالة علمه وفقهه فقد اختلف العلماء في قبول روايته للحديث[3]، وشيخه حماد بن أبي

(١) (ص/٢٠٦).

(٢) (ص/٨٣).

(٣) انظر ميزان الاعتدال (٤/٢٦٥)، والضعيفة (١) رقم (٤٥٨)، قال الألباني في الإرواء (٢/٢٧٩): وبعد فإن تضعيف أبي حنيفة رحمه الله في الحديث لا يحط مطلقاً من قدره وجلالته في العلم والفقه الذى اشتهر به، ولعل نبوغه فيه، وإقباله عليه هو الذي جعل حفظه يضعف في الحديث، فإنما من المعلوم أن إقبال العالم على علم وتخصصه فيه، مما يضعف ذاكرته غالباً في العلوم الأخرى، والله تعالى أعلم.
وقال الضعيفة (١/٦٦٧): ولا ضير عليه في ذلك، فغايته أن لا يكون محدثاً ضابطاً،=



سليمان صدوق له أوهام كما في التقريب[١]، وهناك طرق أخرى[٢] للأثر فهو حسن في أقل أحواله.

وقنوت علي على معاوية، أو على عمرو، أو ذمه لهما لو سلم ثبوته، غير مستنكر؛ لأن معاوية وعمرو خارجان عن طاعته، لكنهما متأولان عفا الله عن الجميع.

والذي ثبت عن علي رضي الله عنه قنوته على معاوية لا لعنه، فالصحابة أحرص الناس تقيداً بالدين؛ لعلمهم بقوله ﷺ: «مَنْ حَلَفَ بِمِلَّةٍ غَيْرِ الإِسْلاَمِ كَاذِبًا فَهُوَ كَمَا قَالَ، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ عُذِّبَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، وَلَعْنُ الْمُؤْمِنِ كَقَتْلِهِ، وَمَنْ رَمَى مُؤْمِنًا بِكُفْرٍ فَهُوَ كَقَتْلِهِ»[٣]، وقوله ﷺ: «لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ وَلاَ اللَّعَّانِ وَلاَ الفَاحِشِ وَلاَ البَذِيءِ»[٤]،

= وحسبه ما أعطاه الله من العلم والفهم الدقيق حتى قال الإمام الشافعي: الناس عيال في الفقه على أبي حنيفة، ولذلك ختم الحافظ الذهبي ترجمة الإمام في سير النبلاء (٦/٤٠٣) بقوله: قلت: الإمامة في الفقه ودقائقه مسلمة إلى هذا الإمام، وهذا أمر لا شك فيه.

(١) رقم (١٥٠٠)

(٢) انظر: مصنف عبد الرزاق (٣/١٠٧)، ومصنف ابن أبي شيبة (٢/١٠٣)، والمعجم الأوسط للطبراني (٧/٢٧٤).

(٣) أخرجه البخاري: كتاب الأدب، باب: من كفر أخاه بغير تأويل فهو كما قال (٥) رقم (٥٧٥٤) واللفظ له، ومسلم: كتاب الإيمان، باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه، وأن من قتل نفسه بشيء عذب به في النار، وأنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة (١) رقم (١١٠).

(٤) أخرجه أحمد (٦) رقم (٣٨٣٩)، والترمذي: أبواب البر والصلة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في اللعنة (٣) رقم (١٩٧٧) واللفظ له، وصححه الألباني في الصحيحة (١/٣١٩).



وقوله ﷺ: «لاَ يَكُونُ اللَّعَّانُونَ شُفَعَاءَ وَلاَ شُهَدَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[1] ونقل عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه لما دار بين القتلى ـ في الجمل ـ رأى طلحة بن عبيد الله فجعل يمسح التراب عن وجهه وقال: «رحمة الله عليك أبا محمد، يعز علي أن أراك مجدولاً تحت نجوم السماء ثم قال: إلى الله أشكو عجري وبجري، والله لوددت أني كنت مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة»[2].

قال ابن كثير: «وروي من غير وجه أنه قال: إني لأرجو أن أكون أنا وطلحة والزبير وعثمان ممن قال الله فيهم: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾»[3].

بل ذكر الدينوري: أنه بلغ علياً أن حجر بن عدي وعمرو بن الحمق يظهران شتم معاوية، ولعن أهل الشام، فأرسل إليهما أن كفا عما يبلغني عنكما.

فأتياه فقالا: يا أمير المؤمنين، ألسنا على الحق، وهم على الباطل؟، قال: بلى، ورب الكعبة المسدنة[4]، قالوا: فلم تمنعنا من

(١) أخرجه مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب: النهي عن لعن الدواب وغيرها (٤) رقم (٢٥٩٨).

(٢) تقدم (ص/٤٧).

(٣) تقدم (ص/٤٧).

(٤) قال ابن فارس: السين والدال والنون أصلٌ واحد لشيء مخصوص. يقال: إن السَّدانة الحِجابة. وسَدَنة البيت: حَجبَتُه. ويقولون: السَّدَن السِّتر. معجم مقاييس اللغة (١٥٠/٣).




شتمهم ولعنهم؟، قال: كرهت لكم أن تكونوا شتامين لعانين، ولكن قولوا: اللهم احقن دماءنا ودماءهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم، واهدهم من ضلالتهم، حتى يعرف الحق من جهله، ويرعوي عن الغي من لجج به(١).

٣ ـ ما روي أن أم المؤمنين عائشة لعنت عمرو بن العاص رضي الله عنها. وبيان ذلك أنه روي عن مسروق أنه كان عند عائشة فذكر عندها أن علياً رضي الله عنه قتل ذا الثدية، فقالت لي: «إذا أنت قدمت الكوفة فاكتب لي ناساً ممن شهد ذلك ممن تعرف من أهل البلد».

فلما قدمت وجدت الناس أشياعاً فكتبت لها من كل شيع عشرة ممن شهد ذلك قال فأتيتها بشهادتهم. فقالت: «لعن الله عمرو بن العاص فإنه زعم لي أنه قتله بمصر»(٢).

ورد هذا الأثر عند الحاكم من طريق جرير بن عبد الحميد عن الأعمش عن أبي وائل، عن مسروق قال: قالت لي عائشة رضي الله عنها: إني رأيتني على تل وحولي بقر تنحر، فقلت لها: لئن صدقت رؤياك لتكونن حولك ملحمة قالت: أعوذ بالله من شرك، بئس ما قلت، فقلت لها: فلعله إن كان أمراً سيسوءك، فقالت: والله لئن أخِر من السماء أحب إلي من أن أفعل ذلك، فلما كان بعد ذكر عندها أن علياً رضي الله عنه قتل ذا الثدية

(١) الأخبار الطوال (١/٢٤٢).

(٢) بحار الأنوار للمجلسي (٣٣/٣٣٢)، أحاديث أم المؤمنين عائشة لمرتضى العسكري (١/٣٦٤).




فقالت لي: إذا أنت قدمت الكوفة فاكتب لي ناساً ممن شهد ذلك ممن تعرف من أهل البلد. فلما قدمت وجدت الناس أشياعاً، فكتبت لها من كل شيع عشرة ممن شهد ذلك، قال: فأتيتها بشهادتهم فقالت: لعن الله عمرو بن العاص فإنه زعم لي أنه قتله بمصر[1].

إلا أنّ ابن أبي شيبة أخرجه من طريق أبي معاوية عن الأعمش بدون ذكر قتل ذي الثدية ولعن عمرو بن العاص رضي الله عنه.

قال ابن أبي شيبة[2]: حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن شقيق، عن مسروق، عن عائشة، قالت: رَأَيْتُنِي عَلَى تَلٍّ كَأَنَّ حَوْلِي بَقَرًا تُنْحَر، فَقَالَ مَسْرُوقٌ: إنِ اسْتَطَعْتِ أَنْ لاَ تَكُونِي أَنْتِ هِيَ فَافْعَلِي، قَالَ: فَابْتُلِيت بِذَلِكَ رَحِمَهَا اللَّهُ.

وأبو معاوية محمد بن خازم الضرير هو الميزان في حديث الأعمش، وهو أحفظ الناس لحديثه وروايته عنه مقدمة على غيره. قال أيوب بن إسحاق: سألت أحمد ويحيى عن أبي معاوية وجرير قالا: أبو معاوية أحب إلينا. يعنيان في الأعمش، وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: سمعت أبي يقول: كان أبو معاوية إذا سئل عن أحاديث الأعمش يقول: قد صار حديث الأعمش في فمي علقماً، أو هو أمر من العلقم؛ لكثرة ما يردد عليه حديث الأعمش. وقال أبو زرعة الدمشقي: سمعت

---

(١) مستدرك الحاكم (٤/١٤)، قال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(٢) المصنف (١١/٧٧) رقم (٣١١٥٣).




أبا نعيم يقول: لزم أبو معاوية الأعمش عشرين سنة.

وقال إبراهيم الحربي: قال لي الوكيعي: ما أدركنا أحداً كان أعلم بأحاديث الأعمش من أبي معاوية[(١)].

وقال الحافظ ابن حجر: «هو الميزان في حديث الأعمش»[(٢)].

وجرير بن عبد الحميد ـ الراوي عن الأعمش عند الحاكم ـ قيل: كان في آخر عمره يهم من حفظه[(٣)].

وقعت روايات أخرى في رؤيا عائشة تؤيد رواية أبي معاوية ـ لم تذكر ما قيل في لعنها عمرو ـ عند نعيم بن حماد[(٤)] من طريق هشيم بن بشير عن حصين، وهشيم مشهور بالتدليس، ولم يصرح بالسماع.

وعند نعيم أيضاً: من طريق هشيم بن بشير عن مجالد عن الشعبي وتابع هشيماً أبو أسامة عند ابن أبي شيبة[(٥)] ويحيى بن سعيد عند ابن أبي الدنيا[(٦)].

وهذه الروايات الثلاث الأخيرة فيها مجالد بن سعيد قال الحافظ ابن حجر: ليس بالقوي، وقد تغير في آخر عمره[(٧)]. وقال عبد الرحمن

(١) تهذيب الكمال للمزي (١٢٨/٢٥ ـ ١٣١).
(٢) فتح الباري (٢٨٦/١٢).
(٣) التقريب (٩١٦).
(٤) كتاب الفتن (١) رقم (١٨١).
(٥) (٧٢/١١) رقم (٣١١٤٠).
(٦) الإشراف في منازل الأشراف (٢٧٣/١ ـ ٢٧٤).
(٧) التقريب (٦٤٧٨).




ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن سنان قال: سمعت عبد الرحمن بن مهدي يقول: حديث مجالد عند الأحداث يحيي بن سعيد وأبي أسامة ليس بشيء، ولكن حديث شعبة وحماد بن زيد وهشيم وهؤلاء القدماء، يعني أنه تغير حفظه في آخر عمره[1].

وأما سماع الشعبي من عائشة ففيه خلاف، والراجح ثبوت سماعه؛ فالمثبت مقدم على النافي. **قال الحاكم**:... وربما توهم متوهم أن الشعبي لم يسمع من أم سلمة وليس كذلك فإنه دخل على عائشة وأم سلمة جميعاً ثم أكثر الرواية عنهما جميعاً[2]. يضاف إلى ذلك أن الشعبي ولد لست سنين خلت من خلافة عمر بن الخطاب على المشهور بمعنى سنة تسع عشرة أو حدود العشرين وماتت عائشة في خلافة معاوية سنة سبع أو ثمان وخمسين[3]، فسيكون عمر الشعبي حين وفاتها ما يقارب سبع وثلاثين سنة وهو وقت كبير كافٍ لثبوت المعاصرة.

وجاءت رواية أخرى فيها ذكر اللعن بالإبهام «لعن الله فلاناً».

قال البيهقي في الدلائل[4]:

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرنا الحسين بن الحسن بن عامر

(١) تهذيب الكمال للمزي (٢٧/٢٢١ ـ ٢٢٤).
(٢) المستدرك (١/٧٠٠).
(٣) انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان (٣/١٦)، وتهذيب الكمال للمزي (١٤/٢٨).
(٤) (٦/٤٣٤ ـ ٤٣٥).




الكندي، بالكوفة من أصل سماعه، حدثنا أحمد بن محمد بن صدقة الكاتب، قال: حدثنا «عمر بن»[(١)] عبد الله بن عمر بن محمد بن أبان ابن صالح، قال: هذا كتاب جدي محمد بن أبان فقرأت فيه: حدثنا الحسن ابن الحر، قال: حدثنا الحكم بن عتيبة، وعبد الله بن أبي السفر، عن عامر الشعبي، عن مسروق، قال: قالت عائشة فذكر بنحو ما وقع عند الحاكم.

هذا الإسناد ضعيف فيه: محمد بن أبان بن صالح بن عمير الجعفي الكوفي أبو عمير.

قال يحيى: ضعيف لا يكتب حديثه، وقال مرة: ليس بشيء، وقال البخاري: ليس بالقوي. وضعفه أحمد، وأبو داود، والنسائي، قال ابن حبان: كان ممن يقلب الأخبار وله الوهم الكثير في الآثار[(٢)].

ثم لو سلم أن الرواية التي فيها لعن عمرو بن العاص رضي الله عنه صحيحة، فعائشة رضي الله عنها مع جلالة قدرها وكبير فضلها وغزير علمها قد تخطئ كغيرها من البشر؛ لأن العصمة ليست لأحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكل يؤخذ من قوله ويرد إلا هو صلى الله عليه وسلم.

وهذه الفتنة قد وقع فيها ما هو أشد من اللعن وهو القتل. «مع أن

(١) هكذا في الدلائل طبعة دار الكتب العلمية، ولم أجد له ترجمة ولعله تصحيف وصوابه عبد الله بن عمر حفيد محمد بن أبان وهو صدوق. انظر التقريب رقم (٣٤٩٣).

(٢) المجروحين لابن حبان (٢/٢٦٠) الضعفاء والمتروكين لابن الجوزي (٣/٣٧) تعجيل المنفعة لابن حجر (٢/١٦٥).




المرء قد يتكلم بالكلمة التي لا ينبغي له أن يتكلم بها لشدة غضب وموجدة على من قالها له، وأن الفاضل قد يتكلم بالكلام الذي ينكره هو على نفسه إذا ثاب إليها إلا أنه محمول على هذه الكلمة ومدفوع إليها بما في نفسه من الغضب والحنق وغير ذلك. ومما يدل على ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم من حديث مالك بن أوس قال: أرسل إليَّ عمر بن الخطاب، فجئته حين تعالى النهار، قال: فوجدته في بيته جالساً على سرير مفضياً إلى رماله، متكئاً على وسادة من أدم، فقال لي: يا مال، إنه قد دف أهل أبيات من قومك، وقد أمرت فيهم برضخ، فخذه فاقسمه بينهم، قال: قلت: لو أمرت بهذا غيري، قال: خذه يا مال، قال: فجاء يرفأ، فقال: هل لك يا أمير المؤمنين في عثمان، وعبد الرحمن بن عوف، والزبير، وسعد؟ فقال عمر: نعم، فأذن لهم فدخلوا، ثم جاء، فقال: هل لك في عباس، وعلي؟ قال: نعم، فأذن لهما، فقال عباس: يا أمير المؤمنين، اقض بيني وبين هذا الكاذب الآثم الغادر الخائن، فقال القوم: أجل يا أمير المؤمنين، فاقض بينهم وأرحهم... الحديث[1].

فانظر إلى العباس رضي الله عنه وهو يقول عن علي «الكاذب الآثم الغادر الخائن» يقول هذا في حضرة الخليفة الراشد والمبشرين بالجنة ولم ينكر ذلك عليه أحد منهم... ورأوه خرج لشدة موجدة عباس على علي

(١) أخرجه البخاري: كتاب فرض الخمس (٣) رقم (٢٩٢٧)، ومسلم: كتاب الجهاد والسير، باب حكم الفيء (٣) رقم (١٧٥٧). واللفظ له




وغضبه منه فقاله، وقد أيد هذا المعنى الرسول ﷺ وبين أنه لانفكاك لأي عبد عن ذلك فقال ﷺ «أَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي سَبَبْتُهُ سَبَّةً أَوْ لَعَنْتُهُ لَعْنَةً فِي غَضَبِي ـ فَإِنَّمَا أَنَا مِنْ وَلَدِ آدَمَ أَغْضَبُ كَمَا يَغْضَبُونَ وَإِنَّمَا بَعَثَنِي رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ـ فَاجْعَلْهَا عَلَيْهِمْ صَلاَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(١)(٢). والمعنى: إن ما وقع من سبه ودعائه ﷺ على أحد ونحوه ليس بمقصود، بل هو مما جرت به العادة فخاف ﷺ أن يصادف شيء من ذلك إجابة فسأل ربه سبحانه ورغب إليه في أن يجعل ذلك رحمة وكفارة وقربة وطهوراً وأجراً وإنما كان يقع هذا منه ﷺ نادراً؛ لأنه ﷺ لم يكن فاحشاً ولا لعاناً، والله أعلم(٣).

وعمرو بن العاص رضي الله عنه صحابي جليل، ولا يمكن حمل كلامه إلا على أنه توهم أنه قتل ذا الثدية فاشتبه عليه فأخطأ، والإنسان معرض للوهم والنسيان، ولا يستوجب ذلك لعنه أو سبه عفا الله عنها وعنه وعنا وعن جميع المسلمين.

قال ابن عبد البر في الاستذكار عند حديث سهو النبي ﷺ في الصلاة: «وفي هذا الحديث بيان أن أحداً لا يسلم من الوهم والنسيان؛

---

(١) أخرجه أحمد (٣٩) رقم (٢٣٧٠٦)، وأبو داود: كتاب السنة، باب: في النهي عن سب أصحاب رسول الله ﷺ (٥) رقم (٤٦ ٥٩) واللفظ له، وصححه الألباني في الصحيحة (٤/٢٥٧).

(٢) درء الانتقاص لمحمد كمال (٩٠ ـ ٩٣) باختصار.

(٣) عون المعبود للآبادي (١٢/٢٧١).

لأنه إذا اعترى ذلك الأنبياء فغيرهم بذلك أحرى»(١).

وهذا ابن عمر ﵄ يلازم النبي ﷺ ويشهد عمراته ثم يسأل عن عدد عمرات النبي ﷺ فيقول: أربعاً إحداهن في رجب. فلما أُخبرت عائشة ﵂ بقوله قالت: يرحم الله أبا عبد الرحمن ما اعتمر عمرة إلا وهو شاهده وما اعتمر في رجب قط(٢).

قال الحافظ ابن حجر: «وفي هذا الحديث أن الصحابي الجليل المكثر الشديد الملازمة للنبي ﷺ قد يخفى عليه بعض أحواله وقد يدخله الوهم والنسيان، لكونه غير معصوم»(٣).

فالإنسان طبيعته النِّسْيَان بل هو محل النسيان، وأول من نسي هو أول إنسان أبونا آدم ﵇. قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا**﴾(٤).

وقال ﷺ «**فَجَحَدَ آدَمُ فَجَحَدَتْ ذُرِّيَّتُهُ، وَخَطِئَ آدَمُ فَخَطِئَتْ ذُرِّيَّتُهُ، وَنَسِيَ فَنَسِيَتْ ذُرِّيَّتُهُ**»(٥).

---

(١) (٥٢١/١).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب: الحج، باب: كم اعتمر النبي ﷺ؟ (٢) رقم (١٦٨٥) واللفظ له، ومسلم كتاب: الحج، باب: بيان عدد عمر النبي ﷺ وزمانهن (٢) رقم (١٢٥٥).

(٣) الفتح (٦٠٢/٣)

(٤) سورة طه الآية (١١٥).

(٥) أخرجه الترمذي: أبواب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، باب: ومن سورة الأعراف (٥) رقم (٣٠٧٦) واللفظ له، والحاكم (١٢٣/١) رقم (٢١٤) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٩٣٣٩).



وقال ابن عباس: «إنما سمي الإنسان إنساناً لأنه عُهد إليه فنسي»[١].

قال أبو تمام:

لا تنْســين تلــك العهــود فإنمــا ⁂ سُـمِّيت إنســاناً لأنــك ناســي[٢]

وقال الشاعر:

ومَــا سُــمِّيَ الإنْســانُ إِلَّا لنَسْــيِهِ ⁂ ومَــا القَلْــبُ إلا أنَّــه يَتَــقَلَّبُ[٣]

** ** **

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الصغير (١٤٠/٢) رقم (٩٢٥) واللفظ له، وابن منده في التوحيد (٩٤/١) رقم (٧٢) والبيهقي في الأسماء والصفات (٣٥٧/٢) رقم (٧٨٦).

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري (١١/٢) ذكر النويري خلافا بين العلماء في سبب تسمية الإنسان إنساناً هل هو من الأنْس الذي هو نقيض الوحشة، أو النَّوْس الذي هو نقيض السكون، أو الإيناس الذي هو بمعنى الإبصار، أو النِّسيان الذي هو نقيض الذِّكْر؟ ورجح قو ل الكوفيين بأنه مشتق من النسيان.

(٣) تاج العروس للزبيدي (١٢٤/١).




موقف المسلم من الفتنة التي وقعت بين الصحابة

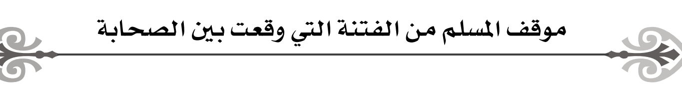
اعلم أنه يجب علينا أن نكف ألسنتنا عما شجر بين الصحابة من الفتن، ونترضى عنهم جميعاً؛ لأنهم اصطفاهم الله لصحبة أفضل الخلق، ونقل شريعته، وأما الآثار التي تروي مساويهم قليل ما صح منها، وهي بين أمر اجتهادي - صاحبه بين مجتهد مصيب له أجران وبين مجتهد مخطئ له أجر، وآخر ليس عن اجتهاد وهو نزر يسير فنحن لا ندعي لهم العصمة لكن ذلك مغمور في بحر حسناتهم، ولا ننسى أن لهم من السوابق ما يكفر به هذا النزر، وواجبنا نشر الحسنة وستر السيئة، وقد عُلم من ديننا الإسلامي تشوفه للستر على عامة الناس، فكيف بالصحابة الذين ضحوا بأموالهم وأنفسهم من أجل إعلاء كلمة الله أليس هم أولى بذاك ؟!.

بلى هم أولى وأحرى؛ لأن في نشر أخطائهم مفسدة عظيمة، ويكفي مفسدة أن يوغل قلبك على من أمرت بمحبته والترضي عنه، فكيف لو بلغ الحال بك أنك تشك في نقلة هذا الدين!!.

لذلك جعل النبي صلى الله عليه لهم سياجاً منيعاً فلا يتعرض لهم أبداً فقال ﷺ «لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلاَ نَصِيفَهُ»[1].

---

(١) تقدم تخريجه (ص/٣٢).



وقد أكد الصحابة ومن بعدهم من التابعين والعلماء على هذا المبدأ وشددوا في ذلك؛ لخطورة ما يؤول إليه من فساد دين صاحبه.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لا تسبوا أصحاب محمد فإن الله عز وجل قد أمر بالاستغفار لهم وهو يعلم أنهم سيقتتلون»[(١)].

وعن أبي عمار الهمداني عريب بن حميد قال: جاء رجل إلى علي فوقع في عائشة، فقام عمار فقال: اخرج مقبوحاً منبوحاً، والله إنها لزوجة رسول الله في الدنيا والآخرة[(٢)].

وسئل الحسن البصري عن قتالهم فقال: «قتال شهده أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم وغبنا، وعلموا وجهلنا، واجتمعوا فاتبعنا، واختلفوا فوقفنا»[(٣)].

❊ قال أبو يوسف يعقوب الفسوي:

حدثنا سعيد بن عفير، حدثني يعقوب، عن أبيه، أن عبد العزيز ابن مروان بعث ابنه عمر بن عبد العزيز إلى المدينة يتأدب بها، فكتب إلى صالح ابن كيسان يتعاهده، فكان عمر يختلف إلى عبيد الله بن عبد الله يسمع منه العلم، فبلغ عبيد الله أن عمر ينتقص علي بن أبي طالب، فأتاه عمر فقام يصلي، فجلس عمر فلم يبرح حتى سلم من

---

(١) تقدم (ص/٢٧).

(٢) أخرجه أحمد في فضائل الصحابة (٢/٨٧٠).

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٦/٣٢١).




ركعتين، ثم أقبل على عمر بن عبد العزيز فقال: متى بلغك أن الله سخط على أهل بدر بعد أن رضي عنهم؟ قال: فعرف عمر ما أراد، فقال: معذرة إليك والله لا أعود. قال: فما سمع عمر بن عبد العزيز بعد ذلك ذاكراً علياً إلا بخير[١].

ولما سئل عمر بن عبد العزيز ـ بعد ذلك ـ عن علي وعثمان والجمل وصفين وما كان بينهم فقال: «تلك دماء كف الله يدي عنها وأنا أكره أن أغمس لساني فيها»[٢].

عن العوام بن حوشب قال: «اذكروا محاسن أصحاب محمد ﷺ تأتلف عليه قلوبكم، ولا تذكروا غيره فتحرشوا الناس عليهم»[٣].

قال أبو بكر المروذي: قيل لأبي عبد الله ونحن بالعسكر وقد جاء بعض رسل الخليفة وهو يعقوب فقال: يا أبا عبد الله، ما تقول فيما كان من علي ومعاوية رحمهما الله؟ فقال أبو عبد الله: «ما أقول فيها إلا الحسنى، رحمهم الله أجمعين»[٤].

قال أبو يعقوب بن العباس: كنا عند أبي عبد الله سنة سبع وعشرين أنا وأبو جعفر بن إبراهيم، فقال له أبو جعفر أليس نترحم على

---

(١) المعرفة والتاريخ (١/٣١٥).

(٢) تقدم (ص/٤٨).

(٣) أخرجه الخلال في السنة (٣) رقم (٨٢٩)، والآجري في الشريعة (٥) رقم (١٩١٠)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٢) رقم (١١٣٦).

(٤) السنة للخلال (٢/٤٦٠).




أصحاب رسول الله كلهم معاوية وعمرو بن العاص وعلى أبي موسى الأشعري والمغيرة؟ قال: نعم كلهم وصفهم الله في كتابه فقال سيماهم في وجوههم من أثر السجود(١).

وقال أبو زرعة: «إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق؛ وذلك أن الرسول ﷺ عندنا حق، والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله ﷺ، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى وهم زنادقة»(٢).

وقال أبو سليمان الخطابي: «أما ما شجر بين الصحابة من الأمور وحدث في زمانهم من اختلاف الآراء، فإنه باب كلما قل التسرع فيه والبحث عنه كان أولى بنا وأسلم لنا، ومما يجب علينا أن نعتقد في أمرهم أنهم كانوا أئمة علماء، قد اجتهدوا في طلب الحق وتحروا وجهته وتوخوا قصده، فالمصيب منهم مأجور والمخطئ معذور، وقد تعلق كل منهم بحجة وفزع إلى عذر، والمقايسة عليهم والمباحثة عنهم اقتحام فيما لا يعنينا، والله تعالى يغفر لنا ولهم برحمته»(٣).

قال الباقلاني: «ويجب أن يعلم أن خير الأمة أصحاب رسول الله ﷺ، وأفضل الصحابة العشرة الخلفاء الأربعة رضي الله عن الجميع

(١) المصدر نفسه (٤٧٦/٢).
(٢) الكفاية في علم الرواية الخطيب البغدادي (٤٩/١).
(٣) العزلة للخطابي (٢٣).




وأرضاهم، ونقر بفضل أهل بيت رسول الله ﷺ، وكذلك نعترف بفضل أزواجه رضي الله عنهن، وأنهن أمهات المؤمنين، كما وصفهن الله تعالى ورسوله، ونقول في الجميع خيراً... ويجب الكف عن ذكر ما شجر بينهم، والسكوت عنه... وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قيل له: ما تقول فيما شجر بين الصدر الأول؟ فقال: أقول كما قال الله تعالى: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ وسئل عن ذلك جعفر بن محمد الصادق عليه السلام. فقال: أقول ما قال الله: علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى»[(١)].

قال القرطبي: «... وقد تُعبدنا بالكف عما شجر بينهم، وألا نذكرهم إلا بأحسن الذكر؛ لحرمة الصحبة ولنهي النبي ﷺ عن سبهم، وأن الله غفر لهم، وأخبر بالرضا عنهم. هذا مع ما قد ورد من الأخبار من طرق مختلفة عن النبي ﷺ: أن طلحة شهيد يمشي على وجه الأرض، فلو كان ما خرج إليه من الحرب عصياناً لم يكن بالقتل فيه شهيداً. وكذلك لو كان ما خرج إليه خطأ في التأويل وتقصيراً في الواجب عليه؛ لأن الشهادة لا تكون إلا بقتل في طاعة، فوجب حمل أمرهم على ما بيناه. ومما يدل على ذلك ما قد صح وانتشر من أخبار علي بأن قاتل الزبير في النار... قال ابن فورك: ومن أصحابنا من قال: إن سبيل ما جرت بين الصحابة من المنازعات كسبيل ما جرى بين إخوة يوسف مع يوسف، ثم إنهم لم يخرجوا بذلك عن حد الولاية

(١) الإنصاف فيما يجب اعتقاده لأبي بكر الباقلاني (ص/٦٥).




والنبوة، فكذلك الأمر فيما جرى بين الصحابة»[1].

قال النووي: «واعلم أن الدماء التي جرت بين الصحابة رضي الله عنهم ليست بداخلة في هذا الوعيد، ومذهب أهل السنة والحق إحسان الظن بهم والإمساك عما شجر بينهم، وتأويل قتالهم وأنهم مجتهدون متأولون لم يقصدوا معصية ولا محض الدنيا، بل اعتقد كل فريق أنه المحق ومخالفه باغ فوجب عليه قتاله ليرجع إلى أمر الله، وكان بعضهم مصيباً وبعضهم مخطئاً معذوراً في الخطأ؛ لأنه لاجتهادٍ والمجتهد إذا أخطأ لا إثم عليه وكان علي رضي الله عنه هو المحق المصيب في تلك الحروب هذا مذهب أهل السنة وكانت القضايا مشتبهة حتى أن جماعة من الصحابة تحيروا فيها فاعتزلوا الطائفتين ولم يقاتلوا ولم يتيقنوا الصواب ثم تأخروا عن مساعدته»[2].

قال ابن تيمية: «ما ينقل عن الصحابة من المثالب فهو نوعان **أحدهما:** ما هو كذب، إما كذب كله وإما محرف قد دخله من الزيادة والنقصان ما يخرجه إلى الذم والطعن، وأكثر المنقول من المطاعن الصريحة هو من هذا الباب يرويها الكذابون المعروفون بالكذب مثل أبي مخنف لوط بن يحيى ومثل هشام بن محمد ابن السائب الكلبي وأمثالهما من الكذابين...

النوع الثاني: ما هو صدق وأكثر هذه الأمور لهم فيها معاذير

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٦/٣٢١).

(٢) شرح النووي على مسلم (١٨/١١).

تخرجها عن أن تكون ذنوباً، وتجعلها من موارد الاجتهاد التي إن أصاب المجتهد فيها فله أجران وإن أخطأ فله أجر، وعامة المنقول الثابت عن الخلفاء الراشدين من هذا الباب، وما قدر من هذه الأمور ذنباً محققاً فإن ذلك لا يقدح فيما علم من فضائلهم وسوابقهم وكونهم من أهل الجنة، لأن الذنب المحقق يرتفع عقابه في الآخرة بأسباب متعددة»(١).

وقال أيضا: «... ويمسكون عما شجر بين الصحابة. ويقولون: إن هذه الآثار المروية في مساويهم منها ما هو كذب، ومنها ما قد زيد فيه ونقص وغُيِّرَ عن وجهه، والصحيح منه هم فيه معذورون: إما مجتهدون مصيبون، وإما مجتهدون مخطئون. وهم مع ذلك لا يعتقدون أن كل واحد من الصحابة معصوم عن كبائر الإثم وصغائره؛ بل تجوز عليهم الذنوب في الجملة ولهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما يصدر منهم إن صدر، حتى إنه يغفر لهم من السيئات ما لا يغفر لمن بعدهم، لأن لهم من الحسنات التي تمحو السيئات ما ليس لمن بعدهم، وقد ثبت بقول رسول الله ﷺ إنهم خير القرون، وإن المد من أحدهم إذا تصدق به كان أفضل من جبل أحد ذهباً ممن بعدهم»(٢).

وقال: «ما علم بالكتاب والسنة والنقل المتواتر من محاسن الصحابة وفضائلهم لا يجوز أن يدفع بنُقُولٍ بعضها منقطع، وبعضها محرف، وبعضها لا يقدح فيما علم، فإن اليقين لا يزول بالشك، ونحن

---

(١) منهاج السنة النبوية (٥/٤٣).

(٢) متن العقيدة الواسطية (١/١٣)، مجموع الفتاوى (٣/١٥٥).




قد تيقنا ما دل عليه الكتاب والسنة وإجماع السلف قبلنا وما يصدق ذلك من المنقولات المتواترة من أدلة العقل، من أن الصحابة رضي الله عنهم أفضل الخلق بعد الأنبياء، فلا يقدح في هذا أمور مشكوك فيها فكيف إذا علم بطلانها؟!»[١].

وأقوال السلف وعلماء الأمة في هذا الباب كثير جداً وقد اقتصرت على نزر يسير منه؛ ليكون نموذجاً لبيان ما عليه سلف الأمة، وإلا فالأمر مجمع عليه لا يسعه الاجتهاد، وقد نقل ابن حجر الإجماع في ذلك.

قال ابن حجر: «واتفق أهل السنة على وجوب منع الطعن على أحد من الصحابة بسبب ما وقع لهم من ذلك، ولو عرف المحق منهم لأنهم لم يقاتلوا في تلك الحروب إلا عن اجتهاد وقد عفا الله تعالى عن المخطئ في الاجتهاد بل ثبت أنه يؤجر أجراً واحداً وأن المصيب يؤجر أجرين»[٢].

وهذه الأقوال الواردة عن السلف في هذا الباب إن دلت على شيء دلت على عظم هذا الأمر، وأن القادم عليه قادم على هلاك نفسه، فمن أراد السلامة فعليه بمنهج سلف الأمة: وهو حفظ اللسان من الوقيعة فيهم، والإمساك عما شجر بينهم من الخلاف بلسانه وبنانه، وألا يخوض في هذه المسائل، إلا ما كان من مقصد محمود كالتفقه في

(١) منهاج السنة النبوية (٦/١٩٥).

(٢) فتح الباري (١٣/٣٤).



الدين إن تعلق به حكم فقهي، أومن باب الدفاع عنهم وتَبْيين الروايات الضعيفة، التي تصفهم بأوصاف لا تتناسب مع خير البرية بعد نبي البشرية عليه أزكى صلاة وسلام وتحية.

فإذا علمت أخي الكريم منهج السلف في هذه الفتنة ـ مما تقدم ـ من كف اللسان عن الوقيعة فيهم، والإمساك عما شجر بينهم، وحبهم جميعاً والترضي عنهم؛ فالزمه فإنه الصراط المستقيم، والنهج القَوِّيم. ومن سلك غيره فقد سلك طريق الردى، فإن كان مُشْفِقاً فنفسه أولى؛ قبل أن يتندم ولات ساعة مندم.

** ** **



ترجمة مختصرة للصحابي الجليل

(عمرو بن العاص رضي الله عنه)

اسمه ونسبه ❊ كنيته ❊ نشأته ❊ أسرته ❊ إسلامه ❊ صفاته الخَلقية والخُلقية ❊ مناقبه ❊ أعماله ❊ جهاده ❊ عبادته ❊ أحاديثه ❊ بلاغته وشِعره وحِكَمه وأمثاله ❊ تجارته وتركته ❊ وفاته

إنه صاحب رسول الله قبل كل شيء، إنه القائد المحنك، أحد دواهي العرب، فاتح مصر وأميرها إنه عمرو بن العاص رضي الله عنه.

۞ اسمه ونسبه:

هو عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سُعَيد[1] بن سهم[2]

---

(١) سُعَيد بالتصغير. الإصابة (٤/٦٥٠).

(٢) بطن من بطون قريش كانت من حلف الأحلاف، مع بني عبد الدار، وبني مخزوم، وبني جمح، وبني عدي بن كعب، وفي مقابلهم حلف المطيبين، وهم بنو عبد مناف، وبنو أسد بن عبد العزى بن قصي، وبنو زهرة بن كلاب، وبنو تيم بن مرة، وبنو الحارث بن فهر بن مالك بن النضر. ونتج هذا الانقسام؛ عن الخلاف الذي حصل بين بني عبد مناف، وبين بني عبد الدار؛ حول وظائف الحجابة، والسقاية والرفادة، والندوة، واللواء.

وكانت من قبل لقصي فلما كبر ورق، وكان ولده عبد الدار أكبر ولده، وكان ضعيفاً، وكان عبد مناف قد ساد في حياة أبيه، وكذلك إخوته عبد العزى، وعبد قصي، قال قصي لعبد الدار: والله لألحقنك بهم! فأعطاه دار الندوة والحجابة، وهي حجابة الكعبة، واللواء. فحصل النزاع بين أولاده بعد موته؛ فإن بني عبد مناف بن قصي: عبد شمس، وهاشم، والمطلب، ونوفل، أجمعوا أن يأخذوا الرفادة والسقاية من بني عبد الدار لشرفهم عليهم وفضلهم، فتفرقت عند ذلك قريش، فكانت طائفة مع بني عبد مناف، وطائفة مع بني عبد الدار، وتعبوا للقتال، ثم تداعوا إلى الصلح على أن يعطوا بني عبد مناف السقاية والرفادة، فرضوا بذلك.

معنى الحجابة: هي حجابة الكعبة، لا يفتح بابها إلا هو، وهو الذي يلي أمر خدمتها وسدانتها.

وسقاية الحاج: هي أنهم كانوا يملأون للحجاج حياضاً من الماء، يحلونها بشيء من التمر والزبيب، فيشرب الناس منها إذا وردوا مكة. =



. . . .

= ورفادة الحاج: هي طعام كان يصنع للحاج على طريقة الضيافة، وكان قصي فرض على قريش خرجاً تخرجه في الموسم من أموالها إلى قصي، فيصنع به طعاماً للحاج، يأكله من لم يكن له سعة ولا زاد.

ودار الندوة: فيها كانوا يتشاورون فيما نزل بهم من جسام الأمور، وفيها كانوا يزوجون بناتهم، وتعقد الألوية.

واللواء: فكانت لا تعقد راية ولا لواء لحرب قوم من غيرهم إلا بيد قصي أو بيد أحد أولاده. انظر: الطبقات الكبرى (١/٧٧)، والكامل (١/١٥٥)، والبداية والنهاية (٣/٢٤٣ ـ ٢٤٤)، والرحيق المختوم (١/١٧).

وكانت سهم تنافس بني عبد مناف في السيادة والشرف وقد روي: أن سبب نزول ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ كان بسبب تنافسهم في الفخر والشرف مع بني عبد مناف قال مقاتل والكلبي: نزلت سورة الكوثر في حيين من قريش: بني عبد مناف وبني سهم كان بينهم لحا فتعاند السادة والأشراف أيهم أكثر، فقال بنو عبد مناف: نحن أكثر سيداً، وأعز عزيزاً، وأعظم نفراً، وقال بنو سهم مثل ذلك، فكثرهم بنو عبد مناف، ثم قالوا: نعد موتانا حتى زاروا القبور، فعدوا موتاهم فكثرهم بنو سهم، لأنهم كانوا أكثر عدداً في الجاهلية. أسباب النزول للواحدي (ص/٣٠٥). وكذلك كان لهم باب في المسجد الحرام من ضمن ثلاثة وعشرين باباً.

انظر: أخبار مكة للأزرقي (٢/٦٢٨). وقال الفاسي في شفاء الغرام (١/٢٣٠): هو باب المسجد المعروف الآن بباب العمرة. وروي أن النبي صلى باتجاه بابهم، فعن سفيان بن عيينة، قال: حدثني كثير بن كثير بن المطلب بن أبي وداعة، سمع بعض أهله يحدث، عن جده، أنه رأى النبي ﷺ يصلي مما يلي باب بني سهم والناس يمرون بين يديه، وليس بينه وبين الكعبة سترة. أخرجه أحمد (٤٥) رقم (٢٧٢٤١) ومن طريقه أبو داود (٢) رقم (٢٠١٦). وهو ضعيف لجهالة الواسطة بين كثير=

ابن عمرو بن هُصيص بن كعب بن لؤي القرشي السهمي[(١)].

۞ كنيته:

أبو عبد الله، وقيل أبو محمد[(٢)].

۞ نشأته:

نشأ عمرو في مكة إذ هو قرشي من بني سهم وقد تقدم أنها تولت وظائف اجتماعية مهمة في مكة، كالحكومة ـ فصل الخصومات

= وجده، وللاختلاف الواقع في إسناده. انظر: تفصيل ذلك في الضعيفة رقم (٩٢٨).
وقد تولت سهم وظائف اجتماعية مهمة في مكة، ففيهم كانت الحكومة ـ فصل الخصومات والمرافعات ـ والأموال المحجرة وكانت إلى الحارث بن قيس عدي السهمي. ومعنى تحجير الأموال: أي تنظيم القربات والنذور التي كانت تُهدى إلى الأصنام.
انظر: الاستيعاب (٢٩/١)، تاريخ دمشق (١١٨/٢٤)، الرحيق المختوم (ص/١٧).
قال العقاد: «كأنها الأوقاف في العصور الإسلامية، وكأن الرؤساء من بني سهم طائفة من نظار الأوقاف يعرفون بحسناتهم أو سيئاتهم التي اتصف بها نظار الأوقاف في جميع الأزمان». عمرو بن العاص (ص/٤).

(١) انظر: تهذيب الكمال للمزي (٧٨/٢٢)، السير للذهبي (٥٤/٣)، الإصابة لابن حجر (٦٥٠/٤).

(٢) كما في طبقات خليفة (٦١)، وطبقات ابن سعد (٤٩٣/٧) ومعرفة الصحابة لأبي نعيم (١٩٨٧/١)، وذكر المزي الكنيتين وقدم أبا عبد الله وكذا فعل الذهبي وغيرهم. انظر: تهذيب الكمال (٧٩/٢٢)، وسير أعلام النبلاء (٥٤/٣)، أما البخاري فاقتصر على تكنيته بأبي محمد. انظر: التاريخ الكبير (٣٠٣/٦)، وقدم ابن حبان كنيته بأبي محمد ثم قال: وقيل: أبو عبد الله. انظر: الثقات (٢٦٥/٣).



والمرافعات ـ والأموال المحجرة، وأنها كانت تنافس بني مناف وهذا يدل على مكانة القبيلة في مكة وسيادتها، فنشأ عمرو وترعرع في مجتمع له سيادته ومكانته، والقبيلة التي لها سيادة ومكانة يكون لها تأثير على أفرادها، فكيف إذا كان الأب كذلك له سيادته ومكانته في القبيلة! فقد كان أبوه من عظماء الجاهلية، وأحد حكامها، وقد كانت هذه المكانة سبباً قوياً لبناء هذه الشخصية الفذة، فكيف إذا زاد عليها تعلمه للفروسية، فكان أحد فرسانها، وفصاحته وبلاغته ودهائه التي أوتيها فكان أحد سفرائها، وتكمل شخصية الرجل ونفوذه؛ بثرائه وعدم احتياجه لأموال الآخرين، فقد كان أبوه يلبس الحرير والديباج كما في البخاري، ولم يقتصر عمرو على تراث أبيه فقد كان يرحل للتجارة. ووفرة المال تمنح صاحبها الاستقلال بنفسه ورأيه فلا يداهن أحدا راجياً نواله، ولا يتردد في معارضته خشية انقطاع أُعْطياته.

فهذه العوامل جعلت عمرو بن العاص يختلف عن أي شخص آخر وجعلت له ثقله في المجتمع الجاهلي والإسلامي، فقد كان في الجاهلية يُرسَل للسفارة؛ فقد أرسلته قريش إلى ملك الحبشة في شأن من هاجر إليه من المسلمين، ولا يختار في هذه المهام إلا ذو المكانة العالية. ولو نظرنا في الإسلام حيث يوليه النبي ﷺ في سرية ذات السلاسل بوجود أبي بكر وعمر، ويرسله إلى ملك عمان ليبلغ الدعوة، ثم يولى الإمارات من بعده من قبل الخلفاء، ولك أن تتخيل عمر بن الخطاب حينما نظر إلى عمرو بن العاص وهو يمشي فقال: لا ينبغي

لأبي عبد الله أن يمشي في الأرض إلا أميراً[(١)].

❁ والده:

العاص (أو العاصي)[(٢)] بن وائل، كان العاص أحد العظماء والحكام في الجاهلية وقائد بني سهم في حرب الفجار الثاني، لأجله عقد حلف الفضول ـ الذي دعا إليه الزبير بن عبد المطلب ـ لجحده متاع الزبيدي، فاجتمعت هاشم وزهرة وتيم بن مرة في دار عبد الله بن جدعان، وتعاقدوا وتعاهدوا ليكونن يداً واحدة مع المظلوم على الظالم حتى يُؤدَّى إليه حقه. ثم مشوا إلى العاصي بن وائل، فانتزعوا منه سلعة الزبيدي فدفعوها إليه.

وكان من ذوي الثراء يلبس حلة حِبَرَة[(٣)] وقميص مكفوف بحرير، ويلبس كذلك قباء من ديباج[(٤)]. أدرك الإسلام، وظل على الشرك حتى

---

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٥٥/٤٦).

(٢) قال ابن الجوزي: وعامة أصحاب الحديث يقولون ابن العاص بغير ياء وهو خطأ والذي حفظناه عن أهل اللغة منهم أبو محمد بن الخشاب إثبات الياء. وقال ابن حجر: والعاص بمهملتين من العوص لا من العصيان والصاد مرفوعة ويجوز كسرها، وقيل: إنه من العصيان فهو بالكسر جزماً، ويجوز إثبات الياء كالقاضي. وقال العيني العاص بضم الصاد وأصله العوص ويجوز بكسر الصاد لأن أصله العاصي نحو القاضي ولكن الياء خففت فيه. كشف المشكل (١٠٩/٤) الفتح لابن حجر (١٧٨/٧)، عمدة القاري للعيني (٣٨/٢٥).

(٣) حِبَرَة: وزان عنبة ثوب يماني من قطن أو كتان مخطط. المصباح المنير للفيومي (١١٨/١).

(٤) القباء: قال القرطبي: ثوب ضيق الكمين والوسط مشقوق من خلفه يلبس في السفر=



مات، ويعد من أول من حارب دعوة النبي ﷺ، ومن ألد أعدائه، ومع ذلك كان له بعض المواقف المنصفة من خصومه، فهو الذي وقف في وجه قريش لما كادوا أن يجهزوا على عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما أعلن إسلامه بين ظهرانيهم(١).

قال ابن إسحاق قال: حدثني نافع عن ابن عمر قال: لما أسلم عمر بن الخطاب قال: أي أهل مكة أنقل للحديث؟ قالوا: جميل بن معمر الجمحي، فخرج عمر، وخرجت وراء أبي وأنا غلام أعقل كلما رأيت، حتى أتاه، فقال: يا جميل هل علمت أني أسلمت؟ فو الله ما راجعه الكلام حتى قام يجر رداءه، وخرج عمر معه، وأنا مع أبي، حتى إذا قام على باب المسجد (الكعبة) صرخ بأعلى صوته: يا معشر قريش إن عمر قد صبا، فقال عمر: كذبت ولكني أسلمت، فبادروه فقاتلهم وقاتلوه حتى قامت الشمس على رؤوسهم وبلح(٢)، فجلس وعرشوا على رأسه قياماً وهو يقول: اصنعوا ما بدا لكم فأقسم بالله لو قد كنا ثلاثمائة رجل لقد تركتموها لنا أو تركناها لكم، فبينا هم على ذلك إذ

= والحرب لأنه أعون على الحركة وقال ابن بطال القباء من لبس الأعاجم اهـ. والديباج نوع من الحرير. فتح الباري (٦/٥٧٦)، عمدة القاري للعيني (٣١/٤٤٨).

(١) انظر: صحيح البخاري (٣/١٤٠٣)، وأنساب الأشراف للسمعاني (٢/٧٨١)، والكامل لابن الأثير (١/٢٠٨)، والبداية والنهاية لابن كثير (٣/٤٥٧)، والأعلام للزركلي (٣/٢٤٧).

(٢) أي انقطع من الإعياء فلم يقدر على التحرك. انظر: مقاييس اللغة لابن فارس (١/٢٩٧).



أقبل شيخ من قريش عليه حلة حبره وقميص قومسي، فقال: مه؟ فقالوا: خيراً، عمر بن الخطاب صبا، فقال: فمه؟! رجل اختار لنفسه ديناً أترون بني عدي بن كعب يسلمون لكم صاحبهم؟! هكذا عن الرجل. فو الله لكأنما كان ثوب كشف عنه، فلما قدمنا المدينة قلت: يا أبه من الرجل صاحب الحلة الذي صرف القوم عنك؟ قال: ذاك العاص بن وائل السهمي[1].

وفيه نزل قول الله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾[2].

فعن خباب قال: كنت قينا بمكة فعملت للعاصي بن وائل السهمي سيفاً فجئت أتقاضاه فقال:

لا أعطيك حتى تكفر بمحمد قلت لا أكفر بمحمد ﷺ حتى يميتك الله ثم يحييك. قال: إذا أماتني الله ثم بعثني ولي مال وولد فأنزل الله ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا﴾[3]. وكان من كبار المستهزئين

---

(١) السيرة لابن اسحاق (ص/١٨٥).

(٢) سورة مريم الآية (٧٧).

(٣) أخرجه البخاري: كتاب: تفسير القرآن، باب: قوله: ﴿أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا﴾ رقم (٤٤٥٦) واللفظ له، ومسلم: كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب سؤال اليهود النبي ﷺ عن الروح وقوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ﴾ (٤) رقم (٢٧٩٥).



بنبينا ﷺ، ولهذا روي في وفاته أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾[1]. أرسل الله عز وجل جبريل عليه السلام لينتقم ممن تطاول على النبي ﷺ وكان منهم العاص بن وائل، فلما مر به العاصي بن وائل فأشار إلى أخمص رجله، فركب إلى الطائف على حمار فريض به على شبرقة فدخلت في أخمص رجله شوكة فقتلته[2].

۞ والدته:

النابغة من بني جَلاّن بن عنزة بن أسد[3] بن ربيعة بن نزار[4].

وهي النابغة بنت حريملة، وقيل: بنت خزيمة، وقيل: سلمى بنت النابغة، سبية من عنزة[5].

۞ إخوته لأبيه:

لعمرو أخ من أبيه وهو هشام بن العاص وأمه حرملة بنت هشام بن

---

(١) سورة الحجر الآية (٩٥).

(٢) السيرة النبوية لابن إسحاق (ص/٢٧٣).

(٣) في معرفة الصحابة أسيد، وفي الاستيعاب وفي غيره من المصادر أسد.

(٤) معرفة الصحابة لأبي نعيم (١٩٨٧/١)، الاستيعاب لابن عبد البر (١٢٦/١).

(٥) تهذيب الكمال للمزي (٧٩/٢٢)، وفي الاستيعاب لابن عبد البر (٣٦٧/١) حرملة بدل حريملة، وقال وذكروا أنه جعل لرجل ألف درهم على أن يسأل عمرو بن العاص عن أمه وهو على المنبر، فسأله فقال: أمي سلمى بنت حرملة تلقب النابغة من بني عنزة، ثم أحد بني جلان، أصابتها رماح العرب، فبيعت بعكاظ، فاشتراها الفاكه بن المغيرة، ثم اشتراها منه عبد الله بن جدعان، ثم صارت إلى العاص بن وائل، فولدت له، فأنجبت، فإن كان جعل لك شيء فخذه. وانظر: أسد الغابة لابن الأثير (٢٤٤/٤).



المغيرة، وأبو جهل خاله، وكان هشام قديم الإسلام هاجر إلى الحبشة في المرة الثانية، ثم قدم إلى مكة للهجرة إلى المدينة وكان واعد عمر أن يمضي معه إلى المدينة، وقال له: انتظرني في أضاة بني غفار. فأخذه أبوه فكبله، فلم يزل محبوساً بمكة حتى مات أبوه العاص بن وائل في آخر السنة الأولى من الهجرة، ثم حبسه قومه بعد أبيه فلم يزل يحتال حتى تخلص، وقدم على رسول الله ﷺ بعد الخندق، وكان من خيار المسلمين، وكان يكنى أبا العاص، فكناه رسول الله ﷺ أبا مطيع، وكان أصغر سناً من أخيه عمرو بن العاص، خرج هشام مع من وجهه أبو بكر الصديق رضي الله عنه إلى الشام، فقتل في قول الكلبي يوم أجنادين(١)، وفي قول الواقدي باليرموك، ولا عقب لهشام بن العاص(٢).

وكان عمرو بن العاص رضي الله عنه يحبه حباً شديداً ويفضله على نفسه فيما روي عنه، قال ابن سعد رحمه الله:

قال: أخبرنا علي بن عبد الله بن جعفر قال: قال سفيان بن عيينة: قالوا لعمرو بن العاص: أنت خير أم أخوك هشام بن العاص؟ قال: أخبركم عني وعنه، عرضنا أنفسنا على الله، فقبله وتركني، قال سفيان: وقتل في بعض تلك المشاهد اليرموك أو غيره(٣).

(١) أَجنادَين على لفظ التثنية كأنه تثنية أجناد موضع من بلاد الأردن بالشام وقيل بل من أرض فلسطين بين الرملة وجيرون. معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع لأبي عبيد الأندلسي (١/١١٤).

(٢) أنساب الأشراف للسمعاني (١/٩٢)، (١٠/٢٨٢).

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد (٤/١٩٢).

وقد شهد له النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولأخيه بالإيمان، قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «ابْنَا الْعَاصِ مُؤْمِنَانِ: عَمْرٌو وَهِشَامٌ»(1).

❁ **إخوته لأمه:**

١ ـ عمرو(2) بن أبي أثاثة بن عبد العزى بن حرثان بن عوف بن عبيد بن عويج بن عدي. وهومن مهاجرة الحبشة.

قال ابن عبد البر: وعروة هذا قديم الإسلام بمكة لم يذكره ابن إسحاق فيمن هاجر إلى أرض الحبشة وذكره موسى بن عقبة وأبو معشر والواقدي(3).

٢ ـ عقبة بن نافع بن عبد قيس بن لقيط من بني الحارث بن فهر. وأبوه نافع جاء له ذكر في السيرة النبوية، إذ كان من ضمن النفر الذين هاجموا زينب بنت النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

قال البلاذري: فاعترضها رجال من قريش بذي طوى، فبدر إليها هبار بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى، ونافع بن عبد قيس ابن لقيط بن عامر الفهري، وهو أبو عقبة بن نافع، صاحب المغرب(4).

---

(١) أخرجه أحمد (١٣) رقم (٨٠٤٢)، واللفظ له، وابن سعد (١٩١/٤) والحاكم (٤٥٢/٣)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع رقم (٤٥).

(٢) ويقال فيه: عمرو بن أبي أثاثة، ويروى ابن أثاثة بن عبد العزى القرشي العدوي، كما نص عليه ابن عبد البر، ولتعدد الروايات في تعيين اسمه؛ كرر بعض أصحاب التراجم ترجمته في أكثر من موطن بحسب الروايات، وهي كما ترى أسماء لمسمى واحد.

(٣) الاستيعاب لابن عبد البر (٣٢٧/١).

(٤) أنساب الأشراف للسمعاني (١٧٦/١)، السيرة النبوية لابن كثير (٥١٩/٢).



وقد ورد أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أباح دمه يوم فتح مكة.

قال ابن إسحاق حدثني يزيد بن أبي حبيب عن بكير بن عبد الله ابن الأشج عن سليمان بن يسار عن أبي إسحاق الدوسي عن أبي هريرة قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سرية أنا فيها فقال لنا إن ظفرتم بهبار ابن الأسود أو الرجل الآخر الذي سبق معه إلى زينب.

قال ابن هشام: «وقد سمى ابن إسحاق الرجل في حديثه وقال: هو نافع بن عبد قيس فحرقوهما بالنار، قال فلما كان الغد بعث إلينا فقال: إني كنت أمرتكم بتحريق هذين الرجلين، إن أخذتموهما ثم رأيت أنه لا ينبغي لأحد أن يعذب بالنار إلا الله فإن ظفرتم بهما فاقتلوهما»[(١)].

قال ابن كثير: تفرد به ابن إسحاق وهو على شرط السنن ولم يخرجوه.

وقال البخاري: حدثنا قتيبة حدثنا الليث، عن بكير، عن سليمان ابن يسار، عن أبي هريرة أنه قال: بعثنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بعث فقال: «إِنْ وَجَدْتُمْ فُلاَنًا وَفُلاَنًا فَأَحْرِقُوهُمَا بِالنَّارِ» ثم قال حين أردنا الخروج: «إِنِّي أَمَرْتُكُمْ أَنْ تُحْرِقُوا فُلاَنًا وَفُلاَنًا، وَإِنَّ النَّارَ لاَ يُعَذِّبُ بِهَا إِلَّا اللهُ، فَإِنْ وَجَدْتُمُوهُمَا فَاقْتُلُوهُمَا»[(٢)].

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام (٣/٢٠٨)

(٢) السيرة النبوية لابن كثير (٢/٥١٩).



٥ ـ أرنب بنت عفيف بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس[١]، تزوجها قيس بن عمرو بن المؤمل[٢].

هؤلاء الثلاثة هم إخوة عمرو بن العاص رضي الله عنه من أمه.

❁ زوجاته:

١ ـ ريطة بنت منبه بن الحجاج بن عامر بن حذيفة بن سعد بن سهم، وأمها زينب بنت وائل بن هشام بن سعيد بن سهم، تزوجها عمرو بن العاص في سن مبكرة، فأنجبت له عبد الله رضي الله عنه، روي أنها أسلمت يوم الفتح وبايعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فعن عبد الله بن الزبير قال: لما كان يوم الفتح أسلمت ريطة بنت منبه بن الحجاج، وهي أم عبد الله بن عمرو بن العاص، وأتت رسول الله، فبايعته.

وقد روي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال فيها وفي وأهل بيتها: نعم أهل البيت عبد الله وأم عبد الله، وليست لها رواية[٣].

---

(١) انظر: جمهرة أنساب العرب لابن حزم (١/١٦٣) وتاريخ دمشق لابن عساكر (٥٢/١٣٦)، والإصابة لابن حجر (١٣/١١٨)، والحديث في صحيح البخاري (٤/٦١).

(٢) جمهرة أنساب العرب لابن حزم (١/١٦٣)، نسب قريش لمصعب الزبيري (١/١٣٦).

(٣) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٨/٢٦٩)، وأسد الغابة لابن الأثير (٣/٣٥٥)، وتهذيب الأسماء واللغات للنووي (١/٣٩٩)، والإصابة لابن حجر (٧/٦٦١).
والحديث في مسند أحمد (٣) رقم (١٣٨١) من طريق ابن أبي مليكة قال: قال طلحة بن عبيد الله فذكره.
قال الترمذي ابن أبي مليكة لم يدرك طلحة بن عبيد الله. سنن الترمذي (٦/١٧٠)، فالحديث منقطع.



٢ ـ أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي أخواها الوليد وعمارة ابنا عقبة، وهي أخت عثمان بن عفان لأمه، أسلمت بمكة وبايعت قبل الهجرة، وهي أول من هاجر من النساء بعد أن هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة[(١)].

قال ابن إسحاق: وهاجرت إلى رسول الله ﷺ أم كلثوم ابنة عقبة ابن أبي معيط في هدنة الحديبية، فخرج أخواها عمارة والوليد ابنا عقبة حتى قدما على رسول الله ﷺ يسألانه أن يردها عليهما بالعهد الذي كان بينه وبين قريش في الحديبية، فلم يفعل، وقال: أبى الله ذلك[(٢)].

وفيها نزل: ﴿فَٱمۡتَحِنُوهُنَّۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ﴾[(٣)].

قال ابن عبد البر: يقولون إنها مشت على قدميها من مكة إلى المدينة، فلما قدمت المدينة تزوجها زيد بن حارثة فقتل عنها يوم مؤتة، فتزوجها الزبير بن العوام، فولدت له زينب ثم طلقها فتزوجها عبد الرحمن بن عوف فولدت له إبراهيم وحميداً. ومنهم من يقول: إنها ولدت لعبد الرحمن إبراهيم وحميداً ومحمداً وإسماعيل، ومات عنها فتزوجها عمرو بن العاص فمكثت عنده شهراً وماتت. وهي أخت

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد (٢١٩/١٠)، وصفوة الصفوة لابن الجوزي (٥٥/٢ ـ ٥٨).

(٢) الاستيعاب لابن عبد البر (١٣٤/٢).

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد (١٣٠/٨)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤٩/١٨).

عثمان لأمه[1].

٣ ـ ذكر محمد بن حبيب البغدادي: أن عمراً تزوج بعاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل القرشية[2].

ويقال: خطبها عمرو بن العاص ومحمد بن أبي بكر فامتنعت عليهما[3].

❁ **أولاده:**

١ ـ ولِد لعمرو: عبد الله وهو ابن اثنتي عشرة سنة، أحد السابقين أسلم قبل أبيه، وكان فاضلاً حافظاً عالماً قرأ الكتاب وهو أحد المكثرين من الصحابة وأحد العبادلة الفقهاء، وأمه ريطة بنت منبه بن الحجاج السهمي[4]، وكان لعبد الله بن عمرو من الولد محمد وبه كان يكنى. وأمه بنت محمية بن جزء الزبيدي، وهشام، وهاشم، وعمران، وأم إياس، وأم عبد الله، وأم سعيد، وأمهم أم هاشم الكندية من بني وهب بن الحارث[5].

قال ابن حزم: لعبد الله بالوهط[6]، ومكة عقب كثير، يناهزون

(١) الاستيعاب لابن عبد البر (٢/١٣٥)، وانظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٨/٢٣١).
(٢) المحبر لمحمد بن حبيب (٢/٤٣٧).
(٣) الرياض النضرة في مناقب العشرة لمحب الدين الطبري (ص/٣٨٢).
(٤) الاستيعاب لابن عبد البر (٣/٨٦)، والتقريب لابن حجر رقم (٣٤٩٩).
(٥) الطبقات الكبرى لابن سعد (٤/٢٦١).
(٦) الوهط: بستان كان لعمرو بالطائف سيأتي ذكره (ص/١٥٥).



المائة: منهم كان المحدث عمرو، وأخواه عمر، وشعيب، بنو شعيب ابن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاصي، وأختهم عابدة: أمها عمرة بنت عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، وكان زوجها الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس وبسببها ردت أموال عمرو بن العاصي، بعد أن قبضها بنو العباس(١).

٢ ـ محمد، قال ابن حجر: وذكر العدوي في الأنساب أن محمداً صحب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو صغير وقال ابن سعد: أمه بلوية، وقال ابن البرقي: اسمها خولة بنت حمزة بن السليل(٢)، ومحمد لا عقب له(٣).

۞ إسلامه:

اختلف في السنة التي أسلم فيها عمرو بن العاص، فقيل: أسلم بين الحديبية وخيبر، ولا يصح، والصحيح ما ذكره الواقدي وغيره أن إسلامه كان سنة ثمان، وقدم هو وخالد بن الوليد، وعثمان بن طلحة للمدينة مسلمين، فلما دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونظر إليهم قال: «قد رمتكم مكة بأفلاذ كبدها»(٤).

قال الطبري: «كان سبب إسلام عمرو بن العاص ما حدثنا ابن

---

(١) جمهرة أنساب العرب لابن حزم (١/١٦٣ ـ ١٦٤).

(٢) الإصابة لابن حجر (٦/٦١).

(٣) نسب قريش لمصعب الزبيري (١/١٣٧).

(٤) الاستيعاب لابن عبد البر (٣/٢٦٨ ـ ٢٦٩) بتصرف، وانظر: تاريخ دمشق لابن عساكر (١٦/٢١٩).

حميد قال حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن يزيد بن أبي حبيب، عن راشد مولى بن أبي أوس، عن حبيب بن أبي أوس قال: حدثني عمرو ابن العاص من فيه إلى أذني قال: لما انصرفنا مع الأحزاب عن الخندق جمعت رجالاً من قريش كانوا يرون رأيي ويسمعون مني فقلت لهم: تعلمون والله أني لأرى أمر محمد يعلو الأمور علوّاً منكراً وإني قد رأيت رأياً فما ترون فيه؟ قالوا: وماذا رأيت، قلت: رأيت أن نلحق بالنجاشي فنكون عنده فإن ظهر محمد على قومنا كنا عند النجاشي فلأن نكون تحت يديه أحب إلينا من أن نكون تحت يدي محمد، وإن يظهر قومنا فنحن من قد عرفوا فلا يأتينا منهم إلا خير، فقالوا: إن هذا لرأي، قلت: فاجمعوا له ما نهدي إليه وكان أحب ما يهدى إليه من أرضنا الأدم فجمعنا له أدماً كثيراً ثم خرجنا حتى قدمنا عليه، فو الله إنا لعنده إذ جاءه عمرو بن أمية الضمري وكان رسول الله ﷺ قد بعثه إليه في شأن جعفر بن أبي طالب وأصحابه قال: فدخل عليه ثم خرج من عنده، قال: فقلت لأصحابي هذا عمرو بن أمية الضمري، لو قد دخلت على النجاشي وسألته إياه فأعطانيه فضربت عنقه، فإذا فعلت ذلك رأت قريش أني قد أجزأت عنها حين قتلت رسول محمد، فدخلت عليه فسجدت له كما كنت أصنع فقال: مرحباً بصديقي أهديت لي شيئاً من بلادك، قلت نعم أيها الملك قد أهديت لك أدماً كثيراً ثم قربته إليه فأعجبه واشتهاه، ثم قلت له أيها الملك إني قد رأيت رجلاً خرج من عندك وهو رسول رجل عدو لنا فأعطنيه لأقتله فإنه قد أصاب من

أشرافنا وخيارنا. قال: فغضب ثم مد يده فضرب بها أنفه ضربة ظننت أنه قد كسره ـ يعني النجاشي ـ، فلو انشقت الأرض لي لدخلت فيها فرقاً منه، ثم قلت: والله أيها الملك لو ظننت أنك تكره هذا ما سألتكه. قال: أتسألني أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى لتقتله، فقلت: أيها الملك أكذاك هو، قال: ويحك يا عمرو أطعني واتبعه فإنه والله لعلى الحق وليظهرن على من خالفه كما ظهر موسى على فرعون وجنوده، قال: قلت فتبايعني له على الإسلام قال: نعم فبسط يده فبايعته على الإسلام ثم خرجت إلى أصحابي وقد حال رأيي عما كان عليه وكتمت أصحابي إسلامي، ثم خرجت عامداً لرسول الله لأسلم فلقيت خالد بن الوليد وذلك قبل الفتح وهو مقبل من مكة فقلت إلى أين يا أبا سليمان، قال: والله لقد استقام المنسم[١] وإن الرجل لنبي، أذهبُ والله أُسْلِمُ فحتى متى؟ فقلت: والله ما جئت إلا لأسلم، فقدمنا على رسول الله ﷺ فتقدم خالد بن الوليد فأسلم وبايع، ثم دنوت فقلت: يا رسول الله، إني أبايعك على أن تغفر لي ما تقدم من ذنبي ولا أذكر ما تأخر، فقال رسول الله ﷺ: يا عمرو بايع فإن الإسلام يجب ما قبله وإن الهجرة تجب ما قبلها، فبايعته ثم انصرفت[٢].

(١) أي تبين الطريق. النهاية لابن الأثير (٥/١١٩).

(٢) تاريخ الطبري (٣/٣١).

والحديث حسن، أخرجه الإمام أحمد في المسند (٢٩/٣١٢) برقم ١٧٧٧٧، والحاكم في المستدرك (٣/٣٣٧)، والحارث في مسنده كما في بغية الحارث برقم (١٠٢٩)، والطبراني في الطوال (١/٢١٨) وغيرهم، وحسنه الشيخ الألباني في إرواء الغليل (٥/١٢٣)، و الأرناؤوط في تخريج الحديث في المسند.



❁ صفاته الخَلقية والخُلقية:

قال ابن عبد الحكم: وكانت صفة عمرو بن العاص كما حدثنا سعيد بن عفير عن الليث بن سعد: قصيراً، عظيم الهامة، ناتئ الجبهة، واسع الفم، عظيم اللحية، عريض ما بين المنكبين، عظيم الكفين، والقدمين. قال: قال الليث يملأ هذا المسجد(١).

قال بحير بن ذاخر المعافري:... فقام عمرو بن العاص على المنبر فرأيت رجلاً رَبْعَةً(٢) قصد القامة، وافر الهامة، أدعج، أبلج، عليه ثياب موشية، كأن به العقيان تأتلق، عليه حلة وعمامة وجبة(٣).

أما صفاته الخُلقية: فقد كان عمرو بن العاص من فرسان قريش وأبطالهم في الجاهلية والإسلام مذكوراً بذلك فيهم(٤)، فكان من رجال قريش شجاعة، ورأياً، ودهاء، وحزماً، وكفاءة، وبصراً بالحروب، ومن أشراف أمراء العرب، امتاز رضي الله عنه بأخلاق عالية وصفات رفيعة مع جميع طبقات المجتمع من أهلٍ، وأصحابٍ، وخدمٍ. وسأذكر مواقفاً حصلت له تدل على بعض ما تحلى به من هذه الصفات:

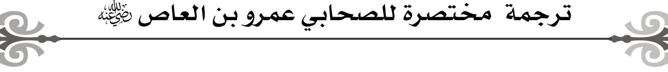
---

(١) فتوح مصر (٦٦/١).

(٢) مُعْتدِل الخَلْق. المخصص لابن سيده (١٨٤/١).

(٣) فتوح مصر وأخبارها لابن عبد الحكم (ص/٩٨)، المؤتلف والمختلف للدارقطني (١٠٠٣/٢).

(٤) الاستيعاب (٣٦٨/١).



❁ شجاعته:

ـ **في غزوة أحد:** خرجت قريش بحدها وحديدها وجدها وأحابيشها ومن تابعها من بني كنانة وأهل تهامة وخرجوا معهم بالظعن التماس الحفيظة، وأن لا يفروا وكان منهم عمرو بن العاص خرج بريطة بنت منبه بن الحجاج، وهي أم ابنه عبد الله وكان عمرو مشركاً آنذاك[1].

ـ **في يوم الأحزاب:** عن جابر بن عبد الله قال: لقد رأيتني أحرس الخندق، وخيل المشركين تطيف بالخندق، وتطلب غرة ومضيقاً من الخندق، فتقتحم فيه، وكان عمرو بن العاص وخالد بن الوليد هما اللذان يفعلان ذلك يطلبان الغفلة من المسلمين[2].

ـ **وفي يوم الأحزاب:** لما أخزى الله المشركين وهزم الأحزاب وحده انسحب المشركون بجيوشهم وعسكرهم وكان قائدهم أبو سفيان فخاف أن يطلبهم النبي ﷺ فقال لعمرو بن العاص: يا أبا عبد الله نقيم في جريدة من الخيل بإزاء محمد وأصحابه. فإنا لا نأمن أن نطلب. فقال عمرو: أنا أقيم. وقال: لخالد بن الوليد ما ترى أبا سليمان؟ فقال: أنا أيضاً أقيم. فأقام عمرو وخالد في مائتي فارس وسار جميع العسكر[3].

---

(١) انظر: البداية لابن كثير (٣٤٢/٥).

(٢) المغازي للواقدي (٤٦٥/٢).

(٣) السيرة الحلبية للحلبي (٦٥٣/٢).

فالشجاعة صفة ملازمة لعمرو من قبل الإسلام وقد قال ﷺ «فَخِيَارُكُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُكُمْ فِي الْإِسْلَامِ؛ إِذَا فَقُهُوا»[١].

أما بعد إسلامه ـ بعد أن صار هدفه في الحرب إما النصر أو الشهادة ـ فتاريخه حافل ومن شواهد ذلك:

ـ ما دار بينه وبين مسيلمة الكذاب حين مر عليه يوم قدم من عمان إلى المدينة بعد وفاة الرسول ﷺ. قال عمرو: فأقبلت حتى مررت على مسيلمة، فأعطاني الأمان، ثم قال: إن محمداً أرسل في جسيم الأمور، وأرسلت في المحقرات. وقلت: أعرض علي ما تقول. فقال: يا ضفدع نقي فإنك نعم ما تنقين، لا زاداً تنقرين ولا ماء تكدرين. ثم قال: يا وبر[٢] يا وبر إنما أنت إبراد[٣] وصدر وسائرك

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ...﴾ (٤) رقم (٣٣٧٤).

(٢) الوبر: بفتح الواو وتسكين الباء الموحدة دويبة أصغر من السنور طحلاء اللون لا ذنب لها تقيم في البيوت، وجمعها وبورو وبارو وبارة، والأنثى وبرة، وقول الجوهري: لا ذنب لها أي لا ذنب طويل، وإلا فالوبر له ذنب قصير جداً والناس يسمون الوبر بغنم بني اسرائيل، ويزعمون أنها مسخت لأن ذنبها مع صغره، يشبه ألية الخروف، وهو قول شاذ لا يلتفت إليه ولا يعول عليه. حياة الحيوان الكبرى لأبي البقاء الدميري (٢/٥٣٣).

(٣) هكذا في تاريخ دمشق (٤٦/١٥٤) طبعة دار الفكر تحقيق: عمرو العمروي، وفي بعض المصادر (يدان وصدر) كما في معجم الصحابة للبغوي (٥/٩١)، والسير (٣/٦٩)، وفي بعضها (أذنان وصدر) كما في تفسير ابن كثير (١/٢٠٣)، والبداية=




حفر[1] نقر، ثم أتى بأناس يختصمون إليه في نخلات قطعها بعضهم لبعض؛ فتسجى قطيفة، ثم كشف رأسه ثم قال: والليل الأدهم، والذئب الأصحم ما جاء ابن أبي مسلم من محرم. ثم تسجى الثانية فقال: والليل الدامس، والذئب الهامس ما حرمته رطباً إلا كحرمته يابس. قوموا فلا أرى عليكم في ما صنعتم بأساً. قال عمرو: أما والله إنك لكاذب وإنا لنعلم أنك لمن الكاذبين فتوعدني.

ـ **وفي اليرموك** قال عمرو بن العاص: يا أيها المسلمون غضوا الأبصار، واجثوا على الركب، واشرعوا الرماح، فإذا حملوا عليكم

= (٤٧٤/٩)، وروائع التفسير (الجامع لتفسير الإمام ابن رجب) (١٣٢/١)، وفي بعضها منكبان كما في رسالة الصاهل والشاحج لأبي العلاء التنوخي (٤٤٥/١).

(١) قال المحقق: الذي بالأصل وم: «شان خلقه حقر حقر» والمثبت: «وسائرك حفر نقر» عن البداية والنهاية وفي سير أعلام النبلاء: وبيان خلقه حفر. اهـ

ولعل الصواب حَقْرٌ نَقْر كما في البداية (٤٧٤/٩) طبعة هجر تحقيق التركي، وتفسير ابن كثير ـ في بعض المواضع ـ (٣٥٦/٤) طبعة دار طيبة تحقيق سامي سلامة.

قال ابن دريد: والحقر: مصدر حقرت الرجل أحقره حقراً ومحقرة فأنا حاقر والرجل محقور وحقير. وتقول العرب: استبت الْوَبرَة والأرنب فقالت الْوَبرَة للأرنب: خطم وأذنان وسائرك أصلتان وقالت الأرنب للوبرة: منكبان وصدر وسائرك حقر نقر. فكأن نقراً إتباع لأنهم يقولون: حقير نقير. تقول العرب: حقراً لفلان ومحقرة له وحقرة وحقارة. جمهرة اللغة لابن دريد (٥١٩/١).

وقال اللحياني: يقال: قال الوبر للأرنب: آذان آذان، عجز وكتفان، وسائرك أكلتان، فقال الأرنب: وبر وبر، عجز وصدر، وسائرك حقر نقر. مجمع الأمثال للميداني (٣٩٣/٢).




فأمهلوهم حتى إذا ركبوا أطراف الأسنة فثبوا إليهم وثبة الأسد، فو الذي يرضى الصدق ويثيب عليه ويمقت الكذب ويجزي بالإحسان إحساناً، لقد سمعت أن المسلمين سيفتحونها كفراً كفراً وقصراً قصراً، فلا يهولكم جموعهم ولا عددهم، فإنكم لو صدقتموهم الشد تطايروا تطاير أولاد الحجل[1].

ـ **وشد على عمرو بن العاص جماعة من الروم** فانكشف عنه أصحابه وثبت عمرو فجالدهم طويلا وقاتل قتالاً شديداً ثم تراجع إليه أصحابه[2].

ـ **ولما حملت الأزد يوم اليرموك** ودوس ودوخت المشركين دوخة عظيمة وحمل المشركون حملة هائلة انكشف المسلمون وكان صاحب لوائهم عياض بن غنم الأشعري، فولى منهزماً واللواء بيده، فصاح به الناس إنما ثبات القوم وأهل الحرب بألويتهم. فابتدر لأخذه عمرو بن العاص وخالد بن الوليد كلاهما يتسابق إليه، فأخذه عمرو، ولم يزل يقاتل به حتى انهزمت الروم، وفتح الله على أيدي المسلمين[3].

وفي رواية أخرى: فلما رأى عمرو بن العاص صاحب الراية ينكشف بها أخذها ثم جعل يتقدم وهو يصيح إلي يا معاشر المسلمين، فجعل يطعن بها قدماً وهو يقول: اصنعوا كما أصنع، حتى إنه ليرفعها

---

(١) البداية لابن كثير (٩/٥٥٥).

(٢) الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء للكلاعي (٣/٢٦٨).

(٣) فتوح الشام للواقدي (١/٢٠١).



وكأن عليها ألسنة المطر من العلق[1].

وكان لعمرو بن العاص سيف يسمى: اللُّجُّ، وقال في حروب الشام: الرجز:

أضربهم باللج حتى يخلّوا   الفرج لمن مشى ودج[2]

۞ كفاءته وبصره بالحرب:

اجتمعت في عمرو صفات القائد العظيم المحنك، وهي القوة والشجاعة والبصيرة بالحرب والخبرة بفنون القتال، وكانت هذه الصفات ظاهرة في شخصيته؛ لذلك كان يُشَارُ إِلَيْهِ بِالْبَنَانِ في تولية القيادة، ومما يدل على ذلك أنه:

ـ أمَّره رسول الله ﷺ على سرية نحو الشام، فبعثه إلى أخوال أبيه العاص بن وائل من بلي فكان قدومه إلى المدينة في صفر سنة ثمان، ووجهه رسول الله ﷺ في جمادى الآخرة سنة ثمان فيما ذكره الواقدي وغيره إلى السلاسل من بلاد قضاعة في ثلاثمائة[3].

روى ابن سعد عن عبد الله بن بريدة قال: قال عمر لأبي بكر لما

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٥٧/٤٦). والعلق الدم الغليظ. تهذيب اللغة للأزهري (٢٤٣/١)، الصحاح للجوهري (١٥٢٩/٤).

(٢) انظر: المنمق في أخبار قريش لمحمد بن حبيب (ص/٥٢٢). ومعنى دج: مشى مشياً رويداً في تقارب خطو. وقيل: هو أن يقبل ويدبر. وقيل: هو الدبيب بعينه. المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده (١٨٩/٧).

(٣) سيأتي ذكره (ص/١٢٨).



لم يدع عمرو بن العاص الناس أن يوقدوا ناراً: «ألا ترى إلى هذا ما صنع بالناس يمنعهم منافعهم»؟ قال: فقال أبو بكر: «دعه، فإنما ولاه رسول الله ﷺ علينا لعلمه بالحرب»(١).

ولهذا قال عمرو بن العاص: «ما عدل بي رسول الله ﷺ وبخالد ابن الوليد في حربه منذ أسلمنا أحدا من أصحابه»(٢).

ـ **عندما اهتم أبو بكر بالشام وعنّاه أمره**، وكان أبو بكر قد رد عمرو بن العاص إلى عمله الذي كان رسول الله ﷺ ولاه إياه من صدقات سعد هذيم وعذرة وغيرهم قبل ذهابه إلى عمان، ووعده أن يعيده إلى عمله بعد عوده من عمان، فأنجز له أبو بكر عدة رسول الله ﷺ.

فلما عزم على قصد الشام كتب له: إني كنت قد رددتك على العمل الذي ولاك رسول الله ﷺ مرة ووعدك به أخرى إنجازاً لمواعيد رسول الله ﷺ، وقد وليته، وقد أحببت أن أفرغك لما هو خير لك في الدنيا والآخرة، إلا أن يكون الذي أنت فيه أحب إليك.

فكتب إليه عمرو: إني سهم من سهام الإسلام، وأنت بعد الله الرامي بها والجامع لها، فانظر أشدها وأخشاها وأفضلها فارم به. فأمره وأمر الوليد بن عقبة ـ وكان على بعض صدقات قضاعة ـ أن يجمعا العرب،

(١) الطبقات الكبرى طبعة الخانجي ٥/٥٥، وسنده صحيح إلى عبد الله بن بريدة لكنه لم يدرك أبا بكر.

(٢) مسند أبي يعلى (٧٣٤٧)، قال محققه حسين سليم أسد: رجاله ثقات.



ففعلا، وأرسل أبو بكر إلى عمرو بعض من اجتمع إليه، وأمره بطريق سماها له إلى فلسطين، وأمر الوليد بالأردن وأمده ببعضهم، وأمر يزيد بن أبي سفيان على جيش عظيم هو جمهور من انتدب إليه، فيهم سهيل بن عمرو في أمثاله من أهل مكة، وشيَّعه ماشياً، وأوصاه وغيره من الأمراء[(١)].

ـ لما تحركت جيوش المسلمين نحو الشام في عهد الخليفة أبي بكر رضي الله عنه، بلغ الروم ذلك فكتبوا إلى هرقل وخرج هرقل حتى نزل بحمص فأعد لهم الجنود، وعبى لهم العساكر، وأراد اشتغال بعضهم عن بعض لكثرة جنده وفضول رجاله، وأرسل إلى عمرو أخاه تذارق لأبيه وأمه، فخرج نحوهم في تسعين ألفاً وبعث من يسوقهم حتى نزل صاحب الساقة ثنية جِلَّق بأعلى فلسطين، وبعث جَرَجة بن توذرا نحو يزيد بن أبي سفيان، فعسكر بإزائه، وبعث الدراقص فاستقبل شرحبيل بن حسنة، وبعث الفيقار بن نسطوس في ستين ألفاً نحو أبي عبيدة. فهابهم المسلمون، وجميع فرق المسلمين واحد وعشرون ألفاً سوى عكرمة في ستة آلاف. ففزعوا جميعاً بالكتب وبالرسل إلى عمرو: أنْ مَا الرَّأْيُ؟ فكاتبهم وراسلهم: إن الرأي الاجتماع، وذلك أن مثلنا إذا اجتمع لم يغلب من قلة، وإذا نحن تفرقنا لم يبق الرجل منا في عدد يقرن فيه لأحد ممن استقبلنا وأعد لنا لكل طائفة منا، فاتعدوا اليرموك ليجتمعوا به وقد كتب إلى أبي بكر بمثل ما كاتبوا به عمراً فطلع عليهم

---

(١) الكامل في التاريخ (٢/٢٤٩)، البداية والنهاية (٩/٥٤١).



كتابه بمثل رأي عمرو[1]، وتوافقُ رأي أبي بكر ورأي عمرو بن العاص رضي الله عنه، يدل على شجاعته ودهائه وبصره بالحرب.

❁ دهاؤه:

لعل صفة الدهاء من أظهر صفات عمرو رضي الله عنه، حتى عرف بها بين قومه قبل الإسلام وبعده، وهي صفة تنم عن اتقاد ذكائه ووفور قريحته وقد وظَّفها عمرو جيداً في خدمة دينه، ومن أصدق الدلائل وأظهر الشواهد على ذلك:

ـ لما كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى عمرو بن العاص رضي الله عنه بالمسير إلى إيليا، ومناجزة صاحبها فاجتاز في طريقه عند الرملة بطائفة من الروم، فكانت وقعة أجنادين، وذلك أنه سار بجيشه وعلى ميمنته ابنه عبد الله بن عمرو، وعلى ميسرته جنادة بن تميم المالكي، من بني مالك بن كنانة، ومعه شرحبيل بن حسنة، واستخلف على الأردن أبا الأعور السلمي، فلما وصل إلى الرملة وجد عندها جمعاً من الروم عليهم الأرطبون، وكان أدهى الروم وأبعدها غوراً، وأنكأها فعلاً، وقد كان وضع بالرملة جنداً عظيماً، وبايلياء جنداً عظيماً، فكتب عمرو إلى عمر بالخبر.

فلما جاءه كتاب عمرو قال: قد رمينا أرطبون الروم بأرطبون العرب، فانظروا عما تنفرج.

وبعث عمرو بن العاص علقمة بن حكيم الفراسي، ومسروق بن

---

(١) تاريخ الطبري (٣/٣٩٢).



بلال العكي على قتال أهل إيليا، وأبا أيوب المالكي إلى الرملة، وعليها التذارق، فكانوا بإزائهم ليشغلوهم عن عمرو بن العاص وجيشه، وجعل عمرو كلما قدم عليه إمداد من جهة عمر يبعث منهم طائفة إلى هؤلاء وطائفة إلى هؤلاء. وأقام عمرو على أجنادين لا يقدر من الأرطبون على سقطة ولا تشفيه الرسل، فوليه بنفسه، فدخل عليه كأنه رسول، فأبلغه ما يريد وسمع كلامه وتأمل حضرته حتى عرف ما أراد، وقال الأرطبون في نفسه: والله إن هذا لعمرو أو أنه الذي يأخذ عمرو برأيه، وما كنت لأصيب القوم بأمر هو أعظم من قتله.

فدعا حرسيّاً فسارَّه فأمره بقتله فقال: اذهب فقم في مكان كذا وكذا، فإذا مر بك فاقتله، ففطن عمرو بن العاص، فقال للأرطبون: أيها الأمير إني قد سمعت كلامك وسمعت كلامي، وإني واحد من عشرة بعثنا عمر بن الخطاب لنكون مع هذا الوالي لنشهد أموره، وقد أحببت أن آتيك بهم ليسمعوا كلامك ويروا ما رأيت.

فقال الأرطبون: نعم! فاذهب فأتني بهم، ودعا رجلاً فساره فقال: اذهب إلى فلان فرده.

وقام عمرو فذهب إلى جيشه ثم تحقق الأرطبون أنه عمرو بن العاص، فقال: خدعني الرجل، هذا والله أدهى العرب. وبلغت عمر بن الخطاب فقال: لله در عمرو.

ثم ناهضه عمرو فاقتتلوا بأجنادين قتالاً عظيماً، كقتال اليرموك، حتى كثرت القتلى بينهم، ثم اجتمعت بقية الجيوش إلى عمرو بن العاص،

وذلك حين أعياهم صاحب إيليا وتحصن منهم بالبلد، وكثر جيشه، فكتب الأرطبون إلى عمرو بأنك صديقي ونظيري أنت في قومك مثلي في قومي، والله لا تفتح من فلسطين شيئاً بعد أجنادين، فارجع ولا تُغِرْ، فتلقى مثل ما لقي الذين قبلك من الهزيمة، فدعا عمرو رجلاً يتكلم بالرومية فبعثه إلى أرطبون وقال: اسمع ما يقول لك ثم ارجع فأخبرني.

وكتب إليه معه: جاءني كتابك وأنت نظيري ومثلي في قومك، لو أخطأتك خصلة تجاهلت فضيلتي وقد علمت أني صاحب فتح هذه البلاد، واقرأ كتابي هذا بمحضر من أصحابك ووزرائك.

فلما وصله الكتاب جمع وزراءه وقرأ عليهم الكتاب فقالوا للأرطبون: من أين علمت أنه ليس بصاحب فتح هذه البلاد؟ فقال: صاحبها رجل اسمه على ثلاثة أحرف.

فرجع الرسول إلى عمرو، فأخبره بما قال، فكتب عمرو إلى عمر يستمده ويقول له: إني أعالج حرباً كئوداً[(١)] صدوماً، وبلاداً ادخرت لك، فرأيك.

فلما وصل الكتاب إلى عمر علم أن عمراً لم يقل ذلك إلا لأمر علمه، فعزم عمر على الدخول إلى الشام لفتح بيت المقدس[(٢)].

---

(١) أي شاقة وصعبة. انظر الصحاح للجوهري (٥٢٩/٢)، المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده (٨٠/٧).

(٢) البداية والنهاية لابن كثير (٦٥٥/٩).

ـ لما حضرت القبط(١) باب عمرو وبلغ عمراً أنهم يقولون: ما أَرَثَّ العرب وأهون عليهم أنفسهم، ما رأينا مثلنا دان لهم، فخاف أن يستثيرهم ذلك من أمرهم، فأمر بجزر فذبحت فطبخت بالماء والملح وأمر أمراء الأجناد أن يحضروا وأعلموا أصحابهم وجلس وأذن لأهل مصر، وجيء باللحم والمرق فطافوا به على المسلمين فأكلوا أكلاً عربياً، انتشلوا وحسوا وهم في العباء ولا سلاح، فافترق أهل مصر وقد ازدادوا طمعاً وجرأة، وبعث في أمراء الجنود في الحضور بأصحابهم من الغد وأمرهم أن يجيئوا في ثياب أهل مصر وأحذيتهم، وأمرهم أن يأخذوا أصحابهم بذلك ففعلوا، وأذن لأهل مصر، فرأوا شيئاً غير ما رأوا بالأمس، وقام عليهم القوّام بألوان مصر فأكلوا أكل أهل مصر ونحوا نحوهم فافترقوا وقد ارتابوا وقالوا: كدنا. وبعث إليهم أن تسلحوا للعرض غداً، وغدا على العرض وأذن لهم فعرضهم عليهم ثم قال: إني قد علمت أنكم رأيتم في أنفسكم أنكم في شيء حين رأيتم اقتصاد العرب وهون تزجيتهم فخشيت أن تهلكوا؛ فأحببت أن أريكم حالهم وكيف كانت في أرضهم، ثم حالهم في أرضكم، ثم حالهم في الحرب فظفروا بكم وذلك عيشهم، وقد كلبوا على بلادكم قبل أن ينالوا منها ما رأيتم في اليوم الثاني، فأحببت أن تعلموا أن من رأيتم في اليوم الثالث

---

(١) القِبْط: أَهْلُ مِصْرَ، وهم بُنْكُها، بالضَّمِّ، أَي أَصلُها وخَالِصُها، والنسبة إليهم قِبْطِيٌّ وقِبْطِيّةٌ. انظر: العين للفراهيدي (٥/١٠٩)، تهذيب اللغة للأزهري (٩/٣٣)، وتاج العروس للزبيدي (٢٠/٥) وسيأتي سبب تسميتهم به في المبحث الخامس من الفصل الثاني (ص/٣١٥).



غير تارك عيش اليوم الثاني وراجع إلى عيش اليوم الأول فتفرقوا وهم يقولون: لقد رمتكم العرب برجلهم، وبلغ عمر فقال لجلسائه: والله إن حربه للينة ما لها سطوة ولا سورة[١] كسورات الحروب من غيره، إن عمراً لَعِضٌّ[٢] ثم أمره عليها وقام بها[٣].

وقال معاوية لعمرو بن العاص رضي الله عنهما: ما بلغ من دهائك يا عمرو؟ قال عمرو: لم أدخل في أمرٍ قط فكرهته إلا خرجت منه[٤].

فهو داهية قريش ورجل العالم، ومن يضرب به المثل في الفطنة، والدهاء، والحزم[٥].

قال الشعبي: دهاة العرب أربعة: معاوية، وعمرو، والمغيرة، وزياد. فأما معاوية فللأناة والحلم، وأما عمرو فللمعضلات، والمغيرة للمبادهة، وأما زياد فللصغير والكبير[٦].

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا استضعف رجلاً في رأيه وعقله قال: أشهد أن خالقك وخالق عمرو واحد، يريد خالق الأضداد[٧].

---

(١) السورة: الشدة والحدة والبطش. تاج العروس للزبيدي (٣/٢٨٣).

(٢) العِضّ: الدّاهية. يقال: هو عِضٌّ ما يُفْلِت منه شيء. مقاييس اللغة لابن فارس (٤/٣٨).

(٣) أخرجه الطبري في تاريخه (٤/١١٠)، وانظر: الاكتفاء للكلاعي (٤/٤١).

(٤) عيون الأخبار لابن قتيبة (١/٣٩٤)، أنساب الأشراف للبلاذري (٥/٤٠).

(٥) السير للذهبي (٣/٥٥).

(٦) المصدر نفسه (٣/٥٨).

(٧) الاستيعاب لابن عبد البر (٣/٢٦٩)، والإصابة لابن حجر (٣/٢ ـ ٣).



فعن قبيصة بن جابر أنه قال: صحبت عمرو بن العاص فما رأيت رجلاً أبين، أو قال: أنصع طرفاً منه ولا أكرم جليساً ولا أشبه سريرةً بعلانيةٍ منه[1].

۞ كرمه وورعه وصدقه:

من صفات القائد العظيم المحنك الكرم والورع والصدق ومن تتبع تراجم عمرو يجد هذه الصفات متمثلة فيه، ومن دلائل ذلك:

ـ أن عمرو بن العاص رضي الله عنه لما كان عند الموت دعا حرسه فقال: أي صاحب كنت لكم؟ قالوا: كنت لنا صاحب صدق تكرمنا وتعطينا وتفعل وتفعل[2].

ـ حصل ذات يوم بين عمرو بن العاص وبين المغيرة بن شعبة كلام في الوهط[3] فسبَّه المغيرة فقال عمرو يا آل هصيص، أيسبني ابن شعبة قال ابنه عبد الله: إنا لله وإنا إليه راجعون، دعوت بدعوى القبائل، وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن دعوى القبائل، قال: فأعتق ثلاثين رقبة[4].

---

(١) أخرجه أبو يوسف الفسوي في المعرفة والتاريخ (٤٥٨/١)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (١٧٩/٤٦).

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٨٠/٥)، ومن طريقه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٩٨/٤٦ ـ ١٩٩).

(٣) الوهط: بستان كان لعمرو بالطائف سيأتي ذكره (ص/١٥٥).

(٤) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢٩٢/٤) ومن طريقه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٨٢/٤٦).

ـ عن أبي عمران الفلسطيني قال: بينا امرأة عمرو بن العاص تفلي رأسه إذ نادت جارية لها فأبطأت عنها، فقالت: يا زانية، فقال عمرو: رأيتيها تزني؟ قالت: لا. قال: والله لتضربن لها يوم القيامة ثمانين سوطاً، فقالت: لجاريتها وسألتها تعفو فعفت عنها، فقالت: هل يجزي عني؟ فقال لها وما لها ألا تعفو وهي تحت يدك! فأعتقيها. فقالت: هل يجزئ عني ذلك؟ قال: فلعل[1].

ـ أن عمرو بن العاص قاتل الروم بالإسكندرية يوماً من الأيام قتالاً شديداً، فلما استحر القتال بينهم بارز رجل من الروم مسلمة بن مخلد فصرعه الرومي، وألقاه عن فرسه، وأهوى إليه ليقتله حتى حماه رجل من أصحابه، وكان مسلمة لا يقام بسبيله، ولكنها مقادير ففرحت بذلك الروم وشق ذلك على المسلمين، وغضب عمرو بن العاص لذلك، وكان مسلمة كثير اللحم ثقيل البدن فقال عمرو بن العاص عند ذلك ما بال الرجل المسَّتَةُ[2] الذي يشبه النساء يتعرض مداخل الرجال ويتشبه بهم، فغضب مسلمة من ذلك ولم يراجعه... ثم اعتذر عمرو بعد ذلك فقال: استغفر لي ما كنت قلت لك، فاستغفر له، وقال عمرو والله ما أفحشت قط إلا ثلاث مرات مرتين في الجاهلية وهذه الثالثة، وما منهن مرة إلا وقد ندمت، وما استحييت من واحدة منهن أشد مما

---

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٨١/٤٦).

(٢) هكذا في فتوح مصر، ونهاية الأرب، وفي المواعظ (السَّتَةُ): مصدر الأَسْتَهِ، وهو الضّخْمُ الاسْتِ. تهذيب اللغة للأزهري (٧٤/٦)، وفي الاكتفاء: (المسبّه) ومعناه الذَّاهِب الْعقل. تهذيب اللغة (٨٤/٦).



استحييت مما قلت لك والله إني لأرجو أن لا أعود إلى الرابعة ما بقيت[1].

۞ حلمه:

تقدم أن من صفات القائد العظيم المحنك، الكرم والورع والصدق، وقد وجدت هذه الصفات في عمرو بن العاص رضي الله عنه، ولقد توجها بحلمه العظيم فمن ذلك:

ـ في عام طاعون عمواس لما اشتعل الوجع قام أبو عبيدة في الناس خطيباً فقال: أيها الناس إن هذا الوجع رحمة بكم، ودعوة نبيكم محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وموت الصالحين قبلكم، وإن أبا عبيدة يسأل الله أن يقسم له منه حظه فطعن فمات، واستخلف على الناس معاذ بن جبل، قال: فقام خطيباً بعده، فقال: أيها الناس إن هذا الوجع رحمة ربكم ودعوة نبيكم وموت الصالحين قبلكم، وإن معاذاً يسأل الله أن يقسم لآل معاذ منه حظهم فطعن ابنه عبدالرحمن بن معاذ فمات، ثم قام فدعا به لنفسه فطعن في راحته، فلقد رأيته ينظر إليها ثم يقبل ظهر كفه، ثم يقول ما أحب أن لي بما فيك شيئاً من الدنيا، فلما مات استخلف على الناس عمرو بن العاص، فقام خطيباً في الناس فقال: أيها الناس إن هذا الوجع إذا وقع فإنما يشتعل اشتعال النار فتجبلوا منه في الجبال، فقال أبو وائلة

---

(١) أخرجه ابن عبد الحكم في فتوح مصر (ص/٦٠)، وانظر الاكتفاء للكلاعي (٤/٢٥ ـ ٢٦)، ونهاية الأرب في فنون الأدب للنويري (١٩/١٠٤)، والمواعظ والاعتبار للمقريزي (١/٤٦٣).



الهذلي: كذبت والله، لقد صحبت رسول الله ﷺ وأنت شر من حماري هذا. قال: والله ما أرد عليك ما تقول وأيم الله لا نقيم عليه، ثم خرج وخرج الناس فتفرقوا ورفعه الله عنهم قال فبلغ ذلك عمر بن الخطاب من رأي عمرو بن العاص فوالله ما كرهه[١].

فهذه بعض الصفات التي يتحلى بها عمرو بن العاص رضي الله عنه وهي أخلاق رفيعة ولا غرو في ذلك فهو من مدرسة محمد ﷺ.

۞ مناقبه:

يكفي في فضله صحبة رسول الله ﷺ فهي أكبر منقبة له إذ فضل الصحبة لا يعادله فضل، وذكرت في المقدمة بعضاً من الآيات والأحاديث الدالة على فضل الصحابة إلا أن عمراً ورد في مناقبه وفضله أحاديث خاصة به منها:

١ ـ عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «أَسْلَمَ النَّاسُ وَآمَنَ عَمْرُو بْنُ العَاصِ»[٢].

---

(١) أخرجه الطبري في تاريخه (٦٢/٤)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (١٠٨/٦٨)، وابن الأثير في أسد الغابة (٣١٩/٦).

(٢) أخرجه أحمد (٢٨) رقم (١٧٤١٣)، والترمذي: أبواب المناقب عن رسول الله ﷺ، باب مناقب عمرو بن العاص رضي الله عنه (٥) رقم (٣٨٤٤) واللفظ له، وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة عن مشرح، وليس إسناده بالقوي، وحسنه الشيخ الألباني في صحيح الجامع رقم (٩٧١)، وقال في الصحيحة رقم (١٥٥) ـ رداً على تعليق الترمذي ـ: مشرح بن هاعان وثقه ابن معين وغيره، وضعفه بعضهم، وهو حسن الحديث عندي، وابن لهيعة وإن كان ضعيفاً لسوء حفظه فإن رواية العبادلة=



٢ ـ عن أبي هريرة ﵁ قال: قال النبي ﷺ: «ابْنَا الْعَاصِ مُؤْمِنَانِ: عَمْرٌو وَهِشَامٌ»[(١)].

٣ ـ قال طلحة ﵁: «ألا أحدثكم عن رسول الله ﷺ بشيء؟ إني سمعته يقول: «إِنَّ عَمْرَو بْنَ العَاصِ مِنْ صَالِحِي قُرَيْشٍ»[(٢)].

٤ ـ عن عمرو بن العاص ﵁، قال: «كَانَ فَزَعٌ بِالْمَدِينَةِ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَذْهَبُونَ هَكَذَا وَهَكَذَا، فَدَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَإِذَا سَالِمٌ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ مُحْتَبٍ بِحَمَائِلِ[(٣)] سَيْفِهِ عِنْدَ الْمِنْبَرِ مِنْبَرِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: فَقَعَدْتُ مَعَ سَالِمٍ، وَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلاَ كَانَ مَفْزَعُكُمْ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ، أَلاَ فَعَلْتُمْ مَا فَعَلَ هَذَانِ الرَّجُلاَنِ الْمُؤْمِنَانِ؟»[(٤)].

= عنه يصحح حديثه كما جاء في ترجمته، وهذا من رواية اثنين منهم، وهما: أبو عبد الرحمن، واسمه عبد الله بن يزيد المقري، وعبد الله بن وهب.

(١) تقدم تخريجه (ص/١٠٢).

(٢) أخرجه أحمد (٣) رقم (١٣٨٢)، والترمذي: أبواب: المناقب عن رسول الله ﷺ، باب: مناقب عمرو بن العاص ﵁. (٣١٦/٢) والطبراني في المعجم الكبير (١٣/١) وصححه الشيخ الألباني بشواهده انظر الصحيحة (١٥٢/٢).

(٣) قال الأصمعي: هي عِلاقة السيف التي تقع على العاتق. المخصص لابن سيده (١٩/٢).

(٤) أخرجه الطيالسي (٣١٥/٢) واللفظ له، وأحمد (٢٩) رقم (١٧٨١٠)، والنسائي في الكبرى (٥) رقم (٨٣٠١)، وابن حبان (١٥) رقم (٧٠٩٢)، قال الهيثمي في المجمع (٤٩٤/٩) رجاله رجال الصحيح، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.



٥ ـ عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«يَا عَمْرُو اشْدُدْ عَلَيْكَ سِلاَحَكَ، وَثِيَابَكَ، وَأْتِنِي فَفَعَلْتُ فَجِئْتُهُ وَهُوَ يَتَوَضَّأُ، فَصَعَّدَ فِيَّ الْبَصَرَ وَصَوَّبَهُ، وَقَالَ: يَا عَمْرُو، إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَبْعَثَكَ وَجْهًا، فَيُسَلِّمَكَ اللَّهُ وَيُغْنِمَكَ، وَأَزْعَبُ(١) لَكَ مِنَ الْمَالِ زَعبَةً صَالِحَةً، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي لَمْ أُسْلِمْ رَغْبَةً فِي الْمَالِ، إِنَّمَا أَسْلَمْتُ رَغْبَةً فِي الْجِهَادِ، وَالْكَيْنُونَةِ مَعَكَ، قَالَ: يَا عَمْرُو، نَعِمَّا بِالْمَالِ الصَّالِحِ، لِلرَّجُلِ الصَّالِحِ»(٢).

۞ أعماله:

تولى عمرو بن العاص رضي الله عنه الكثير من المناصب والأعمال من النبي صلى الله عليه وآله وسلم والخلفاء من بعده.

ـ فقد أمَّره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على سرية نحو الشام(٣)، فبعثه إلى

---

(١) قال أبوعبيد:... قال الأصمعي: قوله: أزعب لك زعبةً من المال أي أُعطيك دُفعة من المال. قال: والزعب هو الدفع يقال: جاءنا سيل يزعب زعبا أي يتدافع. غريب الحديث لابن سلام (١/٩٤).

تنبيه: في بعض مصادر الحديث وأرغب لك من المال رغبة صالحة.

(٢) أخرجه أحمد (٢٩) رقم (١٧٨٠٢) واللفظ له، والبخاري في الأدب المفرد (١/١١٢)، وأبو داود الطيالسي (١) رقم (١٠٦١)، وأبو يعلى (١٣) رقم (٧٣٣٦) وابن حبان (٨) رقم (٣٢١١)، وصححه الحاكم (٢/٣) وقال على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في غاية المرام (١/٤٥٤).

(٣) وفي هذه السرية أثنى عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بقوله: «نعما بالمال الصالح للرجل الصالح» وقد تقدم ذكره في أول الصفحة.



أخوال أبيه العاص بن وائل من بلي يدعوهم إلى الإسلام ويستنفرهم إلى الجهاد، فشخص عمرو إلى ذلك الوجه، فكان قدومه إلى المدينة في صفر سنة ثمان، ووجهه رسول الله ﷺ في جمادى الآخرة سنة ثمان فيما ذكره الواقدي وغيره إلى السلاسل من بلاد قضاعة في ثلاثمائة.

وكانت أم والد عمرو من بلي، فبعثه رسول الله ﷺ إلى أرض بلي وعذرة، يستألفهم بذلك، ويدعوهم إلى الإسلام، فسار حتى إذا كان على ماء بأرض جذام يقال له: السلاسل وبذلك سميت تلك الغزوة ذات السلاسل، فخاف فكتب إلى رسول الله ﷺ من تلك الغزوة يستمده، فأمده بجيشٍ من مائتي فارس من المهاجرين والأنصار أهل الشرف، فيهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، وأمر عليهم أبا عبيدة، فلما قدموا على عمرو قال: أنا أميركم، وإنما أنتم مددي. وقال أبو عبيدة: بل أنت أمير من معك، وأنا أمير من معي فأبى عمرو، فقال له أبو عبيدة: يا عمرو، إن رسول الله ﷺ عهد إلي: إذا قدمت على عمرو، فتطاوعا، ولا تختلفا، فإن خالفتني أطعتك. قال عمرو: فإني أخالفك، فسلم له أبو عبيدة، وصلى خلفه في الجيش كله، وكانوا خمسمائة[1]. فأصابهم برد شديد فقال لهم عمرو: لا يوقدن أحد ناراً. قال: ثم قابل القوم فلما قدموا على النبي ﷺ شكوا ذلك إليه فقال يا نبي الله كان في أصحابي قلة فخشيت أن يرى العدو قلتهم ونهيتهم أن يتبعوا العدو مخافة أن

(١) الاستيعاب (٣/٢٦٨).

يكون لهم كمين قال فأعجب ذلك رسول الله ﷺ[١].

ـ وبعثه ﷺ يوم فتح مكة إلى سواع صنم هذيل؛ ليهدمه قال عمرو: فانتهيت إليه وعنده السادن فقال: ما تريد قلت: أمرني رسول الله ﷺ أن أهدمه قال: لا تقدر على ذلك قلت: لم؟ قال: تمنع قلت: حتى الآن أنت في الباطل ويحك وهل يسمع أو يبصر قال: فدنوت منه فكسرته وأمرت أصحابي فهدموا بيت خزانته فلم يجدوا فيه شيئا ثم قلت للسادن: كيف رأيت؟ قال أسلمت لله[٢].

ـ وبعثه ﷺ في السنة نفسها إلى جَيْفَر وعمرو ابني الجُلَنْدَى بِعُمَان ـ وكان الملك منهما جيفراً وكانا من الأزد ـ؛ مصدقاً فخليا بينه وبين الصدقة فأخذ الصدقة من أغنيائهم وردها على فقرائهم وأخذ الجزية من المجوس الذين بها، ولم يزل رضي الله عنه بِعُمَان حتى مات النبيّ صلّى اللَّه عليه[٣]، فخرج منها فقدم المدينة فبعثه أبو بكر الصديق أحد الأمراء إلى الشام فتولى ما تولى من فتحها وشهد اليرموك[٤].

وكان عمرو بن العاص من أمراء الأجناد في الجهاد بالشام في زمن عمر وهو الذي افتتح قنسرين وصالح أهل حلب ومنبج وأنطاكية[٥]، وولاه بعد موت يزيد بن أبي سفيان فلسطين والأردن،

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر (٤٦/١٤٤).

(٢) الطبقات لابن سعد (٩/٤٩٩)، وانظر: تاريخ الطبري (٣/٦٦).

(٣) انظر: تاريخ الطبري (٣/٩٥)، والإصابة لابن حجر (١/٦٤٠).

(٤) الطبقات لابن سعد (٩/٤٩٩).

(٥) الإصابة لابن حجر (٥/٢).



وولى معاوية دمشق وبعلبك والبلقاء، وولى سعيد بن عامر بن خذيم حمص، ثم جمع الشام كلها لمعاوية، وكتب إلى عمرو بن العاص، فسار إلى مصر، فافتتحها، فلم يزل عليها والياً حتى مات عمر، فأقره عثمان عليها أربع سنين أو نحوها، ثم عزله عنها، وولاها عبد الله بن سعد العامري[1]. فقدم عمرو المدينة فأقام بها، فلما نشب الناس في أمر عثمان خرج إلى الشام فنزل بها في أرض له بالسبع من أرض فلسطين، حتى قتل عثمان رضي الله عنه فصار إلى معاوية، فلم يزل معه يظهر الطلب بدم عثمان وشهد معه صفين، ثم ولاه معاوية مصر فخرج إليها فلم يزل بها والياً، وابتنى بها داراً ونزلها إلى أن مات بها[2].

وتولية عمرو بن العاص رضي الله عنه هذه المناصب والأعمال من قبل النبي صلى الله عليه وآله وسلم والخلفاء رضي الله عنهم من بعده؛ تدل دلالة ظاهرة على فضله ودهائه وكفاءته وخبرته بالسياسة، وهذا ما شهد له عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

روي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه نظر إلى عمرو بن العاص يمشي فقال: ما ينبغي لأبي عبد الله أن يمشي على الأرض إلا أميراً[3].

۞ جهاده:

كان عمرو شغوفاً بالجهاد وكان شغله الشاغل؛ لينصر دين الله، ولكي يرزقه الله الشهادة، ولا غرو في ذلك فهو من فرسان قريش

(١) الاستيعاب لابن عبد البر (٣/٢٦٨)

(٢) الطبقات لابن سعد (٩/٤٩٩).

(٣) تقدم (ص/٩٦).



وشجعانهم ودهاتهم وأبطالهم في الجاهلية والإسلام، ولبصره بالحرب وخبرته بفنون القتال زيادة على ما تقدم كان محط الأنظار لتوليته أميراً للمجاهدين فلذلك لما: أسلم سنة ثمان أمّره النبي ﷺ في ذات السلاسل وأحسن في إمارته، وفعل أفعال تدل على قوة ذكائه وبصره بالحرب استنكرها كثير من الصحابة بداية لخفاء مقصده، فلما قدموا على النبي ﷺ شكوا ذلك إليه فأبان مقصده في منعهم من إيقاد النار مع ما هم فيه من برد شديد، ومنعهم من تتبع العدو فقال: يا نبي الله كان في أصحابي قلة فخشيت أن يرى العدو قلتهم، ونهيتهم أن يتبعوا العدو مخافة أن يكون لهم كمين قال فأعجب ذلك رسول الله ﷺ[1].

ـ وشهد فتح مكة، وبعثه ﷺ إلى صنم هذيل ـ سواع ـ فهدمه.

ـ وشهد مع رسول الله حنين وحصار الطائف، ولما نادى سعد بن عبيد بن أسيد بن عمرو بن علاج الثقفي قال ألا إن الحي مقيم. قال: يقول عيينة بن حصن: أجل والله مجدة كرام، فقال عمرو بن العاص: قاتلك الله تمدح قوماً مشركين بالامتناع من رسول الله ﷺ وقد جئت تنصره؟ فقال إني والله ما جئت معكم أقاتل ثقيفاً، ولكن أردت أن يفتح محمد الطائف فأصيب جارية من ثقيف فأطأها لعلها تلد لي رجلاً، فإن ثقيفاً قوم مباركون. فأخبر عمر النبي ﷺ بمقالته فتبسم ﷺ ثم قال: هذا الحمق المطاع[2].

---

(١) تقدم (ص/١٣٠).

(٢) المغازي للواقدي (٩٣٧/١).



ـ وشارك رضي الله عنه في قتال أهل الردة، وفي فتوح الشام في عهد أبي بكر، وعمر رضي الله عنهما وكان أحد أمراء الأجناد، وأبلى بلاء حسناً، ولا ننسى أنه أشار على المسلمين بالاجتماع في اليرموك لما تكالب عليهم العدو، وأنه شد عليه جماعة من الروم فانكشف عنه أصحابه وثبت عمرو فجالدهم طويلاً وقاتل قتالاً شديداً ثم تراجع إليه أصحابه، وأنه لما انكشف المسلمون تسابق عمرو بن العاص وخالد بن الوليد؛ لأخذ الراية فسبقه عمرو، ولم يزل يقاتل به حتى انهزمت الروم وفتح الله على أيدي المسلمين[١]، وهو الذي أشار على عمر بفتح مصر ودخلها بأربعة آلاف مقاتل. وقد تقدم[٢] في صفاته الخُلُقية بيان شجاعته وكفاءته وبصيرته ودهائه بالحرب مما يغني عن تكراره.

ولقد أحسن الدكتور إبراهيم في وصف حب عمرو للجهاد حيث يقول:

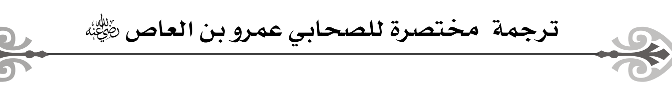
«أما حبه للجهاد فقد كان يفوق الوصف ـ ذلك الحب الذي استولى على قلبه وسائر جوانحه استيلاءً عظيماً، حتى كان يتسابق إليه غير مبال بجموع أعدائه مهما كثرت وقوة جنده مهما قلت، وإن محاولته فتح مصر بأربعة آلاف مقاتل أو أقل لأقوى دليل وأسطع برهان على صحة ما نقول»[٣].

---

(١) تقدم (ص/ ١١٤).

(٢) (١١١ ـ ١١٨).

(٣) تاريخ عمرو، د. إبراهيم حسن (٢٤٧).



۞ عدله وأمانته:

لم يعرف عن عمرو بن العاص رضي الله عنه ظلم الرعية أثناء الأعمال التي تولاها بل كان يترفق بهم، ويراعي أحوالهم، فضلا عن أنه كان موضع ثقة الخليفة العادل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فجعله أميراً على مصر طوال حياته، ولو رأى منه ما يخالف الجادة، لعزله وولى غيره كما عزل غيره من العمال.

ومن صور عدله أن تأخر في استلام الخراج من أهل مصر إنظارا لهم حتى كتب إليه عمر في ذلك، فكتب إليه عمرو بن العاص:

«بسم الله الرحمن الرحيم لعمر بن الخطاب من عمرو بن العاص سلام عليكم فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو أما بعد فقد أتاني كتاب أمير المؤمنين يستبطئني في الخراج ويزعم أني أعند عن الحق وأنكب عن الطريق وإني والله ما أرغب عن صالح ما تعلم ولكن أهل الأرض استنظروني إلى أن تدرك غلتهم فنظرت للمسلمين فكان الرفق بهم خيراً من أن يخرق بهم فيصيروا إلى بيع ما لا غنى بهم عنه والسلام»[١].

ومن ذلك أنه لما زوج ابنه عبد الله بن عمرو فبلغه تقصيره في حق زوجته عنفه على ذلك وشكاه إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فعن عبد الله بن عمرو

---

(١) فتوح مصر وأخبارها ص ٢٧٩.

قال: زوجني أبي امرأة من قريش، فلما دخلت علي جعلت لا أنحاش لها، مما بي من القوة على العبادة، من الصوم والصلاة، فجاء عمرو ابن العاص إلى كنته، حتى دخل عليها، فقال لها: كيف وجدت بعلك؟ قالت: خير الرجال أو كخير البعولة، من رجل لم يفتش لنا كنفا، ولم يعرف لنا فراشا، فأقبل علي، فعذمني، وعضني بلسانه، فقال: أنكحتك امرأة من قريش ذات حسب، فعضلتها، وفعلت، وفعلت ثم انطلق إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فشكاني، فأرسل إلي النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأتيته، فقال لي: «أتصوم النهار؟» قلت: نعم، قال: «وتقوم الليل؟» قلت: نعم، قال: «لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأنام، وأمس النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»[1].

«وهو يرى أحوج الناس للعدل من كان تحت سلطته فهذه نظرة إلى حادثة جزئية في بيته تعطي فهما لشخصيته هو لمعنى العدل.

(فعن معاوية بن صالح عن أبي عمران الفلسطيني قال بينا امرأة عمرو بن العاص تفلي رأسه إذ نادت جارية لها فأبطأت عنها، فقالت: يا زانية! فقال عمرو: رأيتيها تزني، قالت: لا، قال: والله لتضربن لها يوم القيامة ثمانين سوطا، فقالت لجاريتها وسألتها تعفو فعفت عنها، فقالت: هل يجزي عني؟ فقال لها: وما لها ألا تعفو وهي تحت يدك)

(١) مسند أحمد (٦٤٧٧)،قال الأرناؤوط: إسناده على شرط الشيخين، قلت: وأصله في الصحيحين مختصرا .

فهو عفو العاجز الضعيف عن الثأر (فأعتقيها فقالت هل يجزئ عني ذلك قال فلعل)[1]، والقادر والسلطان هما مناط العدل الحقيقي فيمن تحت يدهما»[2].

❁ تواضعه:

عن الحسن البصري: قال: قال رجل لعمرو بن العاص: «أرأيت رجلا مات رسول الله ﷺ وهو يحبه، أليس رجلا صالحا؟» قال: «بلى». قال: «قد مات رسول الله ﷺ وهو يحبك، وقد استعملك». فقال: «قد استعملني، فوالله ما أدري أحبا كان لي منه، أو استعانة بي، ولكني سأحدثك برجلين مات رسول الله ﷺ وهو يحبهما عبد الله بن مسعود، وعمار بن ياسر»[3].

وقال محمد بن الأسود بن خلف بن بياضة الخزاعي: إنا لجلوس في الحجر وناس من قريش، إذ قيل: قدم الليلة عمرو بن العاص من مصر، فما أكبر بأن دخل، فابتدرناه بأبصارنا، فلما طاف دخل الحجر، وصلى ركعتين، ثم قال: «كأنكم قد قرضتموني بهنت»، فقال القوم: «لم نذكر إلا خيرا، ذكرناك وهشاما، فقال بعضنا: هذا أفضل. وقال بعضنا: هذا أفضل». فقال عمرو: «سأخبركم عن ذلك، إنا أسلمنا فأحببنا رسول الله ﷺ، وناصحناه»، فذكر يوم اليرموك، فقال: «أخذ

(١) تاريخ دمشق ٤٦/١٨١.
(٢) عمرو بن العاص الأمير المجاهد ص ٤٣٦.
(٣) أخرجه الإمام أحمد (١٧٨٠٧) بسند رجاله ثقات إلى الحسن البصري إلا أنه منقطع كما قال الأرناؤوط في تخريجه للحديث.



بعمود الفسطاط حتى اغتسل وتحنط، وتكفن، ثم أخذ بعمود الفسطاط حتى اغتسلت، وتحنطت، وتكفنت، ثم اعترضنا على الله تبارك وتعالى، فقبله، فهو خير مني. قبله، فهو خير مني. قبله، فهو خير مني»[1].

۞ عبادته:

من المعلوم أن الصحابة رضي الله عنهم من أحرص الناس على فعل الطاعات على تفاضل بينهم، وعمرو بن العاص كما أنه من أهل الإمارة والجهاد كان كذلك له نصيب وافر من العبادات الأخرى، فعن أبي قيس مولى عمرو بن العاص: أن عمرو بن العاص كان يسرد الصوم، وقلما كان يصيب من العشاء أول الليل أكثر ما كان يصيب من السحر، قال وسمعته يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «إِنَّ فَصْلًا بَيْنَ صِيَامِنَا وَصِيَامِ أَهْلِ الْكِتَابِ، أَكْلَةُ السَّحَرِ»[2].

۞ أحاديثه:

تقدم الحديث عن شغف عمرو للجهاد، وتوليته الأعمال من قبل النبي صلى الله عليه وآله وسلم منذ إسلامه؛ لما آتاه الله من دهاء وبصيرة بالحرب؛ فلذلك لم يكن ملازماً للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولم يستقر أيضاً كثيراً بالمدينة؛ بل مات

---

(١) أخرجه ابن المبارك في الجهاد (١١٥) وأخرجه من طريق آخر مختصرا (١١٤)، والبيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى (٦٣١).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٢٩) رقم (١٧٧٧١) قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم. والحديث في صحيح مسلم: كتاب الصيام، باب: فضل السحور... (٢) رقم (١٠٩٦)، دون ذكر سرد عمرو للصوم.



النبي صلى الله عليه وسلم وعمرو رضي الله عنه بِعُمَان لتنفيذ المهمات التي كلفه بها النبي صلى الله عليه وسلم، فكان عمرو بن العاص السهمي رضي الله عنه سهماً من سهام الإسلام كما قال هو عن نفسه لأبي بكر ـ لما عناه أمر الشام فأراد أن يبعثه في بعث الشام ـ: إني سهم من سهام الإسلام، وأنت بعد الله الرامي بها والجامع لها، فانظر أشدها وأخشاها وأفضلها فارم به[(١)]. ولا شك أن من يقوم بهذه الأعباء لن يكن مكثراً من رواية الأحاديث عن رسول صلى الله عليه وسلم، وقد ذكر بعض أهل العلم أن الأحاديث التي رواها تبلغ بالمكرر تسعة وثلاثين، اتفق البخاري ومسلم على ثلاثة أحاديث منها، وانفرد البخاري بحديث، ومسلم بحديثين[(٢)].

ـ ومن أحاديثه التي تدل على فقهه وفطنته مع حداثة عهده بالإسلام، تيممه للجنابة في غزوة ذات السلاسل لما خشي على نفسه الهلاك من البرد، روى أبي داود وغيره عن عمرو بن العاص قال: احتلمت في ليلة باردة في غزوة ذات السلاسل فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك فتيممت، ثم صليت بأصحابي الصبح فذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: «يا عمرو صليت بأصحابك وأنت جنب؟» فأخبرته بالذي منعني من الاغتسال وقلت إني سمعت الله يقول: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقل شيئا[(٣)].

(١) تقدم (ص/١١٦).

(٢) كشف المشكل لابن الجوزي (٤/١٠٩)، والسير للذهبي (٣/٥٤).

(٣) السنن لأبي داود (٣٣٤)، وقال الشيخ الألباني: صحيح، وانظر: مصنف عبد الرزاق (٨٧٨)، مسند أحمد (١٧٨١٢)، المستدرك على الصحيحين (٦٢٩)، وغيرها.




❁ بلاغته وشِعره وحِكَمه وأمثاله:

تمتع عمرو بن العاص رضي الله عنه ببلاغة منطقه، وفصاحة لسانه، ورصانة شعره، ويظهر ذلك في خطبه، ومكاتباته. فهو الخطيب المصقع والفصيح المفَّوه فمما ورد من خطبه الفصيحة ما روي عن بحير بن ذاخر المعافري أنه قال: رحت أنا ووالدي إلى صلاة الجمعة... فأقام المؤذنون للصلاة فقام عمرو بن العاص على المنبر... فحمد الله وأثنى عليه حمداً موجزاً، وصلَّى على النبي صلى الله عليه وسلم، ووعظ الناس وأمرهم ونهاهم، فسمعته يحض على الزكاة، وصلة الأرحام، ويأمر بالاقتصاد، وينهى عن الفضول وكثرة العيال، وقال في ذلك:

يا معشر الناس إياي وخلالاً أربعاً فإنها تدعو إلى النصب بعد الراحة وإلى الضيق بعد السعة وإلى المذلة بعد العزة، إياي وكثرة العيال، وإخفاض الحال، وتضييع المال، والقيل بعد القال في غير درك ولا نوال، ثم إنه لا بد من فراغ يؤول إليه المرء في توديع جسمه والتدبير لشأنه وتخليته بين نفسه وبين شهواتها، ومن صار إلى ذلك فليأخذ بالقصد والنصيب الأقل ولا يضيع المرء في فراغه نصيب العلم من نفسه؛ فيحور من الخير عاطلاً وعن حلال الله وحرامه غافلاً.

يا معشر الناس إنه قد تدلت الجوزاء، وذكت الشعرى، وأقلعت السماء، وارتفع الوباء، وقل الندى، وطاب المرعى، ووضعت الحوامل، ودرجت السخائل[1]، وعلى الراعي بحسن رعيته حسن

(١) السَّخْلَةُ تُطْلَقُ عَلَى الذَّكَرِ وَالْأُنْثَى مِنْ أَوْلَادِ الضَّأْنِ وَالْمَعْزِ سَاعَةَ تُولَدُ، ومعنى درج:=



النظر، فحي لكم على بركة الله إلى ريفكم فنالوا من خيره، ولبنه، وخرافه، وصيده، وأربعوا خيلكم وأسمنوها وصونوها وأكرموها فإنها جنتكم من عدوكم، وبها مغانمكم وأثقالكم. واستوصوا بمن جاورتموه من القبط خيراً، وإياي والمشمومات والمعسولات فإنهن يفسدن الدين، ويقصرن الهمم، حدثني عمر أمير المؤمنين أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: إن الله سيفتح عليكم بعدي مصر فاستوصوا بقبطها خيراً فإن لكم منهم صهراً وذمة، فعفوا أيديكم وفروجكم، وغضوا أبصاركم، ولا أعلمن ما أتى رجل قد أسمن جسمه وأهزل فرسه، واعلموا: أني معترض الخيل كاعتراض الرجال فمن أهزل فرسه من غير علة حططته من فريضته قدر ذلك، واعلموا: أنكم في رباط إلى يوم القيامة لكثرة الأعداء حولكم، وتشوق قلوبهم إليكم وإلى داركم معدن الزرع والمال والخير الواسع والبركة النامية.

وحدثني عمر أمير المؤمنين أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: إذا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا فيها جنداً كثيفاً؛ فذلك الجند خير أجناد الأرض، فقال له أبو بكر: ولم يا رسول الله قال؛ لأنهم وأزواجهم في رباط إلى يوم القيامة. فاحمدوا الله معشر الناس على ما أولاكم فتمتعوا في ريفكم ما طاب لكم، فإذا يبس العود وسخن العمود وكثر الذباب وحمض اللبن وصوح البقل وانقطع الورد من الشجر فحي على

= مَشَى قَلِيلًا فِي أَوَّلِ مَا يَمْشِي يقال للصبي إِذا دَبَّ وأَخذ في الحركة: دَرَجَ. انظر لسان العرب (٢/٢٦٦) والمصباح المنير (٣/٢٠١)، (٤/١٨٤).



فسطاطكم على بركة الله، ولا يقدمن أحد منكم ذو عيال على عياله إلا ومعه تحفة لعياله على ما أطاق من سعته أو عسرته، أقول قولي هذا وأستحفظ الله عليكم. قال: فحفظت ذلك عنه فقال والدي بعد انصرافنا إلى المنزل لما حكيت له خطبته إنه يا بني يحدو الناس إذا انصرفوا إليه على الرباط كما حداهم على الريف والدعة[١].

ومما يدل على فصاحته وبلاغته وقوة تصوره وتخيله الواسع ـ ما كتبه لأمير المؤمنين في وصف مصر.

قال بعض المؤرخين: إنه لما استقر عمرو بن العاصي رضي الله عنه على ولاية مصر كتب إليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أن صف لي مصر؛ فكتب إليه: ورد كتاب أمير المؤمنين أطال الله بقاءه يسألني عن مصر: اعلم يا أمير المؤمنين أن مصر قرية غبراء، وشجرة خضراء؛ طولها شهر، وعرضها عشر، يكنفها جبل أغبر، ورمل أعفر، يخط وسطها نيل مبارك الغدوات، ميمون الروحات، تجري فيه الزيادة والنقصان كجري الشمس والقمر، له أوان يدر حِلابُه، ويكثر فيه ذبابه، تمده عيون الأرض وينابيعها حتى إذا ما اصلخم[٢] عجاجه[٣]، وتعظمت أمواجه، فاض

(١) أخرجه ابن عبد الحكم في فتوح مصر وأخبارها (ص/٩٩)، والدارقطني في المؤتلف والمختلف (١/١٠٠٣).

(٢) اشتد. انظر القاموس المحيط (ص/١٤٥٨).

(٣) قال ابن دريد: نهر عجاج: كثير الماء يُسْمَعُ لِمَائِهِ عَجْعَجَةٌ قال اللحياني عَجِيجُ الماء وأَجِيجُه صوتُ انْصِبَابِهِ. المخصص لابن سيده (٢/٤٥٩)، المحكم والمحيط لابن سيده (١/٦١).

على جانبيه فلم يمكن التخلص من القرى بعضها إلى بعض إلا في صغار المراكب، وخفاف القوارب، وزوارق كأنهن في المخايل[1] ورق الأصائل[2]؛ فإذا تكامل في زيادته، نكص على عقبيه كأول ما بدأ في جريته، وطما في درته[3]؛ فعند ذلك تخرج أهل ملة محقورة، وذمة مخفورة، يحرثون بطون الأرض ويبذرون بها الحب، يرجون بذلك النماء من الرب؛ لغيرهم ما سعوا من كدهم، فناله منهم بغير جدهم؛ فإذا أحدق الزرع وأشرق، سقاه الندى وغذاه من تحته الثرى؛ فبينما مصر يا أمير المؤمنين لؤلؤة بيضاء، إذا هي عنبرة سوداء، فإذا هي زمردة خضراء[4]، فإذا هي ديباجة رقشاء[5]، فتبارك الله الخالق لما

(١) مَخايِلُ جَمْعُ مَخِيلَةٍ: أي المَظِنَّة. تاج العرو س للزبيدي (٢٨/٤٦١).

(٢) الورق الحمام جمع ورقاء سميت به للونها وأصل الورقة لونٌ يشبه لونَ الرَّماد يقال: حمامة ورقاء وبعير أورق. الأصائل: جمع أصيل أو أصيلة وهو العشي، وهو ما بعد صلاة العصر إلى الغروب. معجم مقاييس اللغة لابن فارس (١/١١٠)، (٦/١٠٢) تاج العروس (٢٦/٤٦٦)، (٢٧/٤٤٩).

(٣) الدرِّة بالكسر اسم من الدر وهو كثرة اللبن وسيلانه. والمعنى هنا كثرة الماء وسيلانه. الصحاح للجوهري (٢/٦٥٥) القاموس المحيط للفيروز آبادي (١/٥٠٠).

(٤) الزُّمُرُّدُ: بالضَّمَّاتِ وشَدِّ الراءِ حكى بعضهم إهمال الدال، وصوَّبَ الأَصمعيُّ الإِعجامَ، وقال بعضٌ بالوَجْهَيْن وَاحِدَتُه زُمُرُّذَةٌ، من الجَواهِرِ أشد خضرة من الزبرجد. انظر المحكم والمحيط لابن سيده (٩/١٢١) المصباح المنير للفيومي (٤/٩١)، وتاج العروس للزبيدي (٩/٤١٦).

(٥) الديباج بكسر المهملة الثوب الذي سداه ولحمته إبريسم فهو نوع من الحرير. فتح الباري لابن حجر (٦/٥٧٦). والرقشاء: قال الليث: الرَّقشُ لونٌ فيه كدرَةٌ وسوادٌ ونحوهما. تهذيب اللغة للأزهري (٣/١٣٩).



يشاء. والذي يصلح هذه البلاد وينميها ويقر قاطنيها فيها، ألا يقبل قول خسيسها في رئيسها، وألا يُستأدى خراج ثمرة إلا في أوانها، وأن يصرف ثلث ارتفاعها، في عمل جسورها وترعها؛ فإذا تقرر الحال مع العمال في هذه الأحوال، تضاعف ارتفاع المال؛ والله تعالى يوفق في المبدأ والمآل.

فلما ورد الكتاب على عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لله درك يا ابن العاص! لقد وصفت لي خبراً كأني أشاهده[١].

كذلك ما كتبه أيضاً لعمر بن الخطاب رضي الله عنه حينما سأله عن البحر، وكان قد ألح معاوية في زمانه على عمر بن الخطاب رضي الله عنه في غزو البحر وقرب الروم من حمص، وقال: إن قرية من قرى حمص ليسمع أهلها نباح كلابهم وصياح دجاجهم حتى كاد ذلك يأخذ بقلب عمر، فكتب عمر إلى عمرو بن العاص صف لي البحر وراكبه فإن نفسي تنازعني إليه فكتب إليه عمرو: إني رأيت خلقاً كبيراً يركبه خلق صغير، ليس إلا السماء والماء، إن ركد خرق[٢] القلوب، وإن تحرك أزاغ العقول، يزداد فيه اليقين قلة والشك كثرة، هم فيه كدود على عود إن مال غرق وإن نجا برق[٣].

فلما قرأه عمر كتب إلى معاوية لا والذي بعث محمداً بالحق لا

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن تغري بردي (١/٣٣).

(٢) في بعض المصادر خوف، وفي بعضها فلق.

(٣) البَرق بالتحريك: الحَيْرة والدَّهَش النهاية في غريب الأثر (١/٣٠٥).




أحمل فيه مسلماً أبداً[١].

وليست هذه الفصاحة والبلاغة عن عمرو بمستنكرة فهو أحد الشعراء المشهورين والبلغاء المعروفين، حسن الشعر، جميل المنطق، حفظ عنه الكثير في مشاهد شتى.

ومن شعره في أبيات له يخاطب عمارة بن الوليد بن المغيرة عند النجاشي:

إِذَا المَرْءُ لَمْ يَترُكْ طَعَاماً يُحِبُّهُ ... وَلَمْ يَنهَ قَلْباً غَاوِياً حَيْثُ يَمَّمَا

قَضَى وَطَراً مِنْهُ وَغَادَرَ سُبَّةً ... إِذَا ذُكِرَتْ أَمْثَالُهَا تَمْلأُ الفَما[٢]

ومن شعره يوم أحد وكان آنذاك كافراً:

خَرَجْنَا مِنْ الْفَيْفَا عَلَيْهِمْ كَأَنَّنَا ... مَعَ الصّبْحِ مِنْ رَضْوَى الْحَبِيكِ الْمُنَطّقِ[٣]

---

(١) انظر: تاريخ الطبري (٢/٦٠٠)، والاكتفاء للكلاعي (٤/٥٤)، ونهاية الأرب للنويري (١٩/٢٦١).

(٢) الاستيعاب لابن عبد البر (١/٣٦٨).

(٣) الفيفا هِيَ فَيْفَاءُ الْخَبَارِ وهي الأرض الواسعة بين الجَمَّاوَاتِ، في الجنوب الغربي من المدينة، تتصل بِالْعَرْصَةِ من الجنوب، وكانت ـ إلى عهد قريب ـ فلاة ذات شجر وَصُمُودٍ وَشِعَابٍ، تُعْرَفُ باسم (الدُّعَيْثَةِ) وقد وَهَسَهَا اليوم العمران، وَشُقَّتْ فيها الطرق، فأصبحت تكاد تكون من المدينة، ورضوى اسم جبل وهو من ينبع على مسيرة يوم ومن المدينة على سبع مراحل، والحبيك الطريقة في الرمل ونحوه والمنطق كل ما شد به وسطه كالحِزام. انظر: الصحاح للجوهري (٤/١٥٧٨)، والمحكم والمحيط لابن سيده (٦/٢٨٥)، ومعجم ما استعجم للبكري (٣/١٠٣٧)، ومعجم البلدان للحموي (٣/٥١)، المعالم الجرافية الواردة فِي السيرة النبوية لعاتق الحربي (١/٣٧١).



لَــــدَى جَنْـــبَ سَلْـــعٍ[١] وَالْأَمَـــــانِيّ تَـصْــــــدُقُ

فَمَـا رَاعَـهُمْ بِالشّرّ إلّا فُجَـاءَةً كَرَادِيسُ[٢] خَيْلٍ فِي الْأَزِقّةِ تَمْرُقُ

أَرَادُوا لِكَيْمَـا يَسْتَبِـيحُوا قِبَابَنَـا وَدُونِ الْقِبَابِ الْيَوْمَ ضَرْبٌ مُحَرّقُ

وَكَانَتْ قِبَابًا أُومِنَتْ قَبْلَ مَا تَـرَى إذْ رَامَهَـا قَـوْمٌ أُبِيحُـوا وَأُحْنِقُـوا[٣]

كَأَنّ رُءُوسَ الْخَزْرَجِيّيـنَ غَـدْوَةً وَأَيْمَـا نَهـم بِالْمَشْـرِفِيّةِ بَـرْوَقُ[٤]

ومن شعره في يوم أحد أيضاً:

لَمّـــا رَأَيْـــت الْحَـــرْبَ يَنْـــ ـــزُو شَـرّهَا بِالرّضْــفِ نَــزْوَا[٥]

وَتَـــنَاوَلَتْ شَـهْبَـــاءُ تَلْحُـــ والـــنّاسَ بِالضّـــرّاءِ لَحْـــوًا[٦]

---

(١) جبل متصل بالمدينة. معجم ما استعجم للبكري (٣/٧٤٧).

(٢) الكردوس: القطعة من الخيل العظيمة. والكراديس: الفرق منهم. يقال: كردس القائد خيله، أي جعلها كتيبة كتيبة. الصحاح (٣/٩٧٠)

(٣) الحنق شدة الاغتياظ. المحكم والمحيط (٣/١٦).

(٤) السيرة النبوية لابن هشام (٤/٩٩). المَشْرَفِيّةُ: هي السُّيُوفُ المَشْرَفِيّةُ منسوبة إلى مَشَارِفَ الشَّامِ وهي: كُلُّ قَرْيَةٍ بَيْنَ بلادَ الرِّيفِ وبَيْنَ جَزيرَةِ العَرَبِ، لأَنَّهَا أَشْرَفَتْ علَى السَّوادِ، وقيل: قُرًى من أَرض اليمن.

والبروق: نبت ضعيف ريان، له خطرة دقاق، في رؤوسها قماعيل صغار مثل الحمص، فيها حب أسود. انظر: المحكم والمحيط (٦/٤٠١)، لسان العرب لابن منظور (٩/١٦٩)، تاج العروس للزبيدي (٢٣/٥٠٣).

(٥) الرَّضْفُ الحجارَةُ التي حَمِيَتْ بالشمس أَو النار، ونزوا: الوَثْب وخصَّ بعضُهم به الوَثْب إلى فَوْقُ. لسان العرب (٩/١٢١)، (١٥/٣١٩).

(٦) الشَّهْبَاءُ (من الكَتَائِب: العَظِيمَةُ الكَثِيرَةُ السِّلَاح). يقال: كَتِيبَةٌ شَهْبَاء لمَا فِيهَا مِنْ بَيَاضٍ=

أَيْـــقنْت أَنّ الْمَـــوْتَ حَقّـــ وَالْحَيَـــاةَ تَـــكُونُ لَغْـــوًا

حَمَلَـــتْ أَثَـوَابِـــيِ عَلَـــى عَتَـــدٍ يَبُـــذّ الْخَيْـــلَ رَهْـــوَا[1]

سَـلِسٍ إِذَا نُكـــبْنَ فِـــي الْـــ ـبَيْدَاءِ يَعْـلُـــو الطّـرَفَ عُلْـوَا

وَإِذَا تَـــــــــــــاؤُهُ مِـــنْ عِطْفِـــهِ يَـــزْدَادُ زَهْـــوَا[2]

رَبِـــذٍ كَـــيَعْفُورِ الصّرِيـــ ـمَةِ رَاعَـهُ الرّامُـــونَ دَحْـــوَا[3]

شَـــنِجٍ نَسَـــاهُ ســـبِطٍ لِلْخَيْـــلِ إِرْخَـــاءً وَعَـــدْوَا[4]

= السِّلَاح والْحَدِيدِ في حَالِ السَّوَاد، وقيل: هِيَ البَيْضَاءُ الصَّافِيَةُ الحَدِيد. واللحَاءُ قشر كل شيءٍ. وقد لَحَوْتُ العود أَلْحُوه وأَلْحَاهُ إذا قَشرْتَه. قال أبو بكر بن الأنباريّ قولهم لَحَا الله فلاناً معناه قَشَرَهُ الله وأَهْلَكَه. تهذيب اللغة (٥/١٥٤)، وتاج العروس (٣/١٦٧).

(١) عتد: شديد الخلق سريع الوثبة ليس فيه اضطراب ولا رخاوة، ويبذ: سبقهم وغلبهم. ورهواً: يقال: جاءت الخيل رَهْواً، أي ساكنة، وقيل: متتابعة. المحكم والمحيط الأعظم (٢/٣)، (٤/٤١٧)، ولسان العرب (٣/٤٧٧).

(٢) عطفه أي جانبه، والزهو: الكِبْرُ والفخر. الصحاح (١/٢٩٤، ٤٧٩). ومعنى مَاؤُهُ: أي عرقه.

(٣) ربذ: أي سريع والعُفْر من الظباء التي تعلو بياضَها حمرة قِصار الأَعناق وهي أَضعف الظباء عَدْواً. الصَّريمةُ القِطعة المنقطعة من معظم الرمل دحوت الشيء دحواً: بسطته. ويقال للفرس: مر يدحو دحوا، وذلك إذا رمى بيديه رمياً لا يرفع سنبكه عن الارض كثيراً. وراعه أفزعه. تهذيب اللغة (١٤/٣٠٩)، والصحاح (٦/٢٣٣٤)، والمحكم والمحيط (٢/٣٤٧)، (٨/٣٢١)، ولسان العرب (٤/٥٨٣).

(٤) الشَنَجُ: تقبُّضٌ في الجِلد. وفرس شنج، وهو مدحٌ له لأَنَّه إذا شَنِجَ نَساهُ لم تَسترخِ رِجلاه. والنَّسا عِرْق يخرج من الوَرِك فيَسْتَبْطِنُ الفخذين ثم يمرّ بالعُرْقوب حتى يبلغ الحافر. والإرخاء: ضرب من العدو وهو شدته. قال أبو عبيد: الإرخاء: أن تخلى=

فَفِـدَى لَـهُمْ أُمِّـي غَـدَا ... ةَ الـرَّوْعِ إِذْ يَمْشُـونَ قَطْـوَا(١)

سَـيْرًا إِلَـى كَـبْشِ الْكَتِـيـ ... ـبَةِ إِذْ جَلَتْـهُ الشَّـمْسُ جَلْـوَا(٢)

ومن شعره عندما رجع من عمان بعد وفاة النبي ﷺ، وكان قد خرج معه ـ لتشيعه ـ أبو صفرة ظالم بن سراق، وجفير بن جعفر، وعبادة بن الجلندي في سبعين فارساً من وجوه أهل عمان، فأنشأ عقبة ابن النعمان العتكي أبياتاً مطلعها:

وَفَيْنَـا لِعَمْـرٍو يَـوْمَ عَمْـرٍو كَأَنَّـهُ ... طَـرِيدٌ نَفَتْهُ مَذْحِجٌ وَالسَّكَاسِـكُ(٣)

= الفرس وشهوته في العدو غير متعب له.

انظر: الصحاح (٣٢٥/١)، ولسان العرب (٣٢١/١٥)، (٢٣٤٥/٦)، والقاموس المحيط (ص/١٦٦١).

(١) قال ابن فارس: القاف والطاء والحرف المعتلّ أصلٌ صحيح يدلُّ على مقاربَةٍ في المشي. يقال: القَطْو: مُقارَبَة الخطو، وبه سمِّيت القطاة، وجمعها قطاً. معجم المقاييس لابن فارس (١٠٤/٥).

(٢) المصدر نفسه (١٠١/٤ ـ ١٠٢)، الروض الأنف (٣٣٧/٣)، قال ابن هشام وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها لعمرو.

وكَبشُ الكتيبةِ: عظيمُها ورئيسُها. والكتيبة: الجيش أو جماعة الخيل إذا غارت من المائة إلى الألف.

انظر: الصحاح (٢٠٩/١)، ومعجم المقاييس (١٥٤/٥)، والمحكم والمحيط (٢٠٩/١).

(٣) مَذحج: قال ابن الأعرابي: ولد أدد بن زيد بن يشجب مرّة والأشعر وأمهما ذلّة بنت ذي منشجان الحميري. معجم البلدان (٨٩/٥).

والسكاسك: علم مرتجل لاسم هذه القبيلة التي نسب إليها: مخلاف باليمن، وهو=




رَسُولِ رَسُـولِ اللَّـهِ أَعْظِـمْ بِحَقِّـه ... عَلَيْنَا وَمَنْ لا يَعْرِفِ الحق هالك

فمدحهم عمرو بن العاص في قصيدة له حيث يقول (من الطويل):

أَقُولُ وَحَوْلِي آلُ فِهْرِ بْنِ مَالِكٍ ... جَزَى اللهُ عَنِّي الأَزْدَ[1] خَيْرَ جَزَاءِ

أَتَيْتُ عُمَانًا وَالْحَوَادِثُ جَمَّةٌ ... وَلَيْسَتْ بِأَرْضٍ لِي وَلا بِسَمَاءِ

فَحَيَّ هَلا بِالأَزْدِ أَرْبَابِ نِعْمَةٍ ... وَأَهْلِ حِبَاءٍ صَادِقٍ وَوَفَاءِ

تَضَمَّنَنِي مِنْهُمْ عِبَادٌ وَجَيْفَرٌ ... وَظَالِمُ الدَّاعِي لِكُلِّ علاء

أَتَيْتُ إِلَى أَهْلِ الْمَدِينَةِ سَالِمًا ... أَجَرْجِرُ فِيهَا مِئْزَرِي وَرِدَائِي

عَلَى حِينِ أَنْ جَاشَتْ مَعَدٌّ[2] بِرِدَّةٍ ... وَأَوْبَاشُ هَذَا الْحَيِّ حَيِّ ضِبَاءِ[3]

= آخر مخاليف اليمن، وهو السّكسك بن أشرس بن ثور، وهو كندة بن عفير بن عدي ابن الحارث بن مرّة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبا. معجم البلدان (٣/٢٢٩).

(١) الأزد: من أعظم قبائل العرب وأشهرها، تنتسب الى الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن كهلان من القحطانية. وتنقسم الى أربعة أقسام: أزد شنوءة، ونسبتهم الى كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد، كانت منازلهم السّراة، وهما أودية مستقبلة مطلع الشمس بتثليث، وتربة، وبيشة.
أزد غسان: كانت منازلهم في شبه جزيرة العرب، وفي بلاد الشام، أزد السَّراة: كانت منازلهم في الجبال المعروفة بهذا الاسم.
أزد عُمان: كانت منازلهم بعمان. معجم قبائل العرب القديمة والحديثة لعمر كحالة (١/١٥).

(٢) معد بن عدنان بن أدد بن الميسع بن أشجب بن... نابت بن قيدار ابن إسماعيل بن إبراهيم خليل الله ﷺ. نسب قريش لمصعب الزبيري (ص/٣).

(٣) قال محقق كتاب الردة للواقدي (ص/٥٨): في الأصل: (ضياء) بالياء المثناة،=



فَمَـا بَـيْنَنَا إلا سُيـُوفٌ وَتَـارَةً ... بِهَسْمٍ[1] وَأَشْطَانِ الْجُزُورِ ظِمَاءِ

مُـقَرَّبَةُ الآجَـالِ مِنَّـا وَمِنْـهُمُ ... عَلَى كُلِّ حَالٍ لَيْسَ ذَا بِخَفَاءِ

تَدُورُ رَحَا الآجَالِ فِينَا وَفِيهِمُ ... بِـدَوْرِ فَـنَاءٍ أَوْ بِـدَوْرِ بَقَاءِ[2]

ـ **وله حكم وأمثال نفيسة** يستفيد منها المرء في حياته منها:

١ ـ قوله رضي الله عنه: لا أملُّ ثوبي ما وسعني، ولا أملُّ زوجتي ما أحسنت عشرتي، ولا أملُّ دابتي ما حملتني، إن الملال من سيء الأخلاق.

٢ ـ وقال لعبد الله ابنه رضي الله عنهما: يا بني سلطان عادل خير من مطر وابل، وأسد حطوم[3] خير من سلطان ظلوم، وسلطان غشوم[4] ظلوم

= والصواب: (ضباء) بالباء الموحدة، وضباء بالفتح والتشديد: موضع جاء في شعر الحسين بن مطير الأسدي:

وأصبحت منهم ضبّاء خالية ... كما خلت منهم الزوراء

فالعوج. معجم البلدان لياقوت الحموي (٣/٤٥١).

(١) قال محقق كتاب الردة (ص/٥٨): في الأصل الكلمة غير واضحة تحتمل (ببسم، أو بهسم، أو بسهم) الهسم: الكسر لغة في الهشم، هسم الشيء يهسمه هسما، كسره، وقال ابن الأعرابي (الهسم) بضمتين، الكاوون، قال أبو منصور: كأن الأصل الحسم، وهم الذين يتابعون الكي مرة بعد أخرى، ثم قلبت الحاء هاء. (اللسان: هسم).

(٢) كتاب الردة للواقدي (ص/(٥٧ ـ ٥٨).

(٣) يَحْطِمُ كلَّ شيء يَدُقُّه. لسان العرب (١٢/٣٧).

(٤) الغَشْم: الظُّلم والغَصْب. غَشَمهم يَغْشِمهم غَشْما. المحكم والمحيط (٥/٣٨٩) الفرق بين الغشم والظلم: أن الغشم كره الظلم وعمومه توصف به الولاة لأن ظلمهم يعم، ولا يكاد يقال غشمني في المعاملة كما يقال ظلمني فيها. الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري (١/٣٨٥).

خير من فتنة تدوم. يا بني زلة الرجل عظم يجبر، وزلة اللسان لا تبقي ولا تذر. يا بني استراح من لا عقل له فأرسلها مثلاً.

٣ ـ قال عمرو بن العاص لمعاوية رضي الله عنهما: يا أمير المؤمنين لا تكونن لشيء من أمر رعيتك أشد تعمداً منك لخصاصة الكريم حتى تعمل في سدها، ولطغيان اللئيم حتى تعمل في قمعه، واستوحش من الكريم الجائع، ومن اللئيم الشبعان، فإن الكريم يصول إذا جاع، واللئيم يصول إذا شبع.

٤ ـ قال معاوية لعمرو بن العاص رضي الله عنهما: من أبلغ الناس؟ قال: من اقتصر على الإيجاز وسلب الفضول. قال فمن أصبر الناس؟ قال: أردهم لجهله بحلمه.

٥ ـ قال عمرو لمعاوية رضي الله عنهما: ما بطن قوم قط إلا فقدوا عقولهم، وما قضيت عزيمة رجل مات بطيناً.

٦ ـ قال رضي الله عنه: ليس العاقل الذي يعرف الخير من الشر، ولكن العاقل الذي يعرف خير الشرين.

٧ ـ قال عمرو بن العاص رضي الله عنه: ليس الحليم من يحلم عن من يحلم عنه ويجاهل من جاهله، ولكن الحليم من يحلم عن من يحلم عنه ويحلم عن من جاهله.

٨ ـ قال رضي الله عنه: الرجال ثلاثة: فرجل تام، ونصف رجل، ولا شيء. فأما الرجل التام: فالذي يكمل الله له دينه وعقله، فإذا أراد أمراً



لم يمضه حتى يستشير أهل الرأي والألباب، فإذا وافقوه حمد الله وأمضى رأيه فلا يزال ذلك مضياً موفقاً. والنصف رجل: الذي يكمل الله له دينه وعقله فإذا أراد أمراً لم يستشر فيه أحداً، وقال: أي الناس كنت أطيعه أو أترك رأيي لرأيه فيصيب ويخطئ. والذي لا شيء: الذي لا دين ولا عقل ولا يستشير فلا يزال ذلك مخطئاً مدبراً. قال عمرو: والله إني لأستشير في الأمر الذي أردته حتى أستشير خدمي وما علي بعرض عقولهم وأسمع.

٩ ـ قال عمرو بن العاص رضي الله عنه لجلسائه وتذاكروا شيئاً من أمر الدنيا: أي شيء رأيتم أحسن؟ فذكروا النساء المرأة الحسنة والدابة، فقال عمرو: وما شيء أحسن من غمرات ثم تنجلي.

١٠ ـ قال معاوية بن أبي سفيان لعمرو بن العاص: ما ألذ الأشياء؟ قال: يا أمير المؤمنين مر أحداث قريش فليقوموا، فلما قاموا قال: إسقاط المروءة، يريد أن الرجل إذا لم يهمه مروءته تلذذ وعمل ما يشتهي ولم يلتفت إلى لوم لائم.

١١ ـ قال عمرو بن العاص رضي الله عنه: نكح العجز التواني فولد منه الندامة.

١٢ ـ قال رضي الله عنه: لا وجع إلا العين ولا حزن إلا الدين.

١٣ ـ قال عمرو بن العاص رضي الله عنه: ما وضعت سري عند أحد فأفشاه فلمته عليه، أنا كنت أضيق به حين استودعته.



١٣ ـ قال عمرو بن العاص رضي الله عنه: انتهى عجبي إلى ثلاث: المرء يفر من القدر وهو لاقيه، ويبصر في عين أخيه القذى فيعيبه، ويكون في عينه الجذع فلا يعيبه، ويكون في دابته الصعر فيقومها بجهده ويكون فيه الصعر فلا يقوم نفسه[١].

۞ تجارته، وتركته:

تقدم أن العاص والده كان ثرياً وأنه كان يلبس الحرير والديباج، ومع ذلك فقد بدأ عمرو بن العاص رضي الله عنه بالتجارة والاعتماد على النفس من أول أمره فخرج مع نفر من قريش للتجارة، فلما قدم إلى بيت المقدس فإذا هم بشَمَّاس[٢] من شَمَامِسَة الروم من أهل الإسكندرية قدم للصلاة في بيت المقدس، فخرج في بعض جبالها يَسيحُ، وكان عمرو يرعى إبله وإبل أصحابه، وكانت رعية الإبل نوباً بينهم، فبينما عمرو يرعى إبله إذ مر به ذلك الشَّمَّاسُ وقد أصابه عطش شديد في يوم الحر فوقف على عمرو فاستسقاه فسقاه عمرو من قربة له فشرب حتى روى ونام الشَّمَّاسُ مكانه وكانت إلى جنب الشَّمَّاس حيث نام حفرة فخرجت منها حية عظيمة فبصر بها عمرو فنزع لها بسهم فقتلها، فلما استيقظ

(١) ما مضى من الآثار أخرجها ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٨٣/٤٦ ـ ١٨٩).

(٢) الشَمَّاسُ، من رُؤُوسِ النَّصَارَى: الذي يحلق وسطَ رأْسه، لازماً للْبِيعَة، وهذا عمل عُدُولِهِم وثِقَاتِهِم، قالَه اللَّيثُ، وقبله مرتبة القسيس ثم الأسقف ثم الجاثليق ثم المطران ثم البطريق وهو أول هذه المراتب. القاموس المحيط (ص/٨٧١)، وتاج العروس (١٧٢/٤).



الشَّمَّاسُ نظر إلى حية عظيمة قد أنجاه الله منها فقال لعمرو: ما هذه؟ فأخبره عمرو أنه رماها فقتلها فأقبل إلى عمرو فقبل رأسه وقال قد أحياني الله بك مرتين مرة من شدة العطش ومرة من هذه الحية، فما أقدمك هذه البلاد؟ قال: قدمت مع أصحاب لي نطلب الفضل في تجارتنا. فقال له الشَمَّاسُ: وكم تراك ترجو أن تصيب في تجارتك؟ قال رجائي أن أصيب ما اشتري به بعيراً فإني لا أملك إلا بعيرين فأملي أن أصيب بعيراً آخر فتكون لي ثلاثة أبعرة. فقال له ذلك الشَّمَّاسُ: أرأيت دية أحدكم بينكم كم هي؟ قال: مائة من الإبل. قال له ذلك الشَّمَّاسُ: لسنا أصحاب إبل إنما نحن أصحاب دنانير، قال: يكون ألف دينار. فقال له ذلك الشَّمَّاسُ: إني رجل غريب في هذه البلاد وإنما قدمت أصلي في كنيسة بيت المقدس وأَسَيحُ في هذه الجبال شهراً جعلت ذلك نذراً على نفسي وقد قضيت ذلك وأنا أريد الرجوع إلى بلادي فهل لك أن تتبعني إلى بلادي؟ ولك عهد الله وميثاقه أن أعطيك ديتين؛ لأن الله عز وجل أحياني بك مرتين. فقال له عمرو: وأين بلادك؟ قال: مصر في مدينة يقال لها الإسكندرية. فقال له عمرو: لا أعرفها ولم أدخلها قط فقال له ذلك الشَّمَّاسُ: لو دخلتها لعلمت أنك لم تدخل قط مثلها.

فقال عمرو: وتفي لي بما تقول وعليك بذلك العهد والميثاق. فقال له ذلك الشَّمَّاسُ: نعم لك الله علي بالعهد والميثاق أن أفي لك وأن أردك إلى أصحابك. فقال عمرو: وكم يكون مكثي في ذلك؟ قال:




شهراً: تنطلق معي ذاهباً عشرة أيام، وتقيم عندنا عشراً، وترجع في عشر، ولك علي أن أحفظك ذاهباً، وأن أبعث معك من يحفظك راجعاً. فقال له عمرو: أنظرني حتى أشاور أصحابي في ذلك، فانطلق عمرو إلى أصحابه فأخبرهم بما عاهده عليه ذلك الشَّمَّاسُ وقال لهم: تقيموا علي حتى أرجع إليكم، ولكم علي العهد أن أعطيكم شطر ذلك على أن يصحبني رجل منكم آنس به فقالوا: نعم وبعثوا معه رجلاً منهم فانطلق عمرو وصاحبه مع الشماس إلى مصر حتى انتهى إلى الإسكندرية، فرأى عمرو من عمارتها وكثرة أهلها وما بها من الأموال والخير فأعجبه ذلك وقال: ما رأيت مثل مصر قط وكثرة ما فيها من الأموال، ونظر إلى الإسكندرية وعمارتها وجودة بنائها وكثرة أهلها وما بها من الأموال فازداد عجباً، ووافق دخول عمرو الإسكندرية عيداً فيها عظيماً يجتمع فيه ملوكهم وأشرافهم، ولهم أكرة من ذهب مكللة يترامى بها ملوكهم وهم يتلقونها بأكمامهم، وفيما اختبروا من تلك الأكرة على ما وضعها من مضى منهم أنها من وقعت الأكرة في كمه واستقرت فيه لم يمت حتى يملكهم، فلما قدم عمرو الإسكندرية أكرمه ذلك الشَّمَّاسُ الإكرام كله وكساه ثوب ديباج ألبسه إياه، وجلس عمرو وذلك الشَّمَّاسُ مع الناس في ذلك المجلس حيث يترامون بالأكرة وهم يتلقونها بأكامهم، فرمى بها رجل منهم فأقبلت تهوي حتى وقعت في كم عمرو فعجبوا من ذلك وقالوا ما كذبتنا هذه الأكرة قط إلا هذه المرة، أترى هذا الأعرابي يملكنا هذا ما لا يكون أبداً، وإن ذلك الشَّمَّاسُ مشى في أهل



الإسكندرية وأعلمهم أن عمراً أحياه مرتين وأنه قد ضمن له ألفي دينار وسألهم أن يجمعوا له ذلك فيما بينهم ففعلوا ذلك ودفعوها إلى عمرو فانطلق عمرو وصاحبه وبعث معهما الشماس دليلاً ورسولاً وزودهما وأكرمهما حتى رجع وصاحبه إلى أصحابهما؛ فبذلك عرف عمرو مدخل مصر ومخرجها، ورأى منها ما علم أنها أفضل البلاد وأكثرها مالاً، فلما رجع عمرو إلى أصحابه دفع إليهم فيما بينهم ألف دينار وأمسك لنفسه ألفاً قال عمرو: وكان أول مال اعتقدته وتأثلته[1].

وكان لعمرو بستان عظيم بالطائف ـ قبل إسلامه ـ يُسمى الوهط يتمناه الملوك.

قال عمرو بن العاص بعد الخندق: والله ليظهرن محمداً على قريش! فلحقت بمالي بالوهط وأقللت من الناس[2].

وعن عمرو بن دينار أخبرني مولى لعمرو بن العاص أن عمرو بن العاص أدخل في عريش الوهط ألف ألف عود كل عود بدرهم[3].

قال ابن الأعرابي: عرش عمرو بن العاص بالوهط ألف ألف عود

---

(١) أخرجه ابن عبد الحكم في فتوح مصر (ص/٤٧)، وانظر: المواعظ والاعتبار (١/٤٤٤ ـ ٤٤٧).

ومعنى اعتقدته: أي اقتنيته، وتأثلته: أي اكْتَسَبْته وجَمَعْته واتَّخَذْته لنَفْسِي. انظر: معجم مقاييس اللغة (٤/٦٨)، وتاج العروس (٢/٤٢٧)

(٢) المغازي للواقدي (٢/٧٤١)، البداية والنهاية لابن كثير (٦/٤٠٠).

(٣) أخرجه الفاكهي في أخبار مكة (٣/٢٠٥)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٦/١٨٢) واللفظ له.



كرم[1] على ألف ألف خشبة ابتاع كل خشبة بدرهم فحج سليمان بن عبد الملك فمر بالوهط فقال: أحب أن أنظر إليه فلما رآه قال: هذا أكرم مال وأحسنه ما رأيت لأحد مثله لولا أن هذه الحرة في وسطه فقيل له ليست بحرة ولكنها مسطاح الزبيب، وكان زبيبه جمع في وسطه فلما رآه من البعد ظنه حرة سوداء وقال ابن موسى: الوهط قرية بالطائف على ثلاثة أميال من وج[2] كانت لعمرو بن العاص[3].

وقد زاد ماله ونمى بما أنعم الله على الدولة الإسلامية قاطبة من كثرة الموارد والخيرات، وقد نص الذهبي في السير بأنه: خلف أموالاً كثيرة، وعبيداً، وعقاراً[4].

إلا أنني لم أجد رواية صحيحة تنص أن أنه خلف مالاً كثيراً، أو

(١) المراد بالكرْم: العنب وسمي كرماً وقد نهي النبي ﷺ عن تسميته بذلك فقال: «لاَ يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ لِلْعِنَبِ الْكَرْمَ. إِنَّمَا الْكَرْمُ الرَّجُلُ الْمُسْلِمُ». رواه مسلم (٤) رقم (٢٢٤٧).
قال النووي: قال العلماء سبب كراهة ذلك أن لفظة الكرم كانت العرب تطلقها على شجر العنب وعلى العنب وعلى الخمر المتخذة من العنب سموها كرماً؛ لكونها متخذة منه، ولأنها تحمل على الكرم والسخاء، فكره الشرع إطلاق هذه اللفظة على العنب وشجره؛ لأنهم إذا سمعوا اللفظة ربما تذكروا بها الخمر وهيجت نفوسهم إليها فوقعوا فيها أو قاربوا ذلك، وقال إنما يستحق هذا الاسم الرجل المسلم أو قلب المؤمن لأن الكرْم مشتق من الكرَم بفتح الراء وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾، فسمى قلب المؤمن كرماً لما فيه من الإيمان والهدي والنور والتقوى والصفات المستحقة لهذا الاسم وكذلك الرجل المسلم. شرح النووي (٤/١٥ ـ ٥).

(٢) وَجَّ: وادٍ قِبَلَ الطائِف. تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة (ص/٣٠٩).

(٣) معجم البلدان للحموي (٥/٤٤٤).

(٤) سير أعلام النبلاء (٣/٧٧).

تحصر ماله، وأحسن ما وجدت في الباب روايتين أحسنهما ما رواه أبو عمر الكندي المصري في كتاب الولاة وكتاب القضاة(١) قال: حدثنا ابن قديد، قال: حدثنا يحيى بن عثمان بن صالح، قال: حدثني نعيم بن حماد، عن ابن المبارك، عن حرملة بن عمران، عن أبي فراس، قال: «مات عمرو ابن العاص، ولم يترك إلا سبعة دنانير، وكانت وفاة عمرو ليلة الفطر سنة ثلاث وأربعين واستخلف ابنه عبد الله على صلاتها وخراجها».

نعيم بن حماد الخزاعي أبو عبد الله المروزي روى له البخاري مقروناً، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه، واختلف فيه، وثقه قوم وضعفه آخرون(٢).

قال ابن حجر: صدوق يخطئ كثيراً فقيه عارف بالفرائض وقد تتبع ابن عدي ما أخطأ فيه وقال باقي حديثه مستقيم(٣).

وقال الذهبي: أحد الأئمة الأعلام على لين في حديثه(٤).

والرواية الثانية: عند ابن عساكر في تاريخه قال: أنبأنا أبو القاسم علي بن إبراهيم نا عبد العزيز بن أحمد أنا أبو محمد بن أبي نصر نا أبو علي الحسن بن حبيب نا يزيد بن عبد الصمد نا أبو سهل نا هقل بن زياد حدثني الأوزاعي حدثني رجل من قريش قال لما حضرت

---

(١) ص (٢٨).

(٢) انظر: تهذيب الكمال للمزي (٤٧٢/٢٩).

(٣) وَجَّ: تقريب التهذيب (٧١٦٦)، ونص ابن عدي: وعامة ما أنكر عليه هو هذا الذي ذكرته وأرجوا أن يكون باقي حديثه مستقيماً. الكامل في ضعفاء الرجال (٢٥٦/٨).

(٤) ميزان الاعتدال (٢٦٧/٤).



عمرو بن العاص الوفاة قال له ابنه عبد الله: يا أبتاه أوص في مالي ومالك ما بدا لك، قال: فدعا كاتبا، فقال: اكتب، فجعل يكتب، قال: فلما أسرع في المال، قال: يا أبة لا أحسبك إلا قد أتيت على مالي ومال إخوتي، فلو بعثت إلى إخوتي فتحلل ذلك منهم، قال عمرو للكاتب: اقرأه، فقرأه فقال عبد الله بن عمرو: بخ بخ، قال: فقال له عمرو: يا عبد الله أتشكر هذا فوالله لامرأة من المهاجرات أقبلت تتغير في صرحو[1] تقوده إلى رسول الله ﷺ يحمله عليه في سبيل الله خير من هذا كله جاء ذاك من حيث جاء وجاء هذا من حيث جاءنا عبد الله، والله لقد هلكنا إلا أنا معتصمين بلا إله إلا الله[2].

والسند ضعيف فيه مبهم ـ رجل من قريش ـ.

ولو افترض صحة الروايتين، لحمل على أنه تصدق بالكثير حتى لم يبق من الأموال النقدية إلا سبعة دنانير، وترك لورثته عبيداً وعقاراً.

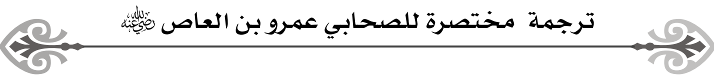
وكان أنفس ماله بستانه العظيم بالطائف ـ الوهط ـ وكان يمتلكه من قبل أن يمن الله عليه بالإسلام، وقد وقفه عند موته، وجعله صدقة لله سبحانه وتعالى تضاف إلى ميزان حسناته بعد موته.

فعن عمرو بن دينار قال: كتب عمرو بن العاص رضي الله عنه في وصيته

---

(١) كذا في تاريخ دمشق طبعة دار الفكر، وأشار المحقق إلى أن رسمها هكذا في الأصل و(م) ولم يزد محقق طبعة دار إحياء التراث إلا على قوله في الهامش: كذا. (١٣٢/٤٩).

(٢) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٩٢/٤٦).



في الوهط وجعلها صدقة لا تباع ولا توهب ولا تورث، وهي إلى الأكبر من ولدي، المتبع فيها عهدي وأمري، فإن لم يقم بعهدي ولا أمري فليس لي بولي حتى يرثه الله قائماً على أصوله[1].

فعمرو رضي الله عنه مع ما كان عليه من سعة الرزق وبسطة المال لم يخدعه عن آخرته، ولم يكترث به، بل كان ينظر إليه بعين الازدراء؛ لذلك أذهب الكثير منه بالصدقة.

وهكذا هو شأن الصحابة رضوان الله عليهم لا يكترثون بالمال، فمن اغتنى منهم، فغاية ما في الأمر أن المال تملكه يداه، ولا يتعلق به قلبه.

* * *

---

(١) أخرجه الفاكهي في أخبار مكة (٣/٢٠٥)، قال: حدثنا سعيد بن عبد الرحمن المخزومي، قال: ثنا سفيان، عن عمرو بن دينار به.
ووقف عمرو لبستانه الوهط يكفي في ثبوته شهرته في القرون الفاضلة، يقول الحميدي شيخ البخاري: وتصدق أبو بكر الصديق رضي الله عنه بداره بمكة على ولده، فهي إلى اليوم، وتصدق عمر بن الخطاب رضي الله عنه بربعه عند المروة وبالثنية على ولده، فهي إلى اليوم، وتصدق علي بن أبي طالب رضي الله عنه بأرضه بينبع، فهي إلى اليوم،... وعثمان بن عفان رضي الله عنه برومة، فهي إلى اليوم، وعمرو بن العاص رضي الله عنه بالوهط من الطائف وداره بمكة على ولده، فذلك إلى اليوم... الخ، أخرجه البيهقي من طريق سعيد يحيى بن محمد ابن يحيى المهرجاني الخطيب، ثنا أبو بحر البربهاري، ثنا بشر بن موسى، ثنا أبو بكر عبد الله بن الزبير الحميدي به. السنن الكبرى للبيهقي (٦/٢٦٦).



وفاته:

حضرته الوفاة وهو بمصر أميراً عليها، ففي صحيح مسلم[1] عَنِ ابْنِ شَمَاسَةَ الْمَهْرِيِّ أنه قال: حضرنا عمرو بن العاص، وهو في سياقة الموت، يبكي طويلاً، وحول وجهه إلى الجدار، فجعل ابنه يقول: يا أبتاه، أما بشرك رسول الله ﷺ بكذا؟ أما بشرك رسول الله ﷺ بكذا؟ قال: فأقبل بوجهه، فقال: إن أفضل ما نعد شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، إني قد كنت على أطباق[2] ثلاث، لقد رأيتني وما أحد أشد بغضا لرسول الله ﷺ مني، ولا أحب إلي أن أكون قد استمكنت منه، فقتلته، فلو مت على تلك الحال لكنت من أهل النار، فلما جعل الله الإسلام في قلبي أتيت النبي ﷺ، فقلت: ابسط يمينك فلأبايعك، فبسط يمينه، قال: فقبضت يدي، قال: «ما لك يا عمرو؟» قال: قلت: أردت أن أشترط، قال: «تشترط بماذا؟» قلت: أن يغفر لي، قال: «أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله؟ وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها؟ وأن الحج يهدم ما كان قبله؟» وما كان أحد أحب إلي من رسول الله ﷺ، ولا أجل في عيني منه، وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالا له، ولو سئلت أن أصفه ما أطقت؛ لأني لم أكن أملأ عيني منه، ولو مت على تلك الحال لرجوت أن أكون من أهل الجنة، ثم ولينا أشياء ما أدري ما حالي فيها، فإذا أنا مت فلا تصحبني نائحة، ولا نار، فإذا

---

(١) كتاب: الإيمان، باب: كون الإسلام يهدم ما قبله وكذا الهجرة والحج (١) رقم (١٢١).

(٢) معنى أطباق أي أحوال قال تعالى: (لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَن طَبَقٍ). شرح النووي (٢/١٣٧).



دفنتموني فَشُنُّوا علي التراب شَنًّا ، ثم أقيموا حول قبري قدر ما تنحر جزور ويقسم لحمها ، حتى أستأنس بكم ، وأنظر ماذا أراجع به رسل ربي» .

«ثم وضع يده موضع الغلال من ذقنه وقال: اللهم أمرتنا فتركنا ونهيتنا فركبنا ولا يسعنا إلا مغفرتك ، وكانت تلك هجيراه حتى مات»(١) .

وفي رواية: أنه قال: «اللهم إنك أمرتنا فركبنا ونهيتنا فأضعنا فلا بريء فأعتذر ، ولا عزيز فأنتصر ، ولكن لا إله إلا الله. ما زال يقولها حتى مات»(٢) .

قال أبو زرعة: ومات عمرو بن العاص بمصر في يوم عيد ، وصلى عليه ابنه عبد الله بن عمرو ، كما حدثني عبد الله بن صالح قال: حدثني الليث قال: حدثني يزيد بن أبي حبيب قال: حدثني ربيعة بن لقيط: أن عبد الله لما تقدم ليصلي عليه قال: والله ما أحب أن لي بأبي أبا رجل من العرب ، وما أحب أن الله يعلم أن عيني دمعت عليه فزعا ، وأن لي حمر النعم ، ثم كبر(٣) .

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٤/١٩٩) من طريق: عفان ثنا الأسود بن شيبان قال ثنا أبو نوفل بن أبي عقرب به. قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٤/٢٦٠) قال: أخبرنا عبيد الله بن أبي موسى قال: أخبرنا إسرائيل ، عن عبد الله بن المختار ، عن معاوية بن قرة المزني قال: حدثني أبو حرب بن أبي الأسود، عن عبد الله بن عمرو به. وسنده حسن فإن عبد الله بن المختار البصري من رجال مسلم، وثقه ابن معين والنسائي ، وقال أبو حاتم: لا بأس به. تهذيب الكمال (١٦/١١٢).

(٣) تاريخ أبي زرعة الدمشقي (ص: ٥٩٤). وإسناده حسن ، شيخ أبي زرعة عبد الله بن=



وذلك في يوم الفطر سنة ثلاث وأربعين، وقيل: سنة اثنتين وأربعين، وقيل: سنة ثمان وأربعين وقيل: سنة إحدى وخمسين. والأول أصح.

وله بضع وثمانون سنة، قال الذهبي: كان يقول: أذكر الليلة التي ولد فيها عمر، وقد عاش بعد عمر عشرين عاماً، فينتج هذا أن مجموع عمره بضع وثمانون سنة، ما بلغ التسعين رضي الله عنه[1].

*** *** ***

= صالح هو: أبو صالح المصري كاتب الليث، ذكر الحافظ في الفتح خلاف العلماء في توثيقه وتضعيفه ثم قال: قلت ظاهر كلام هؤلاء الأئمة أن حديثه في الأول كان مستقيماً ثم طرأ عليه فيه تخليط فمقتضى ذلك أن ما يجيء من روايته عن أهل الحذق كيحيى بن معين والبخاري وأبي زرعة وأبي حاتم فهو من صحيح حديثه، وما يجيء من رواية الشيوخ عنه فيتوقف فيه، والأحاديث التي رواها البخاري عنه في الصحيح بصيغة حدثنا أو قال لي أو قال المجردة قليلة. فتح الباري لابن حجر (١/٤١٤).

وربيعة هو: ابن لقيط بن حارثة بن عميرة التجيبي، سكن مصر وحدث بها عن معاوية وعمرو بن العاص وعبد الله بن حوالة ومالك بن هدم، روى عنه محمد بن إسحاق ويزيد بن أبي حبيب وغيرهما، قال أبو سعيد بن يونس: شهد صفين مع معاوية، وقال العجلي: تابعي ثقة وذكره بن حبان في الثقات. تعجيل المنفعة (١/٥٣٠)، وصحح حديثه الحاكم في المستدرك (٣/١٠٨)، ووافقه الذهبي، ووثقه الهيثمي في المجمع (٧/٣٣٤)، وقال الألباني عقب حديث من نجا من ثلاث فقد نجا: ـ إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين غير ربيعة بن لقيط التجيبي وهو ثقة، وثقة ابن حبان والعجلي، وروى عنه جماعة. السنة لابن أبي عاصم بتحقيق الألباني (٢) رقم (١١٧٧).

(١) السير للذهبي (٣/٧٧).



الشبهات المثارة حول الصحابي الجليل

(عمرو بن العاص رضي الله عنه)

- المبحث الأول: شبهات تتعلق بنسب عمرو بن العاص.
- المبحث الثاني: شبهات تتعلق بعدالته.
- المبحث الثالث: شبهات حول علاقته بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم.
- المبحث الرابع: شبهات حول علاقته بالصحابة رضي الله عنهم.
- المبحث الخامس: شبهات حول فتحه لمصر وحكمه لها، وعلاقته بأهلها عموماً والأقباط خصوصاً.

مدخل

الناظر في الشبهات المثارة حول الصحابي الجليل عمرو بن العاص رضي الله عنه بعد التأمل يرى أنها على خمسة أقسام: **القسم الأول:** شبهات تتعلق بنسب عمرو بن العاص، **والقسم الثاني:** شبهات حول علاقته بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم، **والقسم الثالث:** شبهات حول علاقته بالصحابة رضي الله عنهم. وأساسها الفتنة التي حصلت في عهد الصحابة، وقد تقدم في التمهيد حاصل هذه الفتنة وموقف المسلم منها[(١)].

والقسم الرابع: شبهات حول فتحه لمصر وحكمه لها.

والقسم الخامس: شبهات تتعلق بعدالته رضي الله عنه ومفادها: أنه ليس على جانب متين من الدين. حاشاه وقد قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «أَسْلَمَ النَّاسُ وَآمَنَ عَمْرُو بْنُ العَاصِ»[(٢)].

أَبَعْدَ هذه التزكية من تهمة، وبعد هذه الشهادة من مطعن؟!!، وقانا الله شر الهوى ونزغات الشيطان، وهنا لا بد من إشارات ومنارات على الطريق، حريٌ بكل مسلم أن يضعها نصب عينيه؛ حتى يسلم من

---

(١) (ص/٥٣)، وأكثر ما أتاح لألسنة الطاعنين في النيل من عرض هذا الصحابي الجليل؛ إنما هو من قبل هذا الباب، وقد ذكرت في التمهيد ـ (ص/٨١) ـ موقف المسلم من هذه الفتنة التي وقعت بين الصحابة حتى تكون له حاجزاً مانعاً من الوقوع في عرض الصحابة رضي الله عنهم، وفقني الله وإياك للحق.

(٢) تقدم تخريجه (ص/١٢٦).

إثم الوقيعة في المسلمين، ويسلم المسلمون من لسانه ويده. وبيان ذلك:

أنه ينبغي للمسلم قبل أن يصدر أحكامه على الآخرين أن يجعل ما بلغه من أخبارهم في ميزان التثبت والعدالة ويكون ذلك على النحو الآتي:

١ ـ النظر في ثبوت ذلك عنه، فغير الثابت كعدمه، إذ ليس من العدل أن ننسب لغير الصحابة أمراً ما بدون بينة صحيحة فكيف بالصحابي!.

٢ ـ فإذا صحت النسبة إليه نظرنا هل ذلك الأمر اجتهادي يسوغ الخلاف فيه أم لا؟، فإن كان من المسائل الاجتهادية التي يسوغ فيها الخلاف ففي الأمر سعة؛ إذ ليس قول أحد المجتهدين أولى من الآخر، فكلا القولين مبني على الظن، ولكل وجهة نظر، والعقول تتفاوت، وفي هذا النوع من المسائل يتأتى معنى العبارة الشهيرة (لا إنكار في مسائل الاجتهاد) أي في المسائل الاجتهادية التي ليس فيها نص قاطع ولا إجماع ولا قياس جلي[1].

٣ ـ فإذا كان الأمر لا يسوغ فيه الخلاف لكن يمكن حمله على

(١) قال النووي في شرحه على مسلم (٢/٢٤):... «وكذلك قالوا ليس للمفتي ولا للقاضي أن يعترض على من خالفه اذا لم يخالف نصاً أو إجماعاً أو قياساً جلياً والله أعلم. وذكر نحو هذا الكلام شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم». انظر الفتاوى الكبرى (٦/٩٢)، إعلام الموقعين (٣/٢٨٨).



محمل حسن، فيُلتمس له العذر ويُحمل على ذلك المحمل الحسن؛ إذ الأفضل حمل فعل المسلم أو قوله على السلامة لاسيما إن كان من أهل الفضل والعدالة.

٤ ـ فإن لم يكن ما تقدم؛ يُصدر الحكم، لكن أحياناً بعض الأحكام كالتكفير والتبديع تصدر على الفعل نفسه لا على الفاعل؛ إذ قد يكون متأولاً أو جاهلاً أو مكرهاً أو مُخْطِئاً، فمن عمل عملاً كفرياً أو بدعياً وكان متأولاً أو جاهلاً أو مكرهاً أو مخطأً؛ فإنه يحكم على الفعل بأنه كفر أو بدعة لا على صاحبه؛ لوجود هذه الموانع. ثم عندنا قاعدة عظيمة من قواعد الفقه المجمع عليها وهي: أن ما ثبت بيقين لا يزول إلا بيقين، فمن ثبت إسلامه أو فضله أو عدالته بيقين لا يزول عنه الإسلام أو الفضل أو العدالة إلا بيقين فتنبه.

قال السرخسي: إن التمسك باليقين وترك المشكوك فيه أصل في الشرع، فإن النبي عليه السلام أمر الشاك في الحدث بأن لا ينصرف من صلاته حتى يستيقن بالحدث، لأنه على يقين من الطهارة وهو في شك من الحدث[(١)].

ومن خلال التقسيم المتقدم للشبه سيكون مسار البحث في هذا الفصل على خمسة مباحث:

(١) أصول السرخسي (٢/١١٦).



شبهات تتعلق بنسب عمرو بن العاص رضي الله عنه

۞ الشبهة الأولى: أن العاص بن وائل والد عمرو نزل فيه قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ﴾

۞ الشبهة الثانية: ما قيل في والدته بأنها كانت من صاحبات الرايات ـ البغايا ـ.




شبهات تتعلق بنسب عمرو بن العاص

۞ الشبهة الأولى: أن العاص بن وائل والد عمرو نزل فيه قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾، قال الأميني: نسبه: أبوه هو الأبتر بنص الذكر الحميد (إن شانئك هو الأبتر) وعليه أكثر أقوال المفسرين والعلماء[١].

الجواب:

هذه السورة العظيمة المباركة ـ سورة الكوثر ـ سيكون الكلام عليها من ثلاثة جوانب:

الجانب الأول: هل هي مكية أو مدنية؟ الجانب الثاني: في من نزلت؟ والجانب الثالث: بيان معنى الأبتر؟

❊ **أما الجانب الأول:** هل هي مكية أو مدنية؟

اختلف العلماء في ذلك فمنهم من قال: إنها مكية، وهو قول ابن عباس والكلبي ومقاتل[٢].

(١) الغدير للأميني (٢/١٢٠)، وانظر بحار الأنوار للمجلسي (٢٢/١٦٦).

(٢) تفسير القرطبي (٢٠/٢١٦).

وبه قال الجزري[1]، والزمخشري[2]، وابن عطية[3] والزركشي[4]، واستدلوا بأثر ابن عباس رضي الله عنه في تحديد السور المكية والمدنية، وكذلك روايات لبعض التابعين كقتادة وجابر بن زيد وغيرهما من التابعين.

ذكر الزركشي السور المكية حسب هذه الروايات مرتبة ومنها سورة الكوثر وقال: فهذا ترتيب ما نزل من القرآن بمكة، وعليه استقرت الرواية من الثقات وهي خمس وثمانون سورة[5].

ومنهم من قال: إنها مدنية، وهو قول الحسن وعكرمة ومجاهد وقتادة[6]. وبه قال ابن كثير[7]، وصوَّبه السيوطي. وقال: رجحه النووي في شرح مسلم لما أخرجه مسلم عن أنس قال: بينا رسول الله بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءة فرفع رأسه متبسماً فقال أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آنِفًا سُورَةٌ فَقَرَأَ: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ ثُمَّ قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ؟» فَقُلْنَا اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ...» الحديث[8].

---

(١) النشر (١/٣٢٢).

(٢) الكشاف (٤/٨١١).

(٣) البحر المديد (٥/٥٣٠).

(٤) البرهان (١/١٩٣).

(٥) المصدر نفسه.

(٦) تفسير القرطبي (٢٠/٢١٦).

(٧) التفسير (٨/٤٩٨).

(٨) الإتقان في علوم القرآن (١/٥٥)، والحديث في صحيح مسلم: كتاب: الصلاة، باب: حجة من قال البسملة آية من أول كل سورة سوى براءة (١) رقم (٤٠٠).

قال ابن عاشور: تعارضت الأقوال والآثار في أنها مكية أو مدنية تعارضاً شديداً، فهي مكية عند الجمهور، واقتصر عليه أكثر المفسرين، ونقل الخفاجي عن كتاب (النشر) قال: أجمع من نعرفه على أنها مكية[١]. قال الخفاجي: وفيه نظر مع وجود الاختلاف فيها.

وأنس أسلم في صدر الهجرة فإذا كان لفظ (آنفاً) في كلام النبي ﷺ مستعملاً في ظاهر معناه وهو الزمن القريب، فالسورة نزلت منذ وقت قريب من حصول تلك الرؤيا.

ومقتضى ما يروى في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ أن تكون السورة مكية، ومقتضى ظاهر تفسير قوله تعالى: (وانحر) من أن النحر في الحج أو يوم الأضحى تكون السورة مدنية ويبعث على أن قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ ليس ردّاً على كلام العاصي ابن وائل... والأظهر أن هذه السورة مدنية[٢]؛ لما تقدم، ولأن قوله: (أتدرون ما الكوثر؟ قلنا: الله ورسوله أعلم) قرينة تقوي قول من قال بأنها نزلت في المدينة إذ لو كانت نزلت في مكة لكان منهم من يعرف الكوثر فسؤال النبي ﷺ الصحابة عنه وعدم معرفتهم له يدل على قرب الزمن المذكور.

والذي تميل إليه النفس أنها مدنية؛ لأن حديث أنس نص صحيح

---

(١) قال ابن الجزري: وقد يدل على أن هذه السورة مدنية وقد أجمع من نعرفه من علماء العدد والنزول على أنها مكية والله سبحانه وتعالى أعلم. النشر (٢٢٣/١).

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور (٥٠١/٣٠ ـ ٥٠٢) باختصار.

صريح في كونها نزلت في المدنية، لأن أنس بن مالك أنصاري خزرجي، وفي صحيح مسلم أنه قال: (قدم النبي ﷺ المدينة وأنا ابن عشر، ومات وأنا ابن عشرين، وكن أمهاتي يحثثنني على خدمته)[1].

ويؤيد هذا القول؛ قول سعيد بن جبير أنه قال: كانت هذه الآية، يعني قوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ يوم الحديبية، أتاه جبريل عليه السلام فقال:

انحر وارجع، فقام رسول الله ﷺ، فخطب خطبة الفطر والنحر ثم ركع ركعتين، ثم انصرف إلى البُدن فنحرها، فذلك حين يقول: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾[2].

ثم ما استدلوا به من الآثار في تحديد السور المكية والمدنية ـ على افتراض صحته ـ يَرِد عليه أنهم أنفسهم اختلفوا في بعض السور وهي محددة في هذه الآثار، وبعض السور لم تذكر في هذه الآثار وهي مجمع عندهم على مكيتها أو مدنيتها؛ فدل على أن الاستدلال بها غير قطعي، فيترجح كفة من قال إنها مدنية بحديث أنس؛ إلا إذا ثبت أنها نزلت في مكة فيقال نزلت مرتين مرة في مكة ومرة في المدينة وهذا أمر جار على بعض سور القرآن.

❋ **الجانب الثاني**: في من نزلت؟ اختلف السلف في ذلك على أقوال:

---

(١) صحيح مسلم: كتاب الأشربة، باب: استحباب إدارة الماء واللبن ونحوهما عن يمين المبتدئ (٣) رقم (٢٠٢٩).

(٢) تفسير الطبري (٢٤/٦٥٤ ـ ٦٥٥).




١ ـ نزلت في العاص بن وائل. قاله ابن عباس، ومجاهد، وسعيد ابن جبير، وقتادة وعكرمة. وذكر الرازي أنه قول عامة أهل التفسير.

وذلك؛ لما روي أنه عليه السلام كان يخرج من المسجد والعاص بن وائل السهمي يدخل فالتقيا فتحدثا وصناديد قريش في المسجد فلما دخل قالوا من الذي كنت تتحدث معه فقال ذلك الأبتر، وروي أيضاً أن العاص بن وائل كان يقول إن محمداً أبتر لا ابن له يقوم مقامه بعده، فإذا مات انقطع ذكره واسترحتم منه، وكان قد مات ابنه عبد الله من خديجة[١].

٢ ـ نزلت في عقبة بن أبي مُعَيط قاله شِمْر بن عطية[٢].

٣ ـ نزلت في كعب بن الأشرف وجماعة من كفار قريش قاله ابن عباس أيضاً، وعكرمة.

قال ابن كثير: وقال البزار: حدثنا زياد بن يحيى الحَسَّاني، حدثنا ابن أبي عدي، عن داود، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: قدم كعب ابن الأشرف مكة فقالت له قريش: أنت سيدهم ألا ترى إلى هذا المُصَنْبر المنبتر من قومه يزعم أنه خير منا، ونحن أهل الحجيج، وأهل السدانة وأهل السقاية؟ فقال: أنتم خير منه. قال: فنزلت ﴿إِنَّ

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٤/٦٥٤ ـ ٦٥٥)، والنكت والعيون للماوردي (٦/٣٥٦)، ومفاتيح الغيب للرازي (٣٢/١٢٣ ـ ١٢٤)، وتفسير ابن كثير (٨/٥٠٤).

(٢) تفسير الطبري (٢٤/٦٥٧)، ومفاتيح الغيب للرازي (٣٢/١٢٤) وتفسير ابن كثير (٨/٥٠٤).

شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾.

هكذا رواه البزار وهو إسناد صحيح[1].

٤ ـ نزلت في أبي لهب مروي عن عطاء: وذلك حين مات ابن رسول الله ﷺ فذهب أبو لهب إلى المشركين وقال: بُتِرَ محمد الليلة. فأنزل الله في ذلك: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾[2].

٥ ـ نزلت في أبي جهل مروي عن ابن عباس[3].

٦ ـ وعنه: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ يعني: عدوك. وهذا يعم جميع من اتصف بذلك ممن ذكر، وغيرهم.

قال الرازي: واعلم أنه لا يبعد في كل أولئك الكفرة أن يقولوا مثل ذلك فإنهم كانوا يقولون فيه ما هو أسوأ من ذلك، ولعل العاص بن وائل كان أكثرهم مواظبة على هذا القول فلذلك اشتهرت الروايات بأن الآية نزلت فيه[4].

٧ ـ نزلت في عمرو بن العاص ـ قبل إسلامه ـ قال البيهقي:

---

(١) تفسير ابن كثير (٨/٥٠٤)، والحديث في سنن النسائي الكبرى: كتاب: التفسير فاتحة الكتاب، باب قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ (١٠) رقم (١١٦٤٣)، وكشف الأستار عن زوائد البزار (٣/٨٣) قال: حدثنا الحسن بن علي الواسطي، ثنا يحيى بن راشد، عن داود به.

(٢) المصدر السابق، والنكت والعيون الماوردي (٦/٣٥٦)

(٣) المصدر السابق.

(٤) مفاتيح الغيب للرازي (٣٢/١٢٤).



وأخبرنا أبو عبد الله قال: حدثنا أبو العباس قال: حدثنا أحمد قال: حدثنا يونس، عن أبي عبد الله الجعفي جابر[1]، عن محمد بن علي قال: «كان القاسم بن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد بلغ أن يركب الدابة، ويسير على النجيب، فلما قبضه الله عز وجل قال عمرو بن العاص: لقد أصبح محمد أبتر من ابنه، فأنزل الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ عوضاً يا محمد من نصيبك بالقاسم ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ قال البيهقي: كذا روي بهذا الإسناد، وهو ضعيف. والمشهور أن الآية نزلت في أبيه»[2].

وهذا القول ضعيف كما ذكر البيهقي، في إسناده علتان.

الأولى: جابر الجعفي وهو ضعيف كما ذكره ابن حجر في التقريب[3].

الثانية: الانقطاع؛ فإن محمد بن علي هو الباقر حفيد الحسين بن علي رضي الله عنهما. قال أبو زرعةَ: محمد بن علي بن الحسين عن علي مرسل[4]. قال العلائي: أرسل عن جديه الحسن والحسين وجده الأعلى علي رضي الله عنهم[5].

---

(١) رقم (٨٧٨).

(٢) دلائل النبوة للبيهقي (٢/٦٩).

(٣) دلائل النبوة للبيهقي (٢/٦٩).

(٤) المراسيل لابن أبي حاتم (ص/١٨٥).

(٥) جامع التحصيل (ص: ٢٦٦).

فإذا كانت رواية الباقر عن جديه الحسن والحسين رضي الله عنهما بدون واسطة مرسلة غير مقبولة ـ وهما من أبناء المدينة النبوية ـ؛ فكيف بروايته عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قبل هجرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة؟!.

❁ **الجانب الثالث**: في تفسير الأبتر؟

للعلماء في تفسير (الْأَبْتَرُ) خمسة تأويلات:

أحدها: أنه الحقير الذليل، قاله قتادة.

الثاني: معناه الفرد الوحيد، قاله عكرمة.

الثالث: أنه الذي لا خير فيه حتى صار مثل الأبتر، وهذا قول مأثور.

الرابع: أن قريشاً كانوا يقولون لمن مات ذكور ولده، قد بتر فلان فلما مات لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ابنه القاسم بمكة، وإبراهيم بالمدينة، قالوا: بتر محمد فليس له من يقوم بأمره من بعده، فنزلت الآية، قاله: السدي وابن زيد.

الخامس: أن الله تعالى لما أوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ودعا قريش إلى الإيمان، قالوا ابتتر منا محمد، أي خالفنا وانقطع عنا، فأخبر الله تعالى رسوله أنهم هم المبترون، قاله: عكرمة وشهر بن حوشب[1].

قال ابن عاشور: (الْأَبْتَرُ): حقيقته المقطوع بعضه وغلب على

---

(١) النكت والعيون للماوردي (٦/٣٥٦).

المقطوع ذنبه من الدواب، ويستعار لمن نقص منه ما هو من الخير في نظر الناس تشبيها بالدابة المقطوع ذنبها تشبيه معقول بمحسوس...، ويقال للذي لا عقب له ذكوراً هو أبتر على الاستعارة تشبيه متخيل بمحسوس، شبهوه بالدابة المقطوع ذنبها؛ لأنه قطع أثره في تخيل أهل العرف...، ولكن لما كان وصف الأبتر في الآية جيء به؛ لمحاكاة قول القائل: محمد أبتر إبطال لقوله ذلك، وكان عرفهم في وصف الأبتر أنه الذي لا عقب له تعين أن يكون هذا الإبطال ضرباً من الأسلوب الحكيم وهو: تلقي السامع بغير ما يترقب بحمل كلامه على خلاف مراده تنبيها على أن الأحق غير ما عناه من كلامه...، وذلك بصرف مراد القائل عن الأبتر الذي هو عديم الابن الذكر إلى ما هو أجدر بالاعتبار وهو ناقص حظ الخير، أي ليس ينقص للمرء أنه لا ولد له لأن ذلك لا يعود على المرء بنقص في صفاته وخلائقه وعقله...[1]

يستخلص مما تقدم أن السلف اختلفوا في سورة الكوثر هل هي مكية أو مدنية، وفيمن نزلت، وما معنى الأبتر؟

فعلى القول بأنها مدنية وهو الأقرب فيبعد أن يقال المراد بها العاص؛ لأن في الرواية أنه قالها والنبي ﷺ في مكة قبل الهجرة.

وعلى القول بأنها مكية: فلا نستطيع أن نجزم أن المراد بها العاص لاختلاف العلماء في من نزلت ولو افترضنا أنها نزلت في العاص؛ وفسرنا الأبتر بمعنى منقطع العقب لا يستقيم لأن العاص له عقب ـ كما

---

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور (٣٠/٥٠٥)

تقدم[1] ـ فله عمرو وهشام، ولعمرو عبد الله ومحمد، قال ابن حزم: لعبد الله بالوهط، ومكة عقب كثير، يناهزون المائة[2]، ولو فسرت بمعنى منقطع الخير أو الحقير الذليل فهذا لا يضير عمرو؛ لأن المراد بها أباه فما شأن عمرو؟!

ومتى كانت جناية الأب تنسحب على الابن حتى يؤخذ بجرم أبيه وهل عيب على الخليل كفر أبيه أو على نوح عصيان ولده؟! فتحميل الشخص أخطاء الآخرين تجنٍ عليه وظلم له؛ وهو مخالف للمنطق والعقل، ومناقض لمبدأ العدل، ثم أين نحن من تلك اللوامع البرهانية والآيات المكررة القرآنية قال تعالى: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾[3]. وكم من فضلاء الصحابة ونجباء آل البيت أسلموا وكفر ذووهم، وأذعنوا وتكبر أهلوهم، والقرآن صرح بالتباب على أبي لهب وهو عم الشرف والمجد نبينا صلى الله عليه وآله وسلم، فالناظر بعيني العدل والإنصاف لا حاجة له في إقامة البراهين على ذلك.

وانظر يا رعاك الله كيف يحاول الغلاة التشبث بأدنى شبهة ولو كانت بعيدة كل البعد، مثلهم مثل الغريق يحاول النجاة فيتشبُّث بأي شيء ولو بالطحلب، وهذا الحال يحصل كثيراً عند من يعتقد ثم يستدل، في أي مسألة ما، فهو يعتقد شيئًا ثم يحاول جاداً أن يستدل له

(١) (ص/١٠٠).

(٢) تقدم (ص/١٠٦).

(٣) سورة النجم الآية (٣٨ـ ٣٩).




بأي شيء، حتى ينشر معتقده أو يبرر موقفه؛ إذا نوقش فيه، والصواب أن الإنسان يستدل ثم يعتقد، بمعنى أنه ينظر في الأدلة الصحيحة ثم يبني معتقده وفق مفهوم الأدلة؛ حتى يكون بنيانه على أساس متين، قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾[1].

* * *

❁ الشبهة الثانية: ما قيل في والدته بأنها كانت من صاحبات الرايات ـ البغايا ـ.

قال الأصبهاني: «ومسألة خبث ولادته معروفة في كثير من الكتب، ككتاب إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون، وكتاب المستطرف، وكتاب سبط ابن الجوزي ومحصلها: أن أمه كانت بغياً عند عبد الله بن جدعان فوطئها في طهر واحد أبو لهب، وأمية بن خلف، وأبو سفيان بن حرب، والعاص بن الوائل، وادعى كلهم عمرو، فألحقته أمه بالعاص. وقيل لها: لما اخترت العاص؟ قالت: لأنه كان ينفق على بناتي»[2].

قال الأميني: عقب خبر إقرار أبي سفيان لبعض الصحابة أنه

---

(١) سورة التوبة الآية (١٠٩).

(٢) القول الصراح في البخاري وصحيحه الجامع للأصبهاني (ص/٢٢٤).

الذي قذف زياد في رحم سمية لما أعجبه خطبته ومنعته هيبة عمر ادعاءه ـ: «لو كان معاوية استلحق زياداً بهذا الخبر لكان استلحاقه عمرو بن العاص أولى؛ إذ ادعاه أبو سفيان يوم ولادته قائلاً: أما إني لا أشك أني وضعته في رحم أمه».

واختصم معه العاص. غير أن النابغة أبت إلا العاص؛ لما زعمت من الشح في أبي سفيان[1].

الجواب: يجاب على هذه الشبهة من خمسة أوجه:

❊ **الوجه الأول**: هذه الرواية ساقطة وليس لها أساس من الصحة، وهي موجودة في بعض كتب الأدب ككتاب ربيع الأبرار للزمخشري[2]، ونهاية الأرب في فنون الأدب للنويري[3]، والعقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي[4]، والتذكرة الحمدونية لابن حمدون[5]، والمستطرف في كل فن مستظرف للأبشيهي[6].

ولم أجده مسنداً إلا في كتاب أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبى سفيان لعباس بن بكار[7] أخرجه من طريق:

---

(١) الغدير للأميني (٢١٩/١٠).

(٢) (٣٦٣/١).

(٣) (٤٨/٦).

(٤) (١٦/١).

(٥) (١٧٤/١).

(٦) (٤٠٨/١).

(٧) (١٣/١).

عبد الله بن سليمان المديني عن قتادة قال: دخلت أروى بنت الحارث بن عبد المطلب على معاوية وهي عجوز كبيرة فلما رآها قال مرحبا بك يا خالة... وذكرت كلاما في النيل من معاوية، فقال لها عمرو بن العاص: كفى أيتها العجوز، وغضي طرفك واقصري من شر لفظك فإنه أمير المؤمنين، قالت له: إيه عنك يا ابن النفيرة فو الله لعهدي بأمك بأبيات مكة وهي باكية من الخطيئة من كل عبد لنا عاهر، ولقد احتكم فيك خمسة من قريش كلهم يدعيك ابنه، وغلب عليك جزار قريش...

هذه القصة موضوعة؛ لأن في إسنادها:

العباس بن بكار الضبي البصري.

قال الدارقطني: كذاب.

وقال العقيلي: الغالب على حديثه الوهم والمناكير[1].

وقال الذهبي: متروك[2].

وعبد الله بن سليمان المديني لم أجد له ترجمة[3].

---

(١) الميزان للذهبي (٢/٣٨٢).

(٢) المقتنى في سرد الكنى للذهبي (٢/١٣٨).

(٣) ورد في بعض أسانيد الكتاب عن العباس بن بكار قال حدثني عبد الله بن سليمان بن داود عن أبيه عن عكرمة. فلعله ابن سليمان بن داود قيس الفراء المدني قال أبو حاتم ـ في أبيه سليمان ـ: لا أفهمه كما ينبغي، وقال الأزدي: تكلم فيه. الجرح والتعديل (٤/١١١)، ميزان الاعتدال للذهبي (٢/٢٠٦).




وقتادة بن دعامة السدوسي وإن كان ثقة ثبتاً[1] وحافظ عصره إلا أنه أحد المشهورين بالتدليس وهو أيضاً يكثر من الإرسال عن مثل النعمان بن مقرن وسفينة ونحوهما، قال أحمد بن حنبل: ما أعلم قتادة سمع من أحدٍ من أصحاب النبي ﷺ إلا من أنس بن مالك[2]، فهو لم يدرك معاوية فضلاً عن عمرو؛ إذ وفاة معاوية في رجب سنة ستين على الصحيح، وولادة قتادة سنة ستين، أو إحدى وستين[3]. فتكون ولادته في السنة التي مات فيها معاوية أو بعده بسنة.

فالقصة موضوعة ولا يصح شرعاً ولا يجوز عقلاً أن نصف أحداً بِناءً على قول أحد لا نعرف عدالته، فكيف بمن وصف بالكذب وترك الأئمة حديثه!؟[4].

---

(١) التقريب لابن حجر (٥٥١٨).

(٢) جامع التحصيل للعلائي (٢٥٤/١)، وانظر: تعريف أهل التقديس لابن حجر (٤٣/١).

(٣) تهذيب الكمال للمزي (٥١٧/٢٣).

(٤) بعد زبر ما تقدم أوقفت على طريق أخرى في الطبقات الكبرى لابن سعد ـ طبعة الخانجي ـ (٣٨٤/٦):

قال: أخبرنا يزيد بن هارون. قال: أخبرنا حريز بن عثمان. قال: حدثنا عبد الرحمن بن أبي عوف الجرشي. قال: لما بايع الحسن بن علي معاوية قال له عمرو بن العاص وأبو الأعور السلمي وعمرو بن سفيان: لو أمرت الحسن فصعد المنبر فتكلم عيي عن المنطق فيزهد فيه الناس... فصعد الحسن المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إن الله هداكم بأولنا وحقن دماءكم بآخرنا وإني قد أخذت لكم على معاوية أن يعدل فيكم. وأن يوفر عليكم غنائمكم. وأن يقسم فيئكم فيكم. ثم أقبل على معاوية. فقال: كذاك. قال: نعم. ثم هبط من المنبر وهو يقول ويشير بإصبعه إلى معاوية=




= «وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتاعٌ إِلى حِينٍ» فاشتد ذلك على معاوية. فقالا: لو دعوته فاستنطقته فقال: مهلاً فأبوا، فدعوه.

فأجابهم، فأقبل عليه عمرو بن العاص، فقال له الحسن: أما أنت فقد اختلف فيك رجلان: رجل من قريش، وجزار أهل المدينة. فادعياك فلا أدري أيهما أبوك...

الإسناد وإن كان ظاهره الصحة، لكن متنه منكر. وبيانه على النحو الآتي:

الأول: أنه يستحيل على من سكن وتربى في بيت النبوة أن يشكك في نسب أحد.

الثاني: أن الحسن عُرِف بحسن كلامه وسعة حلمه ففي تهذيب الكمال (٦/٢٣٥)

قال عبد الله بن عون عن عمير بن إسحاق: ما تكلم عندي أحد كان أحب إلي إذا تكلم أن لا يسكت من الحسن بن علي، وما سمعت منه كلمة فحش قط إلا مرة فإنه كان بين حسين بن علي وعمرو بن عثمان خصومة في أرض، فعرض حسين أمراً لم يرضه عمرو، فقال الحسن: فليس له عندنا إلا ما يرغم أنفه، قال: فهذه أشد كلمة فحش سمعتها منه قط.

الثالث: لم يكن للحسن أن يشكك في نسب أحد أثبت نسبه جده نبينا صلى الله عليه وآله وسلم بقوله ابنا العاص مؤمنان عمرو وهشام.

الرابع: أن الحسن ولد بعد أحد، وعمرو ولد في مكة قبل بعثة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فكيف سيقول هذا! لا سيما أنه لم يتكلم في هذا كبار الصحابة حتى أبوه، وقد قاتله في صفين.

الخامس: أن الحسن تنازل رغبة منه حقناً لدماء المسلمين، وجمعاً للكلمة وتوحيداً للصف، فمن غير المناسب أن تقال هذه الكلمات في مقام الصلح.

السادس: حضر الصلح جمع غفير فلو قاله حقاً لاشتهرت المقالة وذاعت، فتفرد الثقة في مثل هذا الحال يورث ريبة للنفس مما يجعله الحفاظ قرينة لوجود علة خفية، فكيف لو زاد على ذلك نكارة واضحة في متنه؛ فإنه يكون في حكم المردود وإن كان المتفرد ثقة. ولذلك نجد في عبارات بعض المحدثين (إسناده صحيح أو صالح ومتنه منكر) انظر: النكت على مقدمة ابن الصلاح للزركشي (١/٣٦٨). =




= فقد اعتنى المحدثون القُدامى بالمتن كاهتمامهم بالسند لذلك كان من ضمن شروطهم في الحديث الصحيح ألا يكون شاذاً ولا معللاً.

قال أبو داود ـ صاحب السنن ـ في رسالته لأهل مكة (ص/٢٩):

والأحاديث التي وضعتها في كتاب السنن أكثرها مشاهير وهي عند كل من كتب شيئاً من الحديث إلا أن تمييزها لا يقدر عليه كل الناس والفخر بها أنها مشاهير فإنه لا يحتج بحديث غريب ولو كان من رواية مالك ويحيى بن سعيد والثقات من أئمة العلم.

قال ابن رجب في شرحه لعلل الترمذي (ص/٢١٦):

وأما أكثر الحفاظ المتقدمين فإنهم يقولون في الحديث إذا تفرد به واحد ـ وإن لم يرو الثقات خلافه ـ: «إنه لا يتابع عليه، ويجعلون ذلك علة فيه، اللهم إلا أن يكون ممن كثر حفظه واشتهرت عدالته وحديثه كالزهري ونحوه، وربما يستنكرون بعض تفردات الثقات الكبار أيضاً، ولهم في كل حديث نقد خاص، وليس عندهم لذلك ضابط يضبطه».

قال المعلمي في مقدمته للفوائد المجموعة للشوكاني (ص/٧): «إذا استنكر الأئمة المحققون المتن وكان ظاهر السند الصحة فإنهم يتطلبون له علة، فإذا لم يجدوا علة قادحة مطلقاً، حيث وقعت، أعلوه بعلة ليست بقادحة مطلقاً، ولكنهم يرونها كافية للقدح في ذلك المنكر، فمن ذلك: إعلاله بأن راويه لم يصرح بالسماع هذا، مع أن الراوي غير مدلس، أعلّ البخاري بذلك خبراً رواه عمرو بن أبي عمرو مولى المطلب عن عكرمة. تراه في ترجمة عمرو من التهذيب» اهـ المراد.

ويبدو لي أن العلة هنا هي الإرسال، فالجرشي وإن كان المزي نص في التهذيب بأنه روى عن عمرو بن العاص ومعاوية، إلا أنني مع التتبع والتحري لم أجد له رواية عنهما إلا في هذه القصة، ووجدت له رواية عن معاوية فقط بواسطة أبي هند البجلي وهو مجهول كما قاله ابن القطان ـ انظر: بيان الوهم والإيهام في كتاب الأحكام=




. . . .

= (٢٥٨/٣) ـ، فلعله أخذ منه، أو أخذها من الشائعات من هنا أو هناك، وقد كثرت في ذلك الزمان مع أجواء الفتنة كما تقدم في التمهيد، ومما يؤكد قولي في إعلال هذا السند وبطلان نسبة هذا الكلام للحسن رضي الله عنه؛ أن خطبة الحسن في الصلح جاءت من طرق متعددة ولم يذكر فيها تشكيك الحسن لنسب عمرو بن العاص، وهي على النحو الآتي:

الأولى: أخرجها الطبراني في المعجم الكبير (٤٦/٣)، والحاكم في المستدرك (١٩٢/٣)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٦٥٩/٢)، والبيهقي في دلائل النبوة (٤٤٤/٦) من طريق هشيم وسفيان عن مجالد، عن الشعبي، قال: شهدت الحسن ابن علي رضي الله تعالى عنه...

قال الهيثمي: رواه الطبراني في الكبير، وفيه مجالد بن سعيد، وفيه كلام، وقد وثق، وبقية رجاله رجال الصحيح، وهذه الطريق فيها تصريح بالسماع مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٢٠٨/٤). فالشعبي عامر بن شراحيل الكوفي روايته عن الحسن في الصحيحين، وروايته عن معاوية في صحيح مسلم. تهذيب الكمال (٢٩/١٤).

ويشهد لهذه الطريق الطرق الآتية:

الثانية: أخرجها عبد الرزاق في مصنفه (٤٥٢/١١) ومن طريقه الطبراني (١٤٧/٣) من طريق معمر عن أيوب عن ابن سيرين، ـ وهو سند صحيح لابن سيرين، قال الهيثمي في المجمع (٢٠٨/٤): ورجاله رجال الصحيح ـ.

وأخرجها ابن سعد في الطبقات ـ طبعة الخانجي ـ (٣٨٤/٦):

قال: أخبرنا هوذة بن خليفة. قال: حدثنا عوف. عن محمد. وسنده حسن، وابن سيرين أحد الأئمة التابعين سمع من أبي هريرة. انظر: جامع التحصيل (ص: ٢٦٤)

الثالثة: أخرجها ابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٧٤/١٣) بسنده إلى عمرو بن دينار. وعمرو بن دينار المكي أحد أئمة التابعين قد صح عنه في أحاديث كثيرة التصريح=

❊ **الوجه الثاني**: كون أمه كانت من السبايا أمر غير مقطوع به وقد تقدم[1] الخلاف في نسب أمه، ثم لم تذكر الكتبُ المعْرَكَةَ التي سُبيت فيها والدة عمرو!.

❊ **الوجه الثالث**: لم تذكر كتب التاريخ المعتمدة أن أمه كانت من البغايا بل غاية ما ذكرت أنها سبية من بني جلان بن عنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار[2]. وفي أسد الغابة قال: وذكروا أنه جعل لرجل ألف درهم على أن يسأل عمرو بن العاص عن أمه وهو على المنبر فسأله فقال: أمي سلمى بنت حرملة تلقب النابغة من بني عنزة ثم أحد بني جلان أصابتها رماح العرب فبيعت بعكاظ، فاشتراها الفاكه بن المغيرة، ثم اشتراها منه عبد الله بن جدعان، ثم صارت إلى العاص بن وائل، فولدت له فأنجبت، فإن كان جعل لك شيء فخذه[3]. فعلى افتراض صحة هذا الخبر فإنه لا يفيد إلا أن أمه كانت جارية لدى أبيه العاص

= بالسماع من ابن عمر ومن جابر وغيرهما ومن ذلك في الصحيحين. انظر: جامع التحصيل (ص: ٢٤٣).

الرابعة: أخرجها الطبري في تاريخه (٣/١٦٧)، والبلاذري في أنساب الأشراف (١/٣٩٠)، والبيهقي في دلائل النبوة (٦/٤٤٤) من طرق مختلفة عن الزهري.

فجميع ما تقدم من الطرق المختلفة ـ عن الشعبي، وابن سيرين، وعمرو بن دينار، والزهري ـ تتفق في عدم ذكر الزيادة التي ذكرها الجرشي ـ التشكيك في نسب عمرو ـ فدل على أن هذه الزيادة لا أساس لها من الصحة. والله أعلم.

(١) (١٠٠).

(٢) الطبقات لخليفة (١/٢٥)، والاستيعاب لابن عبد البر (٣/٢٦٦).

(٣) (٤/٢٣٢).

وشراء الجواري ووطئهن والإنجاب منهن معهود لدى العرب ـ في الجاهلية والإسلام ـ وكثير من الصحابة ومن بعدهم من القرون المفضلة كانت لهم أم ولد، فهذا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه كانت له جارية اسمها خولة بنت جعفر بن قيس بن مسلمة بن ثعلبة بن يربوع بن ثعلبة بن الدول بن حنيفة وكانت من سبي اليمامة الذين سباهم أبو بكر الصديق، وقيل: كانت أمة لبني حنيفة ولم تكن من أنفسهم[1]. وولدت لأمير المؤمنين محمداً المعروف بابن الحنفية.

وكذلك عمر بن علي، ورقية، وهما توأم، وأمهما: الصهباء، يقال: اسمها أم حبيب بنت ربيعة من بني تغلب، من سبي خالد بن الوليد؛ وكان عمر آخر ولد علي بن أبي طالب[2].

وهذان سيدا شباب أهل الجنة الحسن والحسين لهما أولاد من جواري، وللحسين علي بن الحسين الأصغر، لأم ولد؛ وكان علي بن الحسين مع أبيه يومئذ، وهو ابن ثلاث وعشرين سنة، وكان مريضاً؛ فلما قتل الحسين، قال عمر بن سعد: لا تعرضوا لهذا المريض[3].

وغيرهم من الصحابة ومن جاء بعدهم في القرون المفضلة خلق كثير.

❊ **الوجه الرابع**: أن الطعن في الأنساب من خصال الجاهلية التي

---

(١) تهذيب الكمال (١٤٧/٢٦).

(٢) نسب قريش لمصعب الزبيري (١٨/١).

(٣) المصدر نفسه (٥٨/٢).

نهى الشرع عنها[1]، وإنكار نسب شخص أو التشكيك فيه من أخطر الأمور؛ إذ يجب إثباته بدليل واضح وصحيح وهذا غير موجود، ناهيك أن النبي أقر المشركين على أنسابهم، ولم يسأل عن كيفية نكاحهم مع أن النكاح في الجاهلية كان على أربعة أنحاء كما هو عند البخاري من طريق عروة بن الزبير أن عائشة ـ رضي الله عنها ـ زوج النبي ﷺ أخبرته «أَنَّ النِّكَاحَ فِي الجَاهِلِيَّةِ كَانَ عَلَى أَرْبَعَةِ أَنْحَاءٍ: فَنِكَاحٌ مِنْهَا نِكَاحُ النَّاسِ اليَوْمَ: يَخْطُبُ الرَّجُلُ إِلَى الرَّجُلِ وَلِيَّتَهُ أَوِ ابْنَتَهُ، فَيُصْدِقُهَا ثُمَّ يَنْكِحُهَا، وَنِكَاحٌ آخَرُ: كَانَ الرَّجُلُ يَقُولُ لِامْرَأَتِهِ إِذَا طَهُرَتْ مِنْ طَمْثِهَا: أَرْسِلِي إِلَى فُلاَنٍ فَاسْتَبْضِعِي مِنْهُ، وَيَعْتَزِلُهَا زَوْجُهَا وَلاَ يَمَسُّهَا أَبَدًا، حَتَّى يَتَبَيَّنَ حَمْلُهَا مِنْ ذَلِكَ الرَّجُلِ الَّذِي تَسْتَبْضِعُ مِنْهُ، فَإِذَا تَبَيَّنَ حَمْلُهَا أَصَابَهَا زَوْجُهَا إِذَا أَحَبَّ، وَإِنَّمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ رَغْبَةً فِي نَجَابَةِ الوَلَدِ، فَكَانَ هَذَا النِّكَاحُ نِكَاحَ الاسْتِبْضَاعِ. وَنِكَاحٌ آخَرُ: يَجْتَمِعُ الرَّهْطُ مَا دُونَ العَشَرَةِ، فَيَدْخُلُونَ عَلَى المَرْأَةِ، كُلُّهُمْ يُصِيبُهَا، فَإِذَا حَمَلَتْ وَوَضَعَتْ، وَمَرَّ عَلَيْهَا لَيَالٍ بَعْدَ أَنْ تَضَعَ حَمْلَهَا، أَرْسَلَتْ إِلَيْهِمْ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ رَجُلٌ مِنْهُمْ أَنْ يَمْتَنِعَ، حَتَّى يَجْتَمِعُوا عِنْدَهَا، تَقُولُ لَهُمْ: قَدْ عَرَفْتُمُ الَّذِي كَانَ مِنْ أَمْرِكُمْ وَقَدْ وَلَدْتُ، فَهُوَ ابْنُكَ يَا فُلاَنُ، تُسَمِّي مَنْ أَحَبَّتْ بِاسْمِهِ فَيَلْحَقُ بِهِ وَلَدُهَا، لاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَمْتَنِعَ بِهِ الرَّجُلُ، وَنِكَاحُ الرَّابِعِ: يَجْتَمِعُ النَّاسُ الكَثِيرُ، فَيَدْخُلُونَ عَلَى المَرْأَةِ، لاَ تَمْتَنِعُ مِمَّنْ جَاءَهَا، وَهُنَّ البَغَايَا، كُنَّ

---

(١) في صحيح مسلم (٣/٢٢٢٠): قال ﷺ: «أَرْبَعٌ في أمتي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ لاَ يَتْرُكُونَهُنَّ الْفَخْرُ في الأَحْسَابِ وَالطَّعْنُ في الأَنْسَابِ وَالاِسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ وَالنِّيَاحَةُ».




يَنْصِبْنَ عَلَى أَبْوَابِهِنَّ رَايَاتٍ تَكُونُ عَلَمًا، فَمَنْ أَرَادَهُنَّ دَخَلَ عَلَيْهِنَّ، فَإِذَا حَمَلَتْ إِحْدَاهُنَّ وَوَضَعَتْ حَمْلَهَا جُمِعُوا لَهَا، وَدَعَوْا لَهُمُ القَافَةَ، ثُمَّ أَلْحَقُوا وَلَدَهَا بِالَّذِي يَرَوْنَ، فَالْتَاطَ بِهِ، وَدُعِيَ ابْنَهُ، لاَ يَمْتَنِعُ مِنْ ذَلِكَ «فَلَمَّا بُعِثَ مُحَمَّدٌ ﷺ بِالحَقِّ، هَدَمَ نِكَاحَ الجَاهِلِيَّةِ كُلَّهُ إِلَّا نِكَاحَ النَّاسِ اليَوْمَ»(١).

فلما جاء الإسلام هدم نكاح الجاهلية وأبقى النكاح المعروف لدى المسلمين، لكن أقرهم على أنسابهم ولم يتعرض للبحث والتحقق عن كيفية النكاح.

وقد قال الرسول ﷺ لغيلان بن سلمة الثقفي حين أسلم وتحته عشر نسوة: «خُذْ مِنْهُنَّ أَرْبَعًا»(٢).

ثم ليس لأحد أن يفخر بنسبه بأنه من نكاح لا سفاح إلا أطهر الخلق بأبي هو وأمي صلوات ربي وسلامه عليه ما غرد قمري وناح، القائل «خَرَجْتُ مِنْ لَدُنْ آدَمَ مِنْ نِكَاحٍ غَيْرِ سِفَاحٍ»(٣).

---

(١) (٥١٢٧/٩)

(٢) أخرجه أحمد (٩) رقم (٥٠٢٧)، والترمذي: أبواب النكاح، باب: ما جاء في الرجل يسلم وعنده عشر نسوة.

(٢) رقم (١١٢٨) وابن ماجه: كتاب النكاح، باب الرجل يسلم وعنده أكثر من أربع نسوة (١٣١/٣) رقم (١٩٥٣) واللفظ لأحمد، وابن ماجه، وحسنه الألباني في المشكاة (٢٢٠/٢) رقم (٣١٧٦).

(٣) ابن سعد في الطبقات (٦١/١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٥٣٤).

قال السيوطي: باب اختصاصه ﷺ بطهارة نسبه وأنه لم يخرج من سفاح من لدن آدم. ثم ذكر هذا الحديث.

وفي السيرة الحلبية عند هذا الحديث: أن المرأة كانت تسافح الرجل مدة ثم يتزوجها إن أراد فكانت العرب تستحل الزنا إلا أن الشريف منهم كان يتورع عنه علانية، وإلا بعض أفراد منهم حرمه على نفسه في الجاهلية[١]. ومع ذلك كانوا يُقَّرون على أنسابهم ونكاحهم.

قال الأمير الصنعاني رحمه الله: وأما مسألة إقرارهم بأنسابهم وأنَّ هذا ولد هذا وأخوه ونحوه، فالظاهر أنَّ قبولهم في هذا ثابت في عصر النبوة مستفيض، وأنَّه ﷺ بقّا أهل الملل على ما هم عليه من إقرارهم بأنسابهم، ودعاهم ﷺ بذلك، وهذا شيء معلوم من ضرورة من يعرف أحواله وسيره، كما أنَّه كان يقبل قطعاً مثل إخبارهم بأنَّ ما تحت أيديهم مِلْكٌ لهم، فإنَّه كان يتعامل مع اليهود والمشركين قطعاً ويأخذ منهم، ويبيع ويقبض، بل مات ودرعه مرهون عند أبي الشَحْم[٢] اليهودي كما هو معروف في البخاري[٣] وغيره.

---

(١) السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون للحلبي (١/٦٨).

(٢) جاء اسم هذا اليهودي مصرحاً به عند الشافعي كما في ترتيب المسند (٢/١٦٤)، وابن سعد في الطبقات (١/٤٨٨)، والبيهقي في السنن الكبرى (٦/٣٧) مرسلاً عن جعفر بن محمد عن أبيه أن النبي ﷺ: «رهن درعه عند أبي الشحم اليهودي رجل من بني ظَفَر» وزاد البيهقي [في شعير] وعقَّبه البيهقي بقوله «هذا منقطع»، وانظر: التلخيص الحبير (٣/٨١) وفتح الباري (٥/١٧٤).

(٣) كأنه رحمه الله أراد أصل الحديث فإنه جاء من حديث عائشة أخرجه البخاري:=




فأنسابهم كذلك يُقْبَلون في إقرارهم بها، وقد عُلم أنه كان في الجاهلية لهم أربعة أنكحة لا يصح منها شيء في شرعنا إلا نكاح واحد، ولكنَّه ﷺ أقرَّ الأنساب على ما كانت عليه، ولا نعلم أنَّه بحث عن كيفية نكاح شخص لإثبات نسبه، ولم يأتِ حديث «الوَلَدُ لِلْفِرَاشِ وَلِلْعَاهِرِ الحَجَرُ»[(١)] إلا في يوم الفتح عند المخاصمة في ولد زمعة؛ لاستلحاق سعد بن أبي وقاص له بالوصية من أخيه أنَّه ولده[(٢)].

فنسب عمرو لأبيه ثابت كيف ما كان نكاح أبيه لأمه، ومما يؤكد ثبوت نسب عمرو للعاص قوله ﷺ: «ابْنَا الْعَاصِ مُؤْمِنَانِ: عَمْرٌو وَهِشَامٌ»[(٣)]، فقد نسبه ﷺ إلى أبيه، كذلك الصحابة كانوا ينسبونه لأبيه ولم يأت عن أحد منهم أنه قدح في صحة نسبه. إنما آثار في بعض

= كتاب: البيوع، باب: شراء الإمام الحوائج بنفسه (٣/٦١)، ومسلم: كتاب: المساقاة، باب: الرهن وجوازه في الحضر كالسفر (٣/١٢٢٦). ولفظه عند البخاري: عن عائشة رضي الله عنها قالت: «اشْتَرَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ يَهُودِيٍّ طَعَامًا بِنَسِيئَةٍ، وَرَهَنَهُ دِرْعَهُ».

(١) من حديث عائشة رضي الله عنها أخرجه البخاري: كتاب البيوع، باب تفسير المشبهات (٣) رقم (٢٠٥٣)، ومسلم: كتاب الرضاع، باب الولد للفراش، وتوقي الشبهات (٢) رقم (١٤٥٧)، قال النووي في شرح مسلم (١٠/٢٩٠) «قال العلماء: العاهر الزاني، وعهر زنى، وعَهِرَت زَنَت، والعهر الزنا، ومعنى له الحجر: أي الخيبة ولا حق له في الولد، وعادة العرب أن تقول: له الحجر وبفيه الأَثْلَبُ (وهو التراب) ونحو ذلك، يريدون ليس له إلا الخيبة.

(٢) حكم شهادة الكفار للصنعاني (ص/٣٦ ـ ٣٨).

(٣) تقدم (ص/١٢٧).



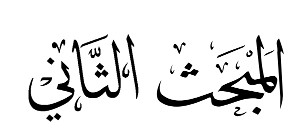

الكتب لا خطام لها ولا زمام.

* **الوجه الخامس**: كأن الطعن في النسب والاتهام بالزنا أصبح مطية من لا مطية له وحجة من لا حجة له، فقد اتهم اليهود أم عيسى عليه السلام بالزنا، واتُهِمت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها كذلك، وطعنوا في نسب الفاروق عمر، وكثيرٍ من أعلام الإسلام.

* **الوجه السادس**: التناقض الواضح بين هذه الروايات حين ذكرت أن أم عمرو بن العاص كانت من البغايا ومن أرخصهن أجراً، فكيف بسادات قريش أن يطئوا من هذه حالها، وكيف لهم أن يبحثوا عن أرخصهن أجراً، فهذه الرواية مرفوضة عقلاً، وهل من تضاجع السادة تكون أرخص العاهرات أجراً!.

ثم لو كانت أمه من صاحبات الرايات فما جرم عمرو، وهل يؤاخذ الرجل بجرم والديه، وهل الله سائله يوم القيامة عما صنع والداه؟ أولم يبايع النبي صلى الله عليه وآله وسلم من أسلم دون أن يعاتبه بما صنع والداه، وهنا يقال مثل ما قيل في المبحث المتقدم: ما لو كان أبوه هو الذي نزلت فيه (إن شانئك) فما شأن عمرو!.

** ** **



شبهات تتعلق بعدالته

۞ الشبهة الأولى: وصفه بالغدر.

۞ الشبهة الثانية: اعترافه عند موته باتباع الهوى والركون إلى الدنيا.

۞ الشبهة الثالثة: الثروة التي خلفها بعد موته.




شبهات تتعلق بعدالته

۞ الشبهة الأولى: وصفه بالغدر.

وهذا الأمر قد شاع وانتشر في كتب الطاعنين في عمرو بن العاص:

قال صاحب المعيار والموازنة: وإنما تراجع الناس إليه بعد الحكمين حين انكشف للناس غدر عمرو بن العاص[1].

وقال محسن الأمين: وبهذا انتهت مهزلة تحكيم الحكمين التي دبرها عمرو بن العاص وشرى دينه بإمارة مصر[2].

ومفاد ذلك ما ورد في قصة تحكيم أبي موسى وعمرو بن العاص في الخلاف الذي كان بين علي ومعاوية.. روى نصر بن مزاحم في كتابه صفين عن عمر بن سعد قال: حدثني أبو جناب الكلبي، أن عمراً وأبا موسى حيث التقيا بدومة الجندل أخذ عمرو يقدم عبد الله بن قيس في الكلام ويقول: إنك قد صحبت رسول الله ﷺ قبلي وأنت أكبر مني فتكلم ثم أتكلم. وكان عمرو قد عود أبا موسى أن يقدمه في كل شيء وإنما اغتره[3] بذلك ليقدمه فيبدأ بخلع علي... قال: فأخبرني ما

(١) المعيار والموازنة ص ١٩٦ ـ ١٩٧.

(٢) أعيان الشيعة (٥١٧/١)، وانظر أيضا الغدير للأميني (٣٣٦/١٠).

(٣) هكذا في كتاب وقعة صفين، وفي تاريخ الطبري اغتزى.



رأيك يا أبا موسى؟ قال: رأيي أن أخلع هذين الرجلين علياً ومعاوية، ثم نجعل هذا الأمر شورى بين المسلمين يختارون لأنفسهم من شاءوا ومن أحبوا. فقال له عمرو: الرأي ما رأيت... فأقبلا إلى الناس وهم مجتمعون، فتكلم أبو موسى فحمد الله وأثنى عليه فقال: إن رأيي ورأى عمرو قد اتفق على أمر نرجو أن يصلح الله به أمر هذه الأمة.

قال عمرو: صدق! ثم قال: يا أبا موسى فتكلم. فتقدم أبو موسى ليتكلم فدعاه ابن عباس فقال: ويحك، إني لأظنه قد خدعك، إن كنتما قد اتفقتما على أمر فقدمه قبلك فيتكلم بذلك الأمر قبلك ثم تكلم أنت بعده، فإن عمراً رجل غدار، ولا آمن أن يكون قد أعطاك الرضا فيما بينك وبينه، فإذا قمت به في الناس خالفك. وكان أبو موسى رجلاً مغفلاً فقال: إيها عنك إنا اتفقنا. فتقدم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يأيها الناس، إنا قد نظرنا في أمر هذه الأمة، فلم نر شيئاً هو أصلح لأمرها وألم لشعثها من ألا تتباين أمورها. وقد أجمع رأيي ورأى صاحبي عمرو على خلع علي ومعاوية، وأن نستقبل هذا الأمر فيكون شورى بين المسلمين، فيولون أمورهم من أحبوا. وإني قد خلعت علياً ومعاوية، فاستقبلوا أمركم وولوا من رأيتم لها أهلاً. ثم تنحى فقعد. وقام عمرو بن العاص مقامه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن هذا قال ما قد سمعتم وخلع صاحبه، وأنا أخلع صاحبه كما خلعه، وأثبت صاحبي معاوية في الخلافة فإنه ولى عثمان والطالب بدمه، وأحق الناس بمقامه. فقال له أبو موسى: مالك لا وفقك الله، قد غدرت




وفجرت. وإنما مثلك مثل الكلب «إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث» إلى آخر الآية. قال: فقال له عمرو: إنما مثلك مثل «الحمار يحمل أسفاراً» إلى آخر الآية...[١].

الجواب:

قصة تحكيم أبي موسى وعمرو بن العاص في الخلاف الذي كان بين علي ومعاوية رضي الله عنهم مشهورة ومبثوثة في كتب التاريخ والأدب[٢]، ولعلاقتها بالتاريخ السياسي للدولة الإسلامية أخذت من الأهمية مكاناً، فكان لا بد من وضعها تحت المجهر للدراسة والتحليل، لاسيما أنه تطاول بعض من قرأها ـ متوهماً صحتها ـ للنيل من نجوم الأمة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهو القائل: «لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلاَ نَصِيفَهُ»[٣].

وعند دراسة هذه القصة يتبين بطلانها وعدم ثبوتها من أربعة أوجه:

---

(١) وقعة صفين (١/٥٤٤ ـ ٥٤٥)، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (١/٢٥٥ ـ ٢٥٦).

(٢) كتاريخ الطبري (٥/٧١)، وتاريخ دمشق (٤٦/١٧٢)، والعقد الفريد لابن عبد ربه (٩٣ ـ ٩٤)، ونهاية الأرب في فنون الأدب للنويري (٢٠/١٥٦).

(٣) تقدم تخريجه (ص/٣٢).




* **الوجه الأول ـ من جهة السند ـ:** هذه القصة رواها نصر بن مزاحم في كتابه وقعة صفين من طريق عمر بن سعد قال: حدثني أبو جناب الكلبي، أن عمراً وأبا موسى حيث التقيا بدومة الجندل فذكره.

هذا الإسناد ضعيف جداً فيه أربع علل:

الأولى: نصر بن مزاحم المنقري صاحب الكتاب، متروك، قال أبو الفرج بن الجوزي:

«نصر بن مزاحم المنقري الكوفي العطار قال أبو خثيمة: كان كذاباً، قال يحيى: ليس حديثه بشيء، وقال أبو حاتم الرازي: واهي الحديث متروك الحديث، وقال الدراقطني: ضعيف، وقال إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني: كان زائغاً عن الحق، وقال صالح بن محمد: روى عن الضعفاء أحاديث مناكير، وقال أبو الفتح الأزدي: كان غالياً في مذهبه غير محمود في حديثه»[(١)].

الثانية: شيخه عمر بن سعد قال أبو حاتم: متروك الحديث[(٢)].

الثالثة: أبو جناب الكلبي: يحيى بن أبي حية الكلبي أبو جناب مشهور بها ضعفوه لكثرة تدليسه[(٣)].

الرابعة: الانقطاع حيث يروي أبو جناب هنا قصة التحكيم وهو قد توفي سنة خمسين ومائة في نفس السنة التي مات فيها الإمام أبو

---

(١) الضعفاء والمتروكين لابن الجوزي (٣/١٦٠).

(٢) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٦/١١٢).

(٣) التقريب لابن حجر (٧٥٣٧).




حنيفة، ومحمد بن إسحاق بن يسار صاحب المغازي[1] فبينه وبين التحكيم بون شاسع.

وأخرج هذا الرواية الطبري تعليقاً[2] من طريق أبي مخنف عن أبي جناب الكلبي أن عمراً وأبا موسى حيث التقيا بدومة الجندل... ثم ذكر نحو القصة الأولى وفي آخره ثم انصرف عمرو وأهل الشام إلى معاوية وسلموا عليه بالخلافة ورجع ابن عباس وشريح بن هانئ إلى علي وكان إذا صلى الغداة يقنت فيقول اللهم العن معاوية، وعمراً وأبا الأعور السلمي وحبيباً، وعبد الرحمن بن خالد والضحاك بن قيس والوليد، فبلغ ذلك معاوية فكان إذا قنت لعن علياً وابن عباس والأشتر وحسناً وحسيناً.

وهذا الإسناد أيضاً ضعيف جداً لا يصح الاستشهاد به فيه علتان:

لوط بن يحيى أبو مخنف، قال الذهبي: أخباري تالف، لا يوثق به[3].

وأبو جناب الكلبي: تقدم الكلام عليه في الإسناد الأول.

وللقصة طريق آخر:

أخرجه ابن سعد في الطبقات[4]، ومن طريقه ابن عساكر في

---

(١) تاريخ مولد العلماء ووفياتهم لسليمان الربعي (١/٣٥١).

(٢) تاريخ الطبري (٥/٧١).

(٣) تقدم (ص/٦٨).

(٤) (٤/٢٥٦).

تاريخ دمشق[(١)]:

أنا محمد بن عمر، حدثني أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبرة عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة، عن عمرو بن الحكم قال: لما التقى الناس بدومة جندل فذكر نحوه وفيه فقال سعد بن أبي وقاص ويحك يا أبا موسى ما أضعفك عن عمرو ومكائده فقال أبو موسى فما أصنع جامعني على أمر ثم نزع عنه.

هذا السند ضعيف جداً فيه ثلاث علل:

ـ **العلة الأولى**: محمد بن عمر بن واقد الأسلمي الواقدي المدني القاضي نزيل بغداد متروك مع سعة علمه. قاله الحافظ ابن حجر[(٢)].

ـ **العلة الثانية**: شيخه: أبو بكر بن عبد الله بن محمد بن أبي سبرة ابن أبي رهم بن عبد العزى القرشي العامري المدني قيل: اسمه عبد الله، وقيل: محمد وقد ينسب إلى جده.

قال أحمد بن حنبل: ليس بشيء كان يضع الحديث.

وقال النسائي: متروك الحديث.

وقال أبو أحمد بن عدي: عامة ما يرويه غير محفوظ وهو في جملة من يضع الحديث[(٣)].

---

(١) (٤٦/١٧٢).

(٢) التقريب (٦١٧٥).

(٣) تهذيب الكمال للمزي (٣٣/١٠٦).



وقال الحاكم: يروي الأحاديث الموضوعات عن الشيوخ الأثبات مثل هشام بن عروة وجعفر بن محمد الصادق وغيرهما[(١)].

ـ **العلة الثالثة:** شيخ ابن أبي سبرة: إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة.

قال ابن سعد: وكان إسحاق كثير الحديث يروي أحاديث منكرة ولا يحتجون بحديثه.

وقال بقية بن الوليد عن عتبة بن أبي حكيم: جلس إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة بالمدينة في مجلس الزهري قريباً منه فجعل يقول: قال رسول الله ﷺ قال رسول الله ﷺ فقال له الزهري: قاتلك الله يا ابن أبي فروة ما أجرأك على الله ألا تسند أحاديثك تحدثنا بأحاديث ليس لها خطم ولا أزمة.

وقال محمد بن عبد الله بن عبد الحكم حدثنا محمد بن عاصم بن حفص المصري وكان من ثقات أصحابنا وفي رواية وكان من أهل الصدق قال: حججت ومالك حي، فلم أر أهل المدينة يشكون أن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة متهم قلت له فيما ذا، قال في الإسلام وفي رواية على الدين.

وقال البخاري: تركوه.

ونهى أحمد بن حنبل عن حديثه.

---

(١) سؤالات السجزي (ص/١٥٣).




وقال إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني: سمعت أحمد بن حنبل يقول لا تحل عندي الرواية عن إسحاق بن أبي فروة وقال ما هو بأهل أن يحمل عنه ولا يروى.

وقال يحيى بن معين: كذاب، وقال مرة: حديثه ليس بذاك. وقال مرة: لا يكتب حديثه ليس بشيء.

وقال على بن المديني: منكر الحديث.

وقال محمد بن عبد الله بن عمار: ضعيف ذاهب.

وقال عمرو بن علي وأبو زرعة وأبو حاتم والنسائي: متروك الحديث.

وقال أبو بكر بن خزيمة: لا يحتج بحديثه، وقال الدارقطني والبرقاني: متروك.

وقال أبو أحمد بن عدي ما ذكرت ها هنا من أخباره بالأسانيد التي ذكرت فلا يتابعه أحد على أسانيده ولا على متونه وسائر أخباره مما لم أذكره تشبه هذه الأخبار التي ذكرتها وهو بين الأمر في الضعفاء[١].

قال ابن حجر: إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة الأموي مولاهم المدني متروك[٢].

فتبين لك أخي الكريم أن الطريقين السابقين لا يثبت منهما شيء،

(١) تهذيب الكمال للمزي (٢/٤٤٦).

(٢) التقريب رقم (٣٦٨).




ولا يصح أيضاً الاستشهاد بهما.

※ **الوجه الثاني** ـ من جهة المتن ـ: وبعد ما تبين لك بطلان هذه القصة من جهة سندها لتعلم أن ثم أموراً في ثنايا القصة تدل على بطلانها واصطناعها، وأنها بعيدة عن الواقع والحقيقة، منها:

أولاً: من خلال النظر في سياق القصة تجد أن صورة الكلام فيها يتنافى مع أخلاقيات آحاد المسلمين فضلاً عن الصحابة الأخيار رضي الله عنهم ثم إن سردها بهذه الهيئة لا يتناسب مع صفات الصحابة وأخلاقهم الرفيعة.

قال القاضي أبو بكر بن العربي في العواصم من القواصم: قد تحكم الناس في التحكيم فقالوا فيه مالا يرضاه الله، وإذا لحظتموه بعين المروءة دون الديانة رأيتم أنها سخافة حمل على تسطيرها في الكتب في الأكثر عدم الدين، وفي الأقل جهل متين... هذا كله كذب صراح ما جرى منه حرف قط، وإنما هو شيء أخبر عنه المبتدعة ووضعته التاريخية للملوك؛ فتوارثه أهل المجانة والجهارة بمعاصي الله والبدع.. ثم ذكر أن الذي رواه الأئمة الثقات الأثبات كخليفة بن خياط والدارقطني أنهما لما اجتمعا للنظر في الأمر عزل عمرو معاوية اهـ ملخصاً[1].

ثانياً: المتأمل في القصة يرى أن الخلاف الدائر بين علي ومعاوية

---

(١) العواصم من القواصم (ص/١٧٩).



هو حول الخلافة ومن هو أحق بها، وليس هذا هو الخلاف، إنما الخلاف الحقيقي المعروف والمتفق عليه بين جميع المؤرخين كان سببه أخذ القصاص من قتلة عثمان رضي الله عنه، فقد ظن معاوية رضي الله عنه أن علياً رضي الله عنه قد قصّر فيما يجب عليه من القصاص لعثمان بقتل قاتليه، ومن ثمّ رفض بيعته وطاعته؛ إذ رأى القصاص قبل البيعة لعلي رضي الله عنه، وهو وليّ الدم؛ لقرابته من عثمان.

وبموقف معاوية هذا في الامتناع عن البيعة انتظاراً للقصاص من قتلة عثمان، ولعدم إنفاذ أوامره في الشام أصبح معاوية رضي الله عنه ومن تبعه من أهل الشام في نظر علي رضي الله عنه في موقف الخارجين على الخلافة؛ إذ كان رأيه أن بيعته قد انعقدت برضاء من حضرها من المهاجرين والأنصار بالمدينة، ولزمت بذلك بقية المسلمين في جميع الأقطار الإسلامية. ولذلك رأى أن معاوية ومن معه من أهل الشام بُغاة خارجون عليه، وهو الإمام منذ بُويع بالخلافة، فقرّر أن يُخضعهم ويردّهم إلى حظيرة الجماعة ولو بالقوة.

وفهم الخلاف على هذه الصورة ـ وهي صورته الحقيقية ـ يبين إلى أي مدى تخطئ الرواية السابقة عن التحكيم في تصوير قرار الحكمين. إن الحكمين مفوضان للحكم في الخلاف بين علي ومعاوية رضي الله عنهما، ولم يكن الخلاف بينهما حول الخلافة ومن أحق بها منهما، وإنما كان حول توقيع القصاص على قتلة عثمان رضي الله عنه، وليس هذا من أمر الخلافة في شيء، فإذا ترك الحكمان هذه القضية الأساسية، وهي




ما طلب إليهما الحكم فيه، واتخذا قراراً في شأن الخلافة كما تزعم الرواية الشائعة، فمعنى ذلك أنهما لم يفقها موضوع النزاع، ولم يُحيطا بموضوع الدعوى، وهو أمر مستبعد جداً[1].

يقول ابن حزم في هذا الصدد: بأن علياً قاتل معاوية لامتناعه من تنفيذ أوامره في جميع أرض الشام، وهو الإمام الواجب طاعته، ولم ينكر معاوية رضي الله عنه قط فضل عليّ رضي الله عنه واستحقاقه الخلافة، لكن اجتهاده أَدَّاه إلى أن رأى تقديم أخذ القود من قتلة عثمان على البيعة، ورأى نفسه أحق بطلب دم عثمان والكلام فيه من أولاد عثمان وأولاد الحكم ابن أبي العاص؛ لسنّه وقوته على الطلب بذلك، وأصاب في هذا وإنما أخطأ في تقديمه ذلك على البيعة فقط[2].

ويؤيد هذا المعنى عدة أمور منها:

١ ـ ما ذكره يحيى بن سليمان الجعفي أحد شيوخ البخاري في كتاب صفين في تأليفه عن أبي مسلم الخولاني أنه قال لمعاوية: أنت تنازع علياً في الخلافة أو أنت مثله؟ قال: لا وأني لأعلم أنه أفضل مني وأحق بالأمر ولكن ألستم تعلمون أن عثمان قتل مظلوماً وأنا ابن عمه ووليه أطلب بدمه، فأتوا علياً فقولوا له يدفع لنا قتلة عثمان، فأتوه فكلموه فقال: يدخل في البيعة ويحاكمهم إلي، فامتنع معاوية، فسار علي في الجيوش من العراق حتى نزل بصفين، وسار معاوية حتى نزل هناك[3].

---

(١) تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة، د. محمد أمحزون (٢/٢٢٤).
(٢) الفصل في الملل والنحل لابن حزم (٤/١٦٠).
(٣) فتح الباري (١٣/٨٦) وجود إسناده الحافظ.

٢ ـ ما أخرجه ابن أبي شيبة: حدثنا وكيع، عن موسى بن قيس، قال: حدثني قيس بن رمانة، عن أبي بردة، قال: قال معاوية: «ما قاتلت علياً إلا في أمر عثمان»[١].

٣ ـ ما أورده الشريف الرضي أبو الحسن محمد بن الحسين الموسوي، في كتابه نهج البلاغة: أن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه قال في خطبته «وبدء أمرنا أنا التقينا والقوم من أهل الشام، والظاهر أن ربنا واحد ونبينا واحد، ودعوتنا في الإسلام واحدة، ولا نستزيدهم في الإيمان بالله والتصديق برسوله، ولا يستزيدوننا، الأمر واحد إلا ما اختلفنا فيه من دم عثمان ونحن منه براء...»[٢].

ثالثاً: شخصية كل من أبي موسى الأشعري وعمرو بن العاص رضي الله عنهما:

إن القول بأن أبا موسى الأشعري كان في قضية التحكيم ضحية خديعة عمرو بن العاص ينافي الحقائق التاريخية الثابتة عن فضله وفطنته وفقهه ودينه، والتي تثبت له بتوليه بعض أعمال الحكم والقضاء في الدولة الإسلامية منذ عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فقد كان عامل النبي صلى الله عليه وآله وسلم على زَبيد وعدن وغيرهما من اليمن وسواحلها، ولما مات النبي صلى الله عليه وآله وسلم قدم المدينة وشهد فتوح الشام ووفاة أبي عبيدة، واستعمله عمر على إمرة البصرة بعد أن عزل المغيرة، وهو

---

(١) المصنف (١١/٩٢).

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (١٧/١٤١).



الذي افتتح الأهواز وأصبهان، وأقره عثمان على عمله قليلاً، ثم صرفه، واستعمل عبد الله بن عامر، فسكن الكوفة وتفقه به أهلها حتى استعمله عثمان عليهم بعد عزل سعيد بن العاص[1]. فهل يُتصوّر أن يثق رسول الله ﷺ ثم خلفاؤه من بعده برجل تجوز عليه مثل هذه الخدعة التي ترويها قصة التحكيم؟. هذا وقد شهد الصحابة[2] وكثير من علماء التابعين لأبي موسى رضي الله عنه بالرسوخ في العلم، والكفاءة في الحكم، والفطنة والكياسة في القضاء. فكيف يمكن تصور غفلته إلى هذا الحد؟.. فلا يفقه حقيقة النزاع الذي كُلّف بالحكم فيه، ويصدر فيه قراراً لا محلّ له، وهو قرار عزل الخليفة الشرعي بدون مبرّر يسوغ هذا الفعل، وقرار عزل معاوية المزعوم، ثم يقع منه ومن عمرو بن العاص ما نُسب إليهما من السبّ والشتم، وهو أمر يتعارض مع ما عُرف وتواتر عن الصحابة رضوان الله عليهم من حسن الخلق وأدب الحديث.

وإذا كان علم أبي موسى رضي الله عنه وخبرته في القضاء يحولان بينه وبين أن يخطئ الحكم في القضية التي أُوكل إليه النظر في أمرها، فإن ذلك

---

(١) الإصابة لابن حجر (٤/١٢٠).

(٢) منهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عن أنس قال: «بعثني الأشعري إلى عمر فقال لي عمر: كيف تركت الأشعري؟ فقلت له: تركته يعلم الناس القرآن، فقال: أما إنه كيس، ولا تسمعها إياه»، ومدحه علي رضي الله عنه عنه بقوله صبغ في العلم صبغة. انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٢/٣٤٥ ـ ٣٤٦). ويكفي أن يصفه بالفطنة والذكاء أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه الرجل الملهم، الذي وافقه الله في بعض آي الكتاب، فكيف وقد ثنّى بمدحه أمير المؤمنين علي رضي الله عنه بقوله: «صبغ في العلم صبغة».




أيضاً هو شأن عمرو بن العاص رضي الله عنه الذي يُعتبر من أذكياء العرب وحكمائهم، وقد أمره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يقضي بين خصمين في حضرته، وبشّره حين سأله: يا رسول الله أقضي وأنت حاضر؟ بأن له إن أصاب أجران وإن أخطأ أجر واحد حين قال له: إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ له أجر(١).

وقبول تلك الرواية يعني الحكم على عمرو بن العاص رضي الله عنه بأنه كان في أداء مهمته رجلاً تُسيّره الأهواء، فتطغى لا على فطنته وخبرته فحسب، بل على ورعه وتقواه أيضاً. على أنه رضي الله عنه كان من أجلاء الصحابة وأفاضلهم، ومناقبه وفضائله كثيرة(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «ومعاوية، وعمرو بن العاص، وأمثالهم من المؤمنين؛ لم يتهمهم أحد من السلف بنفاق؛ بل قد ثبت في الصحيح أن «عمرو بن العاص لما بايع النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: على أن يغفر لي ما تقدم من ذنبي. فقال: يَا عَمْرُو أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الإِسْلاَمَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ» ومعلوم أن الإسلام الهادم هو إسلام المؤمنين؛ لا إسلام المنافقين. وأيضاً فعمرو بن العاص وأمثاله ممن قدم مهاجراً إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد الحديبية هاجروا إليه من بلادهم طوعاً

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه (٤) رقم (٧٠٠٤) من طريق فرج بن فضالة، عن محمد بن عبد الأعلى، عن أبيه، عن عبد الله بن عمرو، أن رجلين اختصما إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فذكره، قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه بهذه السياقة، وقال الذهبي: فرج ضعفوه.

(٢) تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة، د. محمد أمحزون (٢/٢٢٦ ـ ٢٣٠) باختصار.



لا كرهاً، والمهاجرون لم يكن فيهم منافق؛ وإنما كان النفاق في بعض من دخل من الأنصار؛ وذلك أن الأنصار هم أهل المدينة؛ فلما أسلم أشرافهم وجمهورهم احتاج الباقون أن يظهروا الإسلام نفاقاً؛ لعز الإسلام وظهوره في قومهم. وأما أهل مكة فكان أشرافهم وجمهورهم كفاراً فلم يكن يظهر الإيمان إلا من هو مؤمن ظاهراً وباطناً؛ فإنه كان من أظهر الإسلام يؤذى ويهجر»[1].

رابعاً: ذكر ابن جرير في فاتحة هذه الأسطورة أن عمراً قال لأبي موسى: ألست تعلم أن معاوية وآله أولياء عثمان؟ قال: بلى، قال: فإن الله عز وجل قال: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا﴾ وكلاماً كثيراً بعده في استحقاق معاوية للخلافة، فأجابه أبو موسى عن جله جواباً شافياً ولم يجبه عن احتجاجه بالآية، وكأنه سلمه، والاحتجاج بها على خلافة معاوية فاسد من أوجه كثيرة لا حاجة لذكرها كلها؛ منها أنه تعالى قال: ﴿فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا﴾ فأي إسراف ونصر حصلا له في جيش أمير المؤمنين وقد قتل من جيشه الطالب بدم عثمان خمسة وأربعون ألفاً على أقل تقدير، ومن جيش حيدرة خمسة وعشرون ألفاً؟ وأي إسراف ونصر حصلا له وقد أشرف على الهزيمة الكبرى ولولا المصاحف لهلك جل جيشه؟!

فهذا جهل فادح ممن يحتج بها على ذلك، فمحال صدوره من

---

(١) مجموع الفتاوى (٣٥/٦٢)



عمرو وهو من علماء الصحابة، ومحال تسليمه ـ ولو صدر منه ـ من أبي موسى الأعلم منه[1].

خامساً: لا يخلو قول عمرو فيما زعموا عليه (وأثبت صاحبي معاوية) من أمرين:

الأول: ثبته في الخلافة كما كان أولاً، وهذا هو المتبادر من لفظ التثبيت، وهو باطل قطعاً؛ فإنه لم يقل أحد ينتسب إلى الإسلام إن معاوية كان خليفة قبل التحكيم حتى يثبته حَكمه فيها بعده، ولم يدعها هو لا قبله ولا بعده، ولم ينازع حيدرة فيها.

الثاني: ثبته على إمارة الشام كما كان قبل، وهذا هو المتعين دراية وإن لم يصح رواية، وهو تحصيل الحاصل، وأي دهاء امتاز به على أبي موسى في تحصيل الحاصل؟ وأي تغفيل يوصم به أبو موسى مع هذا العبث؟ فهل زاد به معاوية شيئاً جديداً لم يكن له من قبل؟ وهل نقص به علي عما كان له قبل؟[2].

سادساً: ما نقصت هذه الخديعة لو صحت مما كان لأمير المؤمنين عند أتباعه شيئاً، وما أفادت معاوية شيئاً جديداً زائداً عما كان له حتى يصح أن يقال فيها: إن فلاناً داهية كاد أمة من المسلمين بكيد مقدمها ومحكمها، وغاية أمرها أنها أشبه بعبث الأطفال لا تتجاوز العابث

(١) تحذير العبقري من محاضرات الخضري (٢/٨٩).
(٢) المصدر السابق (٢/٩٠).




والمعبوث به، وبرَّأ الله تعالى أصحاب النبي ﷺ من هذا العبث[١].

سابعاً: في رواية إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة: فقال سعد بن أبي وقاص ويحك يا أبا موسى ما أضعفك عن عمرو ومكائده فقال أبو موسى فما أصنع جامعني على أمر ثم نزع عنه.

فهذا يدل على بطلان هذه القصة لأن سعد بن أبي وقاص لم يحضر التحكيم أصلاً كما ذكره ابن جرير في تاريخه[٢]، ورجحه ابن مزاحم في وقعة صفين[٣]، وابن كثير في البداية[٤]، والذهبي في السير[٥]، وغيرهم واعتزال سعد للفتنة أمر ثابت ومشهور في كتب التاريخ.

ثامناً: قول عمرو لأبي موسى: أنت أكبر مني، وفي رواية أسن مني، مخالف للواقع؛ فأبو موسى توفي ما بين سنة «٤٤ ـ ٥٢» هجرية وسنه بضع وستين سنة، فكيف يكون أكبر من عمرو الذي كان عمره أثناء التحكيم فوق الثمانين؟![٦].

❊ **الوجه الثالث**: وردت روايات أخرى بعضها في البخاري تنقل

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) (١١١/٣).

(٣) (٥٣٨/١).

(٤) (٥٧٣/١٠).

(٥) (١٢٢/١).

(٦) انظر: تهذيب الكمال للمزي (٤٥٢/١٥)، ومن مشاهير الصحابة، علي الشحود (ص/٢١٣).



لنا الصورة الحقيقية التي تتناسب مع شخصيات الصحابة وأخلاقهم، وفيها: أنهم تواعدوا للصلح في السنة المقبلة، فجاء معاوية وأهل الشام، وشغل علي رضي الله عنه بالخوارج، فأرسل ابن عباس رضي الله عنهما، وكان الحكم من قبله أبي موسى ومن الطرف الآخر عمرو بن العاص رضي الله عنهما، فاختلفا ولم يصطلحا وتفرقوا ولم يحصل خلع لأحد الطرفين كما في الروايات السابقة. وإليك هذه الروايات لتعلم مدى الخلل في الرواية السابقة:

١ ـ قال أبو جعفر[(١)]: فكتب كتاب القضية بين علي ومعاوية ـ فيما قيل ـ يوم الأربعاء لثلاث عشرة خلت من صفر سنة سبع وثلاثين من الهجرة، على أن يوافي علي ومعاوية موضع الحكمين بدومة الجندل في شهر رمضان، مع كل واحد منهما أربعمائة من أصحابه وأتباعه.

فحدثني عبد الله بن أحمد، قال حدثني أبي قال حدثني سليمان ابن يونس بن يزيد عن الزهري قال: قال صعصعة بن صوحان يوم صفين حين رأى الناس يتبارون: ألا اسمعوا واعقلوا تعلمن والله لئن ظهر علي ليكونن مثل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وإن ظهر معاوية لا يقر لقائل بقول حق. قال الزهري: فأصبح أهل الشام قد نشروا مصاحفهم ودعوا إلى ما فيها فهاب أهل العراقين، فعند ذلك حكموا الحكمين، فاختار أهل العراق أبا موسى الأشعري، واختار أهل الشام عمرو بن العاص، فتفرق أهل صفين حين حكم الحكمان، فاشترطا أن يرفعا ما

---

(١) تاريخ الطبري (٥/٥٧).




رفع القرآن، ويخفضا ما خفض القرآن، وأن يختارا لأمة محمد ﷺ، وأنهما يجتمعان بدومة الجندل[1]، فإن لم يجتمعا لذلك اجتمعا من العام المقبل بأذرح[2]. فلما انصرف علي خالفت الحرورية وخرجت وكان ذلك أول ما ظهرت فآذنوه بالحرب وردوا عليه إن حكم بني آدم في حكم الله عز وجل وقالوا لا حكم إلا لله سبحانه وقاتلوا فلما اجتمع الحكمان بأذرح وافاهم المغيرة بن شعبة فيمن حضر من الناس، فأرسل الحكمان إلى عبد الله بن عمر بن الخطاب وعبد الله بن الزبير في إقبالهم في رجال كثير، ووافى معاوية بأهل الشام وأبى علي وأهل العراق أن يوافوا،... فلما اجتمع الحكمان وتكلما قال عمرو بن العاص: يا أبا موسى رأيت أول ما تقضي به من الحق أن تقضي لأهل الوفاء بوفائهم وعلى أهل الغدر بغدرهم، قال: أبو موسى وما ذاك، قال: ألست تعلم أن معاوية وأهل الشام قد وفوا وقدموا للموعد الذي واعدناهم إياه قال: بلى، قال عمرو: اكتبها فكتبها أبو موسى، قال عمرو: يا أبا موسى أأنت على أن نسمي رجلاً يلي أمر هذه الأمة فسمه لي فإن أقدر على أن أتابعك فلك علي أن أتابعك وإلا فلي عليك أن تتابعني، قال أبو موسى: أسمي لك عبد الله بن عمر وكان ابن عمر فيمن اعتزل قال عمرو: إني

---

(١) «دُومَةُ الجَنْدَلِ» حصن بين مدينة النبي ﷺ وبين الشام وهو أقرب إلى الشام، وهو الفصل بين الشام وبين العراق وداله مضمومة والمحدثون يفتحون قال ابن دريد: الفتح خطأ. المصباح المنير للفيومي (١/٢٧٧).

(٢) أذرح بحاء مهملة وزن أذرع مدينة تلقاء الشراة من أدانى الشام. معجم ما استعجم للبكري (١/١٣٠).



أسمي لك معاوية بن أبي سفيان، فلم يبرحا مجلسهما حتى استبا ثم خرجا إلى الناس فقال أبو موسى: إني وجدت مثل عمرو مثل الذين قال الله عز وجل: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا﴾، فلما سكت أبو موسى تكلم عمرو فقال: أيها الناس وجدت مثل أبي موسى كمثل الذي قال عز وجل: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾، وكتب كل واحد منهما مثله الذي ضرب لصاحبه إلى الأمصار.

قال ابن شهاب فقام معاوية عشية في الناس فأثنى على الله جل ثناؤه بما هو أهله ثم قال: أما بعد فمن كان متكلماً في الأمر فليطلع لنا قرنه، قال ابن عمر فأطلقت حبوتي فأردت أن أقول قولاً يتكلم فيه رجال قاتلوا أباك على الإسلام، ثم خشيت أن أقول كلمة تفرق الجماعة أو يسفك فيها دم أو أحمل فيها على غير رأي فكان ما وعد الله عز وجل في الجنان أحب إلي من ذلك، فلما انصرف إلى المنزل جاءني حبيب بن مسلمة فقال: ما منعك أن تتكلم حين سمعت الرجل يتكلم، قلت: أردت ذلك ثم خشيت أن أقول كلمة تفرق بين جميع، أو يسفك فيها دم، أو أحمل فيها على غير رأي، فكان ما وعد الله عز وجل من الجنان أحب إلي من ذلك. قال: قال حبيب: فقد عصمت.

سليمان بن يونس بن يزيد لم أجد له ترجمة، ولم أجد له رواية في كتب السنن والمسانيد، ولم أجد له رواية كذلك في تاريخ الطبري عدا هذه الرواية.




والزهري ولد في آخر خلافة معاوية على خلاف بين العلماء في تحديد سنة ولادته بين خمسين إلى سنة ثمانٍ وخمسين[١]، ومات معاوية في رجب سنة ستين على الصحيح[٢]، وصعصعة أدرك خلافة يزيد بن معاوية، قاله البخاري[٣] وكذا ابن عساكر[٤] وقال الحافظ: مات في خلافة معاوية[٥]، وقال الزركلي: مات سنة ستة وخمسين[٦].

فعلى القول بأن الزهري ولد سنة خمسين، وأن صعصعة أدرك خلافة يزيد يكون السماع محتملاً؛ لكن الزهري مدلس ولم يصرح بالسماع فلا تقبل روايته إلا إذا صرح، وعلى كل هذه الرواية أوردناها استئناسا فهي على ضعفها مقدمة على رواية أبي مخنف وأضرابه.

٢ ـ أخرج ابن عساكر[٧] من طريق الأسود بن شيبان عن عبد الله ابن مضارب عن حضين بن المنذر قال: لما عزل معاوية عمرو بن العاص عن مصر ضرب فسطاطه[٨] قريباً من فسطاط معاوية ثم جعل يتزبع[٩] له، يقول معاوية قال فأرسل إليه فقال: إنه بلغني عن عمرو

---

(١) تهذيب الكمال للمزي (٢٦/٤٤٠).
(٢) الإصابة لابن حجر (٦/١١٤).
(٣) التاريخ الكبير للبخاري (٤/٣١٩).
(٤) تاريخ دمشق لابن عساكر (٢٤/٨٥).
(٥) التقريب رقم (٢٩٢٧).
(٦) الأعلام (٣/٢٠٥).
(٧) تاريخ دمشق (٤٦/١٧٥).
(٨) الفسطاط: هو الخيمة. الفتح (٣/٣٨٣).
(٩) في تاريخ ابن عساكر (يتربع)، وصوابه يتزبع كما في بعض مصادر شروح الحديث،=

بعض ما أكره فائته فاسأله عن الأمر الذي اجتمع هو وأبو موسى فيه كيف صنعا، قال فأتيته فقلت أخبرني عن الأمر الذي اجتمعتما فيه أنت وأبو موسى كيف صنعتما فيه، قال قد قال الناس ولا والله ما كان قالوا ولكن لما اجتمعت أنا وأبو موسى قلت له: ما ترى في هذا الأمر؟ قال: أرى أنه في النفر الذي توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض. قال فقلت: أين تجعلني من هذا الأمر أنا ومعاوية فقال: إن يستعن بكما ففيكما معونة، وإن يستغن عنكما فطال ما استغنى أمر الله عنكما، قال فكانت هذه هي التي نحيل[1] منها معاوية نفسه، قال: فبعث إلى أبي الأعور الذكواني فأتاه في خيله قال فبعثه إلى عمرو وهو يقول: أين عدو الله، أين هذا الفاسق مرتين، قال فلما رأى عمرو أنه إنما يريد حوباء[2] نفسه، عمد إلى فرس له مشدود بطنب الفسطاط، فرفع رفرف الفسطاط وركبه عرياً ثم ركضه إلى فسطاط معاوية وجعل يقول يا معاوية إن الضجور قد تحتلب العلبة[3] قال يقول معاوية نعم وقد يزين الحالب

= وبعض كتب اللغة ومعناه التغيظ، والمدمدم في غضب. انظر غريب الحديث لابن سلام (٤/١٦٣)، ولسان العرب (٨/١٤٠).

(١) كذا في تاريخ دمشق طبعة دار الفكر، وأشار المحقق إلى أن رسمها هكذا في الأصل وفي م: بخيل، وفي العواصم من القواصم: فتل كما في طبعة الأوقاف (١/١٧٨)، وقتل كما في طبعة دار الجيل (١/١٨٠).

(٢) في تاريخ دمشق (حربا) قال المحقق: كذا بالأصل وم. اهـ والمثبت من العواصم والقواصم لابن العربي (ص/١٧٩)، والنهاية لابن الأثير (١/١٠٧٥) قال ابن الأثير: الحَوْباءُ: روح القَلْب وقيل هي النَّفْس.

(٣) في تاريخ ابن عساكر إن الصخور قد تحتلب العلية، والمثبت هو الصواب.=



فيدق أنفه ويكفأ إناه[١] قال ثم أمر بالأعور فوزع عنه نقول رد عنه.

عبد الله بن مضارب قال ابن حجر: عداده في صغار التابعين لا يعرف[٢].

وقال في التقريب[٣]: صوابه عبيد الله بن مضارب مقبول. والمراد بمقبول يعني حيث يتابع، وإلا فلين الحديث كما نص عليه في المقدمة.

٣ ـ أخرج البخاري في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنه قال: دخلت على حفصة ونسواتها تنطف[٤] قلت: قد كان من أمر الناس ما ترين فلم يجعل لي من الأمر شيء. فقالت: إلحق فإنهم ينتظرونك وأخشى أن

= الناقة الضجور هي التي ترغو عند الحلب، والعلبة: قدح من جلد الإبل أو من الخشب يصنع للحلب فيه كالقصعة. والمعنى أن الناقة الضجور قد تحلب بسهولة ولين وتملأ العلبة. ويضرب مثلا في أنك قد تصيب اللين من السيء الخلق. ويضرب أيضا للذي يَتَعْصِي ويَخْرُج عن الطَّاعة، وكذلك يضرب للبخيل يستخرج منه المال على بخله كما أن الناقة الضَّجُورَ قد يُنال من لبنها. انظر المخصص لابن سيده (١٤٨/٢)، النهاية لابن الأثير (٢٤٤/٢ ـ ٢٤٥)، لسان العرب (٤٨١/٤).

(١) في تاريخ ابن عساكر أباه والمثبت يقتضيه السياق.

(٢) لسان الميزان (٣٦٣/٣).

(٣) رقم (٤٣٤٠).

(٤) قال ابن حجر: قوله ونسواتها بفتح النون والمهملة قال الخطابي كذا وقع وليس بشيء، وإنما هو نوساتها أي ذوائبها، ومعنى تنطف أي تقطر كأنها قد اغتسلت والنوسات جمع نوسة. الفتح (٤٠٣/٧) قال ابن الأثير: فسمَّى الذّوائب نَوْساتٍ لأنها تَتَحرّك كثيراً. النهاية (٢٦٧/٥)




يكون في احتباسك عنهم فرقة. فلم تدعه حتى ذهب، فلما تفرق الناس خطب معاوية[1] قال: من كان يريد أن يتكلم في هذا الأمر فليطلع لنا

(١) قال ابن حجر: قوله: فلما تفرق الناس: أي بعد أن اختلف الحكمان وهما أبو موسى الأشعري وكان من قبل علي وعمرو بن العاص وكان من قبل معاوية ووقع في رواية عبد الرزاق عن معمر في هذا الحديث فلما تفرق الحكمان وهو يفسر المراد ويعين أن القصة كانت بصفين، وجوز بعضهم أن يكون المراد الاجتماع الأخير الذي كان بين معاوية والحسن بن علي، ورواية عبد الرزاق ترده... ثم ذكر ابن حجر: قول ابن الجوزي في كشف المشكل: بأن هذا كان في زمن معاوية لما أراد أن يجعل ابنه يزيد ولي عهده. وعقب عليه بقوله: كذا قال ولم يأت له بمستند، والمعتمد ما صرح به في رواية عبد الرزاق، ثم وجدت في رواية حبيب بن أبي ثابت عن ابن عمر قال لما كان في اليوم الذي اجتمع فيه معاوية بدومة الجندل قالت حفصة إنه لا يجمل بك أن تتخلف عن صلح يصلح الله به بين أمة محمد وأنت صهر رسول الله وابن عمر بن الخطاب قال فأقبل معاوية يومئذ على بختي عظيم فقال من يطمع في هذا الأمر أو يرجوه أو يمد إليه عنقه الحديث أخرجه الطبراني. فتح الباري (٤٠٣/٧)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٠٨/٤): رواه الطبراني في الكبير، ورجاله ثقات والظاهر أنه أراد صلح الحسن بن علي، ووهم الراوي.

والصحيح أنه ليس وهماً، بل كانت خطبته لما تفرق الحكمان كما تقدم في رواية عبد الرزاق، وقد رواها عبد الرزاق في مصنفه (٤٦٥/٥) من طريق معمر عن الزهري: عن سالم، عن ابن عمر ومن طريق معمر أيضاً عن ابن طاوس، عن عكرمة ابن خالد، عن ابن عمر وهو نفس الإسناد الذي ساقه البخاري ولكن من طريق هشام ابن يوسف عن معمر.

وعبد الرزاق الصنعاني أوثق من هشام، فعبد الرزاق ثقة حافظ، وهشام ثقة. كما في التقريب رقم (٤٠٦٤)، (٧٣٠٩).

وعبد الرزاق أوثق أيضاً في معمر من هشام، قال ابن معين: كان عبد الرزاق أثبت في حديث معمر عن هشام بن يوسف وكان هشام في ابن جريج أقرأ للكتب، وقال=

....

= علي بن المديني قال لي هشام بن يوسف وكان عبد الرزاق أعلمنا وأحفظنا. تهذيب التهذيب (٦/٣١٢)، قال ابن عسكر: سمعت أحمد بن حنبل يقول: إذا اختلف أصحاب معمر فالحديث لعبد الرزاق، وقال يعقوب بن شيبة: عبد الرزاق متثبت في معمر، جيد الاتقان. شرح علل الترمذي (٢/٧٠٦).

ووقع عند ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣١/١٨٢) رواية أخرى تعضد رواية عبد الرزاق، قال: أخبرنا أبو طالب علي بن عبد الرحمن أنبأ أبو الحسن علي بن الحسن الخلعي انا أبو محمد بن النحاس أنبأ أبو سعيد بن الأعرابي نا أبو يحيى زكريا بن يحيى الناقد نبأ صالح بن عبد الله الترمذي نا محمد بن الحسن عن العوام ابن حوشب عن جبلة بن سحيم عن ابن عمر قال: لما كان أمر الحكمين قالت لي حفصة إنه لا يجمل بك إلا الصلح يصلح الله بك بين هذه الأمة وذكر نحوه، وهذا سند رجاله ثقات، ومحمد بن الحسن هو ابن عمران المزني الواسطي القاضي أصله شامي ثقة كما في التقريب رقم (٥٨١٨)، والعوام ابن حوشب هو: ابن يزيد الشيباني أبو عيسى الواسطي ثقة ثبت فاضل كما في التقريب رقم (٥٢١١)، وجبلة ابن سحيم كوفي ثقة روايته عن ابن عمر في الصحيحين كما في تهذيب الكمال (٤/٤٩٨).

وقد أيد قول ابن حجر العيني في عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٧/١٨٥)، وهو المشهور في كتب التاريخ كتاريخ الطبري (٥/٥٨)، وتاريخ ابن عساكر (٣١/١٨٣)، وتاريخ الإسلام للذهبي (٣/٥٥٣)، ولعل من جوز أن يكون في زمن صلح الحسن ومعاوية؛ استند إلى ما أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٧/٤٧١) من طريق أبي معاوية، عن الأعمش، عن حبيب، عن هزيل بن شرحبيل، قال: خطبهم معاوية فقال: يا أيها الناس، إنكم جئتم فبايعتموني طائعين؛ ولو بايعتم عبداً حبشياً مجدعاً لجئت حتى أبايعه معكم، فلما نزل عن المنبر قال له عمرو بن العاص: «تدري أي شيء جئت به اليوم؟ زعمت أن الناس بايعوك طائعين، ولو بايعوا عبداً حبشياً=




قرنه فلنحن أحق به منه ومن أبيه. قال حبيب بن مسلمة: فهلا أجبته؟

قال عبد الله: فحللت حبوتي وهممت أن أقول: أحق بهذا الأمر منك من قاتلك وأباك على الإسلام؛ فخشيت أن أقول كلمة تفرق بين الجمع وتسفك الدم ويحمل عني غير ذلك، فذكرت ما أعد الله في الجنان. قال حبيب: حفظت وعصمت[(١)]. وهذه الرواية تؤكد لنا ما تقدم في رواية الزهري عن صعصعة وما أخرجه ابن عساكر عن حضين ـ وهي أحسن الطرق الضعيفة ـ، وأنه لم يحضر علي لشغله بالخوارج، وأنه لم يكن من عمرو رضي الله عنه خلع لأمير المؤمنين وتثبيت لمعاوية كما ينسب إليه. بل سياقها موافق للأصول ولا نكارة فيها ـ عدا ذكر السباب في رواية الزهري ـ، فكيف نقدم رواية الخلع وهي أشد ضعفاً بل لا تتوافق مع صفات الصحابة وأخلاقهم؟ فتبين بهذا أن قضية خلع علي وتثبيت معاوية في قصة التحكيم لا تثبت؛ لعدم صحة سندها، وأنها مختلقة ومصطنعة.

= مجدعاً لجئت حتى تبايعه معهم»، قال: فندم فعاد إلى المنبر فقال: أيها الناس، وهل كان أحد أحق بهذا الأمر مني، وهل هو أحد أحق بهذا الأمر مني، قال: وابن عمر جالس، قال: فقال ابن عمر: هممت أن أقول: أحق بهذا الأمر منك من ضربك وأباك عن الإسلام، ثم خفت أن تكون كلمتي فساداً؛ وذكرت ما أعد الله في الجنان، فهون علي ما أقول))، وهذا الإسناد ضعيف فإن حبيب بن أبي ثابت كثير الإرسال والتدليس من الطبقة الثالثة فلا يقبل حديثه حتى يصرح بالتحديث. انظر: التقريب رقم (١٠٨٤)، وطبقات المدلسين لابن حجر (ص/٣٨)، ولو سلم بصحته لما حمل إلا على تكرر الحادثة لا على الوهم.

(١) البخاري: كتاب المغازي، باب: غزوة الخندق (٤) رقم (٣٨٨٢).




* **الوجه الرابع**: قضية الخلع ثبوتها مستحيل لما تقدم لكن إن أبيت إلا ثبوتها فماذا تبني عليها؟ هل تطيب نفسك بالوقوع في أصحاب رسول الله ﷺ!؛ لا بد لنا أن نعرف للصحابة مكانتهم وفضلهم، وأن نحبهم ونترضى عنهم؛ لنصرتهم هذا الدين بأنفسهم، وأموالهم. ومع ذلك لا نعتقد عصمتهم عن كبائر الإثم ولا عن الصغائر، ولكن نحفظ ألستننا من النيل والتعرض لهم، ونقول: إن لهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة هذه الذنوب. ونقول: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، ونتذكر قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

وذكرت هذا ـ الوجه الخامس ـ تنزلاً وإلا كما علمت مما تقدم أخي الكريم عدم ثبوت قضية خلع أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وتثبيت معاوية رضي الله عنه في قصة التحكيم، فسندها مظلم غير قويم، ومتنها منكر غير مستقيم. وكما يقال: الحق أبلج والباطل لجلج.

وهنا قصة أخرى يذكرون فيها مكر عمرو رضي الله عنه، وذلك أنه وشى بعمارة بن الوليد عند النجاشي لما تعرض لزوجته فأمر النجاشي السحرة بنفخ إحليله[2] فهام مع الوحوش حتى مات.

(١) وانظر: للمزيد تمهيد الرسالة.

(٢) الإحْلِيل يقع على ذكر الرجل وفرج المرأة، والمعنى: أنه سُحِر حَتى جُنّ فصار يَعْدو مع الوحش في البَرِّيَّة حتى مات. النهاية في غريب الأثر (١/١٠٣٥)، (٥/٣٤٧).




ومفاد ذلك: ما رواه ابن أبي شيبة في مصنفه[١]، وعبد بن حميد في مسنده[٢]، والروياني في مسنده[٣] كلهم من طريق عبيد الله بن موسى، قال: أخبرنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن أبي بردة، عن أبي موسى، قال: أمرنا رسول الله ﷺ أن ننطلق مع جعفر بن أبي طالب إلى أرض النجاشي، قال: فبلغ ذلك قومنا، فبعثوا عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد...

قال: وكان عمرو بن العاص رجلاً قصيراً، وكان عمارة بن الوليد رجلاً جميلاً، قال: فأقبلا في البحر إلى النجاشي، قال: فشربوا، قال: ومع عمرو بن العاص امرأته، فلما شربوا الخمر قال عمارة لعمرو: مر امرأتك فلتقبلني، فقال له عمرو: ألا تستحيي، فأخذه عمارة فرمى به في البحر فجعل عمرو يناشده حتى أدخله السفينة، فحقد عليه عمرو ذلك، فقال عمرو للنجاشي: إنك إذا خرجت خلف عمارة في أهلك، قال: فدعا النجاشي بعمارة فنفخ في إحليله فصار مع الوحش.

قال البوصيري: هذا إسناد رواته ثقات[٤].

ولكن هذه القصة قد وردت في آخر هذا الخبر وقد انفرد بذكرها عبيد الله بن موسى وهو مدار هذا الإسناد، والرجل وإن كان ثقة إلا أنه متهم على أصحاب النبي ﷺ فقد نسبه أبو داود ويعقوب بن سفيان والساجي إلى الإفراط في الغلو.

(١) (٧/٣٥٠).
(٢) (ص: ١٩٣).
(٣) (١/٣٣١).
(٤) اتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة (٥/٢٩).



وقال أبو الحسن الميموني: وذكر عنده ـ يعني: عند أحمد بن حنبل ـ عبيد الله بن موسى، فرأيته كالمنكر له، قال: كان صاحب تخليط، وحدث بأحاديث سوء، أخرج تلك البلايا فحدث بها. قيل له: فابن فضيل؟ قال: لم يكن مثله، كان أستر منه، وأما هو فأخرج تلك الأحاديث الردية.

وقال الجوزجاني: عبيد بن موسى أغلى، وأسوء مذهبا، وأروى للعجائب.

وقال الفضل بن زياد: سألت أبا عبد الله. قلت: يجري عندك ابن فضيل مجرى عبيد الله بن موسى؟ قال: لا، كان ابن فضيل أستر، وكان عبيد الله صاحب تخليط، وروى أحاديث سوء.

ولذا قال عنه شيخ الإسلام ابن تيمية: وكان عبيد الله بن موسى في نفسه صدوقا روى عنه البخاري لكنه معروف بالغلو، فكان لغلوه يروي عن غير الثقات ما يوافق هواه، كما روى عن مطر بن ميمون هذا، وهو كذب، وقد يكون علم أنه كذب ذلك، وقد يكون لهواه لم يبحث عن كذبه[١].

وعليه فالتردد واقع في صحة الرواية من جهة تفرد عبيد الله بن موسى بها مع ما عرف من غلوه، وعلى التسليم بصحة الخبر يقال: الجواب عن هذه الشبهة من وجهين:

* **الوجه الأول**: ذكر في القصة أن عمارة أراد قتله وانتهاك عرضه

(١) منهاج السنة (٣٥٦/٧) بتصرف.



وقد نجا من كيده ولا يأمنه حين العودة إلى مكة فدفع عن نفسه بطريقة لا يعود بها على قومه بشر.

❊ **الوجه الثاني**: لو لم تسلم لما تقدم فلتعلم أن هذا كان قبل الإسلام وكما هو معلوم أن الإسلام يجب ما قبله، وقد أسلم وأثنى عليه النبي ﷺ، وولاه بعض الأعمال كما تقدم[1].

تَنْبِيه :

١ ـ في بعض الروايات الضعيفة[2] أن عماراً بعد أن شرب الخمر وانتشى قال لعمرو مر أهلك فلتقبلني فأمرها فقبلته، وهذه الرواية على ضعفها فيها نكارة في المتن؛ وذلك لما هو معلوم من غيرة العرب ودفنهم للبنات وهم أحياء قال تعالى مبيناً حالهم: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝٥٨ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾[4].

٢ ـ ذكر السهلي في الروض الأنف[5]: «أن عمراً سافر بامرأته

(١) (ص/١٢٨).

(٢) انظر: السيرة لابن إسحاق (١٤٨/٢).

(٣) سورة النحل الآية (٥٨ ـ ٥٩).

(٤) سورة التكوير الآية (٨ ـ ٩).

(٥) عزاه السهلي ـ في الروض الأنف (١٠٧/٢) ـ لأبي الفرج الأصبهاني، وقد وجدت=



فلما ركبوا البحر وكان عمارة قد هوي امرأة عمرو وهويته، فعزما على دفع عمرو، أو كان ذلك من عمارة على غير قصد فدفع عمراً».

وهذا أيضاً لا يصح، ومخالف للرواية الصحيحة، وإن كانت المرأة هي أم عبد الله؛ فقد أسلمت، وقد روي أن النبي ﷺ قال فيها وفي وأهل بيتها: نعم أهل البيت عبد الله وأم عبد الله[1].

٣ ـ استشكل بعضهم موت عمارة بن الوليد في الحبشة وهو أحد السبعة الذين دعا عليهم النبي ﷺ في مكة لما رموا سلى الجزور[2] على ظهره وهو ساجد، وقد قال ابن مسعود: فو الذي نفسي بيده لقد رأيت الذين عد رسول الله ﷺ صرعى في القليب قليب بدر[3] ويجاب

= في كتاب الأغاني (٩/٦٩) فلما انتشى عمارة قال لامرأة عمرو بن العاص قبليني فقال لها عمرو قبلي ابن عمك فقبلته وحذر عمرو على زوجته فرصدها ورصدته فجعل إذا شرب معه أقل عمرو من الشراب وأرق لنفسه بالماء مخافة أن يسكر فيغلبه عمارة على أهله، وجعل عمارة يراودها على نفسها فامتنعت منه. وليس فيه بأنها هويته، ثم أيضاً في إسناده علتان، الأولى: الواقدي: متروك. وقد تقدم الكلام عليه (ص/٢٠٢)، والثانية: أبو عون: لعله ابن أبي حازم، قال أبو زرعة: مديني لا نعرفه. ذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل قال: روى عن عبد الله بن الزبير روى عنه عبد الله بن جعفر المخرمي. (٩/٤١٤).

(١) تقدم (ص/١٠٤).

(٢) الجزور من الإبل ما يجزر أي يقطع وهو بفتح الجيم والسلى مقصور بفتح المهملة هي الجلدة التي يكون فيها الولد يقال لها ذلك من البهائم وأما من الآدميات فالمشيمة وحكى صاحب المحكم أنه يقال فيهن أيضا سلى. فتح الباري لابن حجر (١/٣٧٧).

(٣) أخرجه البخاري (١/٩٤)، ومسلم (٣/١٤١٨)، والقَلِيب: البِئر التي لم تُطْوَ ويُذَكَّر ويؤنث. النهاية في غريب الأثر (٤/١٥١).



عن هذا الاستشكال بما ذكره ابن حجر: «أن كلام ابن مسعود في أنه رآهم صرعى في القليب محمول على الأكثر، ويدل عليه أن عقبة بن أبي معيط لم يطرح في القليب وإنما قتل صبراً بعد أن رحلوا عن بدر مرحلة، وأمية بن خلف لم يطرح في القليب كما هو بل مقطعاً»[١].

* * *

۞ الشبهة الثانية: اعترافه عند موته باتباع الهوى والركون إلى الدنيا.

وذلك لما ذكروه عن ابن عساكر بأنه ذكر في ترجمة عمرو بن العاص أخبار كثيرة بأنه لما كشف له الغطاء، ورأى ما أعد الله له ببصر حديد أظهر الندامة، وبكى بكاء طويلاً[٢].

من ذلك: ما روي عن عبد الله بن عباس ﵁ أنه قال: «دخلت على عمرو بن العاص وقد احتضر فقلت: يا أبا عبد الله، كنت تقول: أشتهى أني أرى عاقلاً يموت حتى أسأله كيف تجد؟. قال: أجد السماء كأنها مطبقة على الأرض وأنا بينهما، وأراني كأنما أتنفس من خرق إبرة، ثم قال: لا بريء فأعتذر، ولا قوي فأنتصر، ولكن لا إله إلا الله، فجعل يرددها حتى فاض.

وما روي عَنِ ابْنِ شَمَاسَةَ الْمَهْرِيِّ أنه قال: حضرنا عمرو بن

(١) فتح الباري (٣٥١/١).

(٢) نهج السعادة للشيخ المحمودي (٣٦٢/٨).

العاص، وهو في سياقة الموت، يبكي طويلاً، وحول وجهه إلى الجدار، فجعل ابنه يقول: يا أبتاه، أما بشرك رسول الله ﷺ بكذا؟ أما بشرك رسول الله ﷺ بكذا؟ قال: فأقبل بوجهه، فقال: إن أفضل ما نعد شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، إني قد كنت على أطباق[1] ثلاث، لقد رأيتني وما أحد أشد بغضا لرسول الله ﷺ مني، ولا أحب إلي أن أكون قد استمكنت منه، فقتلته، فلو مت على تلك الحال لكنت من أهل النار، فلما جعل الله الإسلام في قلبي أتيت النبي ﷺ، فقلت: ابسط يمينك فلأبايعك، فبسط يمينه، قال: فقبضت يدي، قال: «ما لك يا عمرو؟» قال: قلت: أردت أن أشترط، قال: «تشترط بماذا؟» قلت: أن يغفر لي، قال: «أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله؟ وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها؟ وأن الحج يهدم ما كان قبله؟» وما كان أحد أحب إلي من رسول الله ﷺ، ولا أجل في عيني منه، وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالا له، ولو سئلت أن أصفه ما أطقت؛ لأني لم أكن أملأ عيني منه، ولو مت على تلك الحال لرجوت أن أكون من أهل الجنة، ثم ولينا أشياء ما أدري ما حالي فيها، فإذا أنا مت فلا تصحبني نائحة، ولا نار، فإذا دفنتموني فَشُنُّوا علي التراب شَنًّا، ثم أقيموا حول قبري قدر ما تنحر جزور ويقسم لحمها، حتى أستأنس بكم، وأنظر ماذا أراجع به رسل ربي».

قال ابن أبي الحديد: فإن قلت: فما الذي يقوله أصحابك المعتزلة

---

(١) معنى أطباق أي أحوال قال تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾. شرح النووي (٢/١٣٧).




في عمرو بن العاص؟ قلت: إنهم يحكمون على كل من شهد صفين، بما يحكم به على الباغي الخارج على الإمام العادل، ومذهبهم في صاحب الكبيرة إذا لم يتب معلوم.

فإن قلت: أليس في هذه الأخبار ما يدل على توبته، نحو قوله: «ولا مستكبر بل مستغفر»، وقوله: «اللهم خذ مني حتى ترضى»، وقوله: «أمرت فعصيت، ونهيت فركبت» وهذا اعتراف وندم، وهو معنى التوبة؟ قلت: إن قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ﴾ يمنع من كون هذا توبة، وشروط التوبة وأركانها معلومة، وليس هذا الاعتراف والتأسف منها في شيء[1].

قال المحمودي: وما أشبه بفرعون حين أيقن بالهلاك، فقال: آمنت بالله الذي آمنت به بنو إسرائيل. فأخذ جبرئيل كفاً من حمأ البحر وأدخله في فيه وقال له: الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين أو ما كان يدري أنه أشهر مصاديق قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ﴾ الخ[2].

الجواب: الأثر الأول أثر ابن عباس ضعيف.

---

(١) نهج البلاغة لابن أبي الحديد (٦/٣٢٣ ـ ٣٢٥).

(٢) نهج السعادة الشيخ المحمودي (٨/٣٦٢).




أخرجه ابن سعد[١]، والحاكم[٢]، وابن عساكر[٣] من طريق:

هشام بن محمد بن السائب الكلبي عن عوانة بن الحكم قال عمرو بن العاص به.

هذا السند فيه ثلاث علل.

العلة الأولى: عوانة بن الحكم بن عوانة بن عياض الأخباري المشهور، الكوفي، وهو كثير الرواية عن التابعين قل إن روى حديثا مسنداً، وقد روى عن عبد الله بن المعتز عن الحسن بن عليل العنزي عن عوانة بن الحكم أنه كان عثمانياً فكان يضع الأخبار لبني أمية، مات سنة ثمان وخمسين ومائة[٤].

العلة الثانية: هشام بن محمد بن السائب الكلبي.

قال أحمد بن حنبل: إنما كان صاحب سمر ونسب، ما ظننت أن أحداً يحدث عنه.

وقال الدارقطني وغيره: متروك[٥].

العلة الثالثة: الانقطاع بين عوانة بن الحكم وعمرو بن العاص وقد تقدم أن عوانة توفي سنة ثمان وخمسين ومائة.

---

(١) الطبقات (٤/٢٦٠)

(٢) المستدرك (٣/٥١٤) رقم (٥٩١٥).

(٣) (٤٦/١٩٢).

(٤) لسان الميزان لابن حجر (٤/٣٨٦).

(٥) ميزان الاعتدال للذهبي (٤/٣٠٤)، الضعفاء والمتروكين لابن الجوزي (٣/١٧٦).




أما أثر ابن شماسة المهري فهو في صحيح مسلم[١].

لكن ليس فيه ما يدل على قولهم بل هو يرد ذلك، وما استدلوا به يجاب عليه من ستة أوجه.

❊ **الوجه الأول:** أن في بداية الأثر أن النبي ﷺ بشره والنبي ﷺ لا يبشر إلا المؤمنين.

❊ **الوجه الثاني:** صدقه في ذكر حاله قبل الإسلام ثم بعده ينفي عنه نفاقه.

❊ **الوجه الثالث:** أن في الأثر اعترافاً وندماً وهو معنى التوبة، وباب التوبة مفتوح مالم تغرغر الروح عن ابن عمر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُغَرْغِرْ»[٢].

فالصحابة غير معصومين من الذنوب فكل إنسان له أخطاء، ولا يقال إنه تاب عند معاينة العذاب؛ لأنه لا دليل عليه، ولأن هذا الكلام مبني على أنه مسرف على نفسه، وكلا الأمرين باطل، فمن أين علموا أنه عاين ملائكة العذاب، وهل يقال لمن شهد له النبي ﷺ بالإيمان والصلاح واستعمله الخلفاء من بعده أنه مسرف، وهل كل من تاب إلى الله واستغفره، نقول بأنه مسرف فأين نحن إذاً من استغفار النبي ﷺ، أليس هو القائل: «إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ»[٣].

---

(١) تقدم (ص/٢٢٨).

(٢) أخرجه أحمد (١٠) رقم (٦٠١٦٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٧٨٤).

(٣) أخرجه مسلم: كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: استحباب الاستغفار=




* **الوجه الرابع**: في الأثر ما يدل على شدة خوف عمرو من الله والإقبال عليه، كبكائه الطويل وتحويل وجهه إلى الجدار، وأمره لهم باللبث عند قبره مدة ما حتى يدعوا له ويستأنس بهم، ووضع يده موضع الغلال من ذقنه... الخ.

والخوف من الله من أعظم أسباب المغفرة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:... الكلام الصادر عن خوف العبد من الله يدل على إيمانه بالله، وقد غفر الله لمن خافه حين أمر أهله بتحريقه وتذرية نصفه في البر ونصفه في البحر مع أنه لم يعمل خيراً قط، وقال: والله لئن قدر الله علي ليعذبني عذاباً لا يعذبه أحداً من العالمين، فأمر الله البر فجمع ما فيه وأمر البحر فجمع ما فيه، وقال: ما حملك على ما صنعت، قال: من خشيتك يا رب فغفر له. أخرجاه في الصحيحين. فإذا كان مع شكه في القدرة والمعاد إذا فعل ذلك غُفر له بخوفه من الله؛ عُلِمَ أن الخوف من الله من أعظم أسباب المغفرة للأمور الحقيقية إذا قدر أنها ذنوب(١).

* **الوجه الخامس**: حرصه على تطبيق سنة النبي ﷺ حتى بعد

= والاستكثار منه (٤) رقم (٢٧٠٢). ومعنى لَيُغَانُ أي أنه يتغشى القلب ما يلبسه يقال غُينت السماء غينًا وهو إطباق الغيم السماء والغيم والغين واحد. والمراد به قِيلَ: الْفَتَرَات وَالْغَفَلَات عَنْ الذِّكْر الَّذِي كَانَ شَأنه الدَّوَام عَلَيْهِ، فَإِذَا أَفْتَرَ عَنْهُ أَوْ غَفَلَ عَدَّ ذَلِكَ ذَنْبًا، وَاسْتَغْفَرَ مِنْهُ، وَقِيلَ هُوَ هَمّه بِسَبَبِ أُمَّته، وَمَا اِطَّلَعَ عَلَيْهِ مِنْ أَحْوَالهَا بَعْده، فَيَسْتَغْفِر لَهُمْ وقيل غير ذلك. انظر: إكمال المعلم شرح صحيح مسلم (١٩٧/٨).

(١) منهاج السنة النبوية (٤٨٤/٥).



موته دليل على حسن خاتمته.

فقوله: «إذا متُ فلا تصحبن نائحة ولا نار» قال القاضي عياض: امتثال لنهيه ﷺ عن ذلك في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «لَا تُتْبَعُ الْجِنَازَةُ بِصَوْتٍ وَلَا نَارٍ»[1].

وقوله: «فإذا دفنتموني فشُنُّوا علي الترابَ» قال القاضي عياض: بالسين والشين معًا، وهو الصبُّ، وقيل: بالمهملة الصبُ في سهولة، وبالمعجمة التفريق. وهذه سنة في صب التراب على الميت في القبر[2].

وقوله «ثم أقيموا حول قبري قدر ما ينحر جزور ويقسم لحمها حتى أستأنس بكم وأنظر ماذا أراجع به رسل ربي» قال النووي: فيه فوائد منها: إثبات فتنة القبر وسؤال الملكين وهو مذهب أهل الحق، ومنها: استحباب المكث عند القبر بعد الدفن لحظة نحو ما ذكر لما ذكر[3].

وحرص المرء على تطبيق السنة في هذه اللحظات العصيبة واستحضاره لها؛ من دلالة توفيق الله للعبد فقلَّ من يأمر بتطبيق سنة أو ينشر علماً عند حضور الموت، وفي هذا الموقف العصيب.

---

(١) إكمال المعلم شرح صحيح مسلم والحديث أخرجه أحمد (١٥) رقم (٩٥١٥)، وأبو داود (١٧٦/٣) رقم (٣١٧٣) واللفظ له، من حديث أبي هريرة. قال الشيخ الألباني: وفي سنده من لم يسم، لكنه يتقوى بشواهده المرفوعة، وبعض الآثار الموقوفة. وقال شعيب الأرنؤوط: حسن لغيره.

(٢) المصدر السابق.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم (١٣٨/٢ ـ ١٣٩).

❊ **الوجه السادس:** قوله: ثم وَلِينَا أشياء ما أدري ما حالي فيها؛ معناه ما ورد في مسند أحمد[1] ثم تلبست بعد ذلك بالسلطان وأشياء فلا أدري عليَّ أم لي. أي ما تولاه من ولايات وما حصل من حرب معاوية رضي الله عنه مع أمير المؤمنين علي رضي الله عنه. ولم يجزم بأن ما ارتكبه محرم، بل هو لشدة ورعه قال ما قال. ولا يفهم من هذا: سوء نيته، إنما قال ذلك؛ لخوفه من الله، ولعلمه بأن الولاية مسؤولية وأمانة يسأل عنها صاحبها يوم القيامة، كذلك ما حصل من حرب معاوية مع علي، كان عن اجتهاد والمجتهد محتمل وقوع الخطأ منه.

والقارئ لتراجم السلف من الصحابة، والتابعين يجد أنهم يخافون من القدوم على الله ولا يغترون بأعمالهم مهما بلغت فلا يدعون لأنفسهم الرفعة، ولا يزكون أنفسهم بل يجتهدون في فعل الطاعات وفي الوقت نفسه يخاف أحدهم أن يكون مقصراً في جنب الله ويخاف ألا يقبل عمله.

ـ فهذا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما طعن جعل يألم، فقال له ابن عباس وكأنه يجزعه[2]: يا أمير المؤمنين، ولئن كان ذاك، لقد صحبت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأحسنت صحبته، ثم فارقته وهو عنك راض، ثم صحبت أبا بكر فأحسنت صحبته، ثم فارقته وهو

---

(١) (٤/٩٩).

(٢) يجزعه: أي ينسبه إلى الجزع ويلومه عليه أو معنى يجزعه يزيل عنه الجزع وهو كقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ﴾ أي أزيل عنهم الفزع. فتح الباري لابن حجر (٧/٥٢).



عنك راض، ثم صحبت صحبتهم فأحسنت صحبتهم، ولئن فارقتهم لتفارقنهم وهم عنك راضون، قال: «أما ما ذكرت من صحبة رسول الله ﷺ ورضاه، فإنما ذاك من الله تعالى من به علي، وأما ما ذكرت من صحبة أبي بكر ورضاه، فإنما ذاك من الله جل ذكره من به علي، وأما ما ترى من جزعي فهو من أجلك وأجل أصحابك، والله لو أن لي طلاع الأرض ذهبا لافتديت به من عذاب الله عز وجل، قبل أن أراه»[(١)].

ـ وهذا الصحابي الجليل سلمان الفارسي رضي الله عنه اشتكى فعاده سعد. فرآه يبكي. فقال له سعد: ما يبكيك؟ يا أخي أليس قد صحبت رسول الله ﷺ؟ أليس أليس؟ قال سلمان: ما أبكي واحدة من اثنتين. ما أبكى ضِنا[(٢)] للدنيا ولا كراهية للآخرة. ولكن رسول الله ﷺ عهد إلي عهداً. فما أراني إلا قد تعديت. قال: وما عهد إليك؟ قال عهد إلي أنه يكفي أحدكم مثل زاد الراكب. ولا أراني إلا قد تعديت. وأما أنت يا سعد فاتق الله عند حكمك إذا حكمت وعند قسمك إذا قسمت وعند همك إذا هممت.

قال ثابت فبلغني أنه ما ترك إلا بضعة وعشرين درهماً. من نفقة كانت عنده[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري كتاب: المناقب، باب: مناقب عمر بن الخطاب (٥) رقم (٣٦٩٢).

(٢) بِكَسْرِ ضَاد مُعْجَمَة بُخْلًا لِذَهَابِهَا. حاشية السندي على سنن ابن ماجة (٤٦٤/٧)

(٣) أخرجه ابن ماجه (٢) رقم (٤١٠٤) واللفظ له، وابن أبي شيبة (١٣) رقم




ـ وليس منه ببعيد الصحابي الجليل أبو هريرة ﷺ أحد المكثرين في الرواية عن رسول الله، إذ بكى في مرضه، فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: «أما إني لا أبكي على دنياكم هذه، ولكني أبكي على بُعد سفري، وقلة زادي، وإني أمسيت في صعود مهبطة على جنة ونار، لا أدري إلى أيتهما يؤخذ بي»[1].

ـ وهذا سبط رسول الله وسيد شباب أهل الجنة الحسن بن علي ابن أبي طالب رضي الله عنهما لما حضرته الوفاة: بكى بكاء شديداً، فقال له الحسين: ما يبكيك يا أخي وإنما تقدم على رسول الله ﷺ وعلى علي وفاطمة وخديجة وهم ولدوك، وقد أجرى الله لك على لسان نبيه أنك «سيد شباب أهل الجنة»، وقاسمت الله مالك ثلاث مرات، ومشيت إلى بيت الله على قدميك خمس عشرة مرة حاجاً؟ وإنما أراد أن يطيب نفسه. قال: فوالله ما زاده إلا بكاء وانتحاباً، وقال: «يا أخي، إني أقدم على أمر عظيم وهول لم أقدم على مثله قط»[2].

هذه نماذج عن بعض أصحاب رسول الله تبين خوف الصحابة من الإقبال على الله، ولم يكن هذا الحال قاصراً عليهم بل حتى من التابعين من كان على هذا المنوال وإليك بعض هذه الصور:

ـ فهذا مسروق بن الأجدع، تقول امرأته: ما كان يوجد إلا وساقيه

(٣٥٤٥٣)، وابن أبي الدنيا في المحتضرين (١/١٧٥).

(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد (٢/٣٨)، وأحمد في الزهد (١/١٥٣).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في المحتضرين (١/٢٤٣) رقم (٢٣٥).




قد انتفختا من طول الصلاة، قالت: وإن كنت والله لأجلس خلفه فأبكي رحمة له، فلما احتضر بكى، فقيل له: ما هذا الجزع؟ فقال: ومالي لا أجزع وإنما هي ساعة، ثم لا أدري أين يسلك بي...[1]

ـ وأما ابني المنكدر عمر وأبا بكر: «لما حضر أحدهما الموت بكى، فقيل له: ما يبكيك؟ إن كنا لنغبطك بهذا اليوم، قال: أما والله ما أبكي أن أكون ركبت شيئاً من معاصي الله اجتراء على الله، ولكني أخاف أن أكون أتيت شيئاً هيناً وهو عند الله عظيم.

قال: وبكى الآخر عند الموت فقيل له مثل ذلك، فقال: إني سمعت الله يقول لقوم: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ﴾ فأنا أنتظر ما ترون، والله ما أدري ما يبدو لي»[2].

وأختم بالإمام بالشافعي رحمه الله، قال المُزَنِيُّ:

دخلت على الشافعي في مرضه الذي مات فيه، فقلت: يا أبا عبد الله! كيف أصبحت؟

فرفع رأسه، وقال: أصبحت من الدنيا راحلاً، ولإخواني مفارقاً، ولسوء عملي ملاقياً، وعلى الله وارداً، ما أدري روحي تصير إلى جنة فأهنيها، أو إلى نار فأعزيها، ثم بكى وأنشأ يقول:

وَلَمَّا قَسَا قَلْبِي وَضَاقَتْ مَذَاهِبِي ... جَعَلْتُ رَجَائِي دُوْنَ عَفْوِكَ سُلَّمَا

---

(١) حديث أبي الفضل الزهري (٢/٩٩) رقم (٥٩٨).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في المحتضرين (١/٢٣٦).




تَعَاظَمَنِي ذَنْبِي فَلَمَّا قَرَنْتُهُ ... بِعَفْوِكَ رَبِّي كَانَ عَفْوُكَ أَعْظَمَا

فَمَا زِلْتَ ذَا عَفْوٍ عَنِ الذَّنْبِ لَمْ تَزَلْ ... تَجُوْدُ وَتَعْفُو مِنَّةً وَتَكَرُّمَا

فَإِنْ تَنْتَقِمْ مِنِّي فَلَسْتُ بِآيِسٍ ... وَلَوْ دَخَلَتْ نَفْسِي بِجرمِي جَهَنَّمَا

وَلولاَكَ لَمْ يُغْوَى بِإِبْلِيْسَ عَابِدٌ ... فَكَيْفَ وَقَدْ أَغوَى صَفِيَّكَ آدَمَا

وَإِنِّيْ لآتِي الذَّنْبَ أَعْرِفُ قَدْرَهُ ... وَأَعلَمُ أَنَّ اللهَ يَعْفُو تَرَحُّمَا

قال الذهبي إسناده ثابت عنه(١).

وهذا الخوف والجزع والبكاء الذي تجده في تراجم السلف من الصحابة والتابعين ومن بعدهم هو مصداق لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾(٢).

عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم عَنْ هَذِهِ الآيَةِ ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾ قَالَتْ عَائِشَةُ: أَهُمُ الَّذِينَ يَشْرَبُونَ الخَمْرَ وَيَسْرِقُونَ؟ قَالَ: لاَ يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ، وَلَكِنَّهُمُ الَّذِينَ يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ، وَهُمْ يَخَافُونَ أَنْ لاَ تُقْبَلَ مِنْهُمْ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾»(٣). ومن هذا ما

---

(١) سير أعلام النبلاء (٧٦/١٠).

(٢) سورة المؤمنون الآية (٦٠).

(٣) أخرجه أحمد (٤٢) رقم (٢٥٢٦٣)، والترمذي: أبواب: التفسير، باب: ومن سورة المؤمنون (٥) رقم (٣١٧٥)، واللفظ له، وابن ماجه: كتاب: الزهد، باب: التوقي على العمل (١٤٠٤/٢) وصححه الألباني في الصحيحة (٣٠٤/١).




أخبر الله به عن خليله إبراهيم عليه السلام ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[1].

روى ابن أبي حاتم من حديث محمد بن يزيد بن خنيس المكي، عن وهيب بن الورد: أنه قرأ: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾ ثم يبكي ويقول: يا خليل الرحمن، ترفع قوائم بيت الرحمن وأنت مُشْفق أن لا يتقبل منك[2].

تَنْبِيهٌ:

أما ما يتعلق بوصف عمرو للموت فوردت روايات أخرى ضعيفة عند ابن سعد وابن أبي الدنيا وابن عساكر، والبعض قد يستشكل هذا الوصف؛ لحديث البراء الطويل وكون هذا الوصف يشابه حال الفجار عند وقت نزع الروح، وهذا الاستشكال؛ نتيجة عدم التفريق بين مرض الموت ونزع الروح، فوصف عمرو هو للسكرات التي هي مقدمات الموت، ومرض الموت وشدته، وهي مرحلة متقدمة على النزع؛ إذ كيف يحث على السنة في تجهيز جنازته ويصف الموت على فرض صحته وهو في حالة النزع؟!

فالسكرات هي مقدمات الموت وهي ألم الموت ومرضه و(شدّته الذاهبة بالعقل)[3] وهي ثابتة في الكتاب والسنة قال تعالى: ﴿وَجَاءَتْ

(١) سورة البقرة الآية (١٢٧).

(٢) التفسير (١/٢٣٣).

(٣) تفسير البيضاوي (٥/١٤١).




سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ﴾[(١)].

ولم يسلم سيد الخلق وأحبهم من سكرات الموت فكان عند موته يدخل يده في الماء فيمسح بها وجهه ويقول: «لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكَرَاتٍ» أخرجه البخاري من حديث عائشة[(٢)]. وفي رواية عنها قالت: «مَاتَ النَّبِيُّ ﷺ وَإِنَّهُ لَبَيْنَ حَاقِنَتِي وَذَاقِنَتِي[(٣)] فَلاَ أَكْرَهُ شِدَّةَ المَوْتِ لِأَحَدٍ أَبَدًا، بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ»[(٤)].

وفي رواية: «مَا أَغْبِطُ أَحَدًا بِهَوْنِ مَوْتٍ بَعْدَ الَّذِي رَأَيْتُ مِنْ شِدَّةِ مَوْتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ»[(٥)].

قال الحافظ ابن حجر: «وفي الحديث أن شدة الموت لا تدل على نقص في المرتبة بل هي للمؤمن إما زيادة في حسناته وإما تكفير لسيئاته»[(٦)] اهـ.

---

(١) سورة ق: الآية (١٩).

(٢) البخاري: كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته (٥) رقم (٦١٤٥).

(٣) الحاقِنة: الوَهْدة المنْخَفِضَة بين التَّرْقُوَتَيْن من الحلق وقيل ما سفل من الذقن والذاقنة ما علا منه وقيل ما دون الترقوة من الصدر. الذاقِنة: الذَّقَن. وقيل طَرَف الحُلْقوم. وقيل ما يَناله الذَّقَن من الصَّدْر. والمراد أنه مات ورأسه بين حنكها وصدرها ﷺ. انظر النهاية لابن الأثير (٤٠٨/٢)، وفتح الباري لابن حجر (١٣٩/٨).

(٤) أخرجه البخاري (٤) رقم (٤١٨١).

(٥) أخرجه الترمذي: أبواب الجنائز، باب ما جاء في التشديد عند الموت (٢) رقم (٩٧٩).

(٦) فتح الباري (٣٦٣/١١).



قال القرطبي: «فأحب الله أن يبتليهم ـ أي الأنبياء ـ تكميلاً لفضائلهم، ورفعة لدرجاتهم عنده وليس ذلك في حقهم نقصاً ولا عذاباً، بل هو كما قال كمال رفعة مع رضاهم بجميل ما يجزي الله عليهم، فأراد الحق سبحانه أن يختم لهم بهذه الشدائد مع إمكان التخفيف، والتهوين عليهم ليرفع منازلهم ويعظم أجورهم قبل موتهم»[١].

قال المباركفوري: «لما رأيت شدة وفاته علمت أن ذلك ليس من المنذرات الدالة على سوء عاقبة المتوفى، وأن هون الموت وسهولته ليس من المكرمات. وإلا لكان ﷺ أولى الناس به فلا أكره شدة الموت لأحد ولا أغبط أحداً يموت من غير شدة»[٢].

ولما بلغ عائشة رضي الله عنها وفاة أخيها عبد الرحمن بن أبي بكر بالحُبْشِيِّ ـ جبل بأسفل مكة[٣] على رأس أميال منها ـ، فنقله ابن صفوان إلى مكة قالت: «ما آسى من أمره إلا على خصلتين: إنه لم يعالج[٤] ولم يدفن حيث مات. قال نافع: وكان مات فجأة»[٥].

(١) انظر: التذكرة (١/٢٠).

(٢) تحفة الأحوذي (٣/٣٧).

(٣) الصحاح للجوهري (٣/١٠٠٠)، وتاريخ دمشق لابن عساكر (٣٥/٤٠).

(٤) أرادت أنه لم يعالج سكرة الموت فتكون كفّارة لذنوبه. تهذيب اللغة للأزهري (١/٢٤٠).

(٥) تاريخ دمشق لابن عساكر (٣٥/٣٨)




وقال عمر بن عبد العزيز: «ما أحب أن تهون علي سكرات الموت إنه آخر ما يكفر به عن المرء المسلم»[١].

* * *

۞ الشبهة الثالثة: الثروة التي خلفها بعد موته.

ومقصد من تمسك بهذا الطعن في خلق عمر وأمانته والزعم بأنه لما ولي مصر ابتز منها أموالاً كثيرة من غير وجه شرعي.

يقول علي الكوراني: وجمع عمرو ثروة طائلة من الفتوحات، وكان شديد الحرص على الولاية وقد ظهرت ثروته مبكراً في عهد عمر[٢].

وقال الريشهري: وخلف ثروة طائلة، ودراهم ودنانير وافرة. وذكر أن أمواله المنقولة بلغت سبعين رقبة جمل مملوءة ذهبا[٣].

وأدلتهم في ذلك:

ـ ما رواه الحاكم في المستدرك: عن قتادة أنه قال: لما احتضر عمرو بن العاص، قال: كيلوا مالي، فكالوه، فوجدوه اثنين وخمسين مداً. فقال: من يأخذه بما فيه؟ يا ليته كان بعراً[٤].

---

(١) أخرجه أحمد في الزهد (٢٩٨/١)، ومن طريقه أبو نعيم في الحلية (٣١٧/٥).

(٢) قراءة جديدة في الفتوحات (١٧٠/٢).

(٣) موسوعة الإمام علي بن أبي طالب (٣١٣/٥).

(٤) المستدرك (٥١٣/٣).




ـ وما رواه ابن أبي الدنيا: عن الحسن أنه قال: لما احتضر عمرو ابن العاص، نظر إلى صناديق، فقال: من يأخذها بما فيها؟ يا ليته كان بعراً، ثم أمر الحرس، فأحاطوا بقصره. فقال بنوه: ما هذا فقال: ما ترون هذا يغني عني شيئاً[1].

ـ وبما ذكره الذهبي في السير: قال: يقال: خلف ـ أي عمراً ـ من الذهب سبعين رقبة جمل مملوءة ذهباً[2].

ـ وبما ذكره المقريزي في المواعظ والاعتبار بأنه: خلف سبعين بهاراً دنانير، والبهار: جلد ثور، ومبلغه أردبان بالمصري، فلما حضرته الوفاة أخرجه، وقال: من يأخذه بما فيه، فأبى ولده أخذه، وقالا: حتى ترد إلى كل ذي حق حقه، فقال: والله ما أجمع بين اثنين منهم، فبلغ معاوية، فقال: نحن نأخذه بما فيه[3].

الجواب: يجاب على هذه الشبهة من خمسة أوجه:

❊ **الوجه الأول** ـ من جهة السند ـ:

جميع هذه الروايات التي تحدد وتحصر مال عمرو لا تصح، وإليك التفصيل:

رواية الحاكم: أخرجها من طريق إبراهيم بن عصمة العدل ثنا

(١) المحتضرين لابن أبي الدنيا (ص/٩٤).
(٢) (٧٨/٣).
(٣) (٨٣٠/١).




السري بن خزيمة ثنا موسى بن إسماعيل ثنا أبو هلال الراسبي عن قتادة به.

إبراهيم بن عصمة العدل النيسابوري شيخ الحاكم: قال الذهبي: أدخلوا في كتبه أحاديث، وهو في نفسه صادق[1]، وقال ابن حجر: وهذا الرجل من مشائخ الحاكم قال في تاريخه أدركته وقد شاخ وكان قد سمع أباه وغيره قبل الثمانين ومائتين وكانت أصوله صحاحاً وسماعاته صحيحة فوقع إليه بعض الوراقين فزاد فيه أشياء قد برأ الله أبا إسحاق منها[2].

وأبو هلال الراسبي واسمه محمد بن سليم: قال أبو بكر الأثرم: سألت أبا عبد الله أحمد بن حنبل عن أبي هلال يعنى الراسبي قال: قد احتمل حديثه إلا أنه يخالف في حديث قتادة وهو مضطرب الحديث عن قتادة[3]. وروايته هنا عن قتادة، وقتادة بن دعامة السدوسي وإن كان ثقة ثبتاً[4] إلا أنه لم يسمع من عمرو بن العاص فروايته عنه مرسلة وقد تقدم[5].

وأما رواية ابن أبي الدنيا فهي ضعيفة أيضاً: أخرجها من طريق

---

(١) ميزان الاعتدال للذهبي (٤٨/١).

(٢) لسان الميزان (٨٠/١).

(٣) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٢٧٣/٧)

(٤) التقريب لابن حجر (٥٥١٨).

(٥) (ص/١٠٩).

عبد الرحمن بن صالح قال: حدثنا حفص بن غياث، عن أشعث، عن الحسن به.

أشعث في هذا السند يحتمل أن يكون ابن سوار وهو ضعيف ويحتمل أن يكون غيره ممن يقبل حديثه كأشعث بن عبد الله بن جابر الحُدُاني وهو صدوق، أو أشعث بن عبد الملك الحُمراني وهو ثقة فقيه، ثلاثتهم رووا عن الحسن البصري وروى عنهم حفص بن غياث[1] والحسن البصري كثير التدليس ولم يصرح هنا بالتحديث، فلا يقبل حديثه حتى يصرح، وقد تقدم الكلام على مراسيله.

وما ذكره الذهبي فلم يسنده بل قال وقيل.

كذلك ما ذكره المقريزي لم يسنده. فدل على عدم صحة هذه الروايات[2].

(١) انظر: سؤالات البرقاني للدارقطني، تحقيق القشقري (ص/١٧)، وتهذيب الكمال للمزي (٦/٩٩)، وتقريب التهذيب لابن حجر (ص/١١٣).

(٢) تنبيه: وجدت في بعض مواقع النت ـ الشبكة العنكبوتية ـ للنصارى: أن عبد الله بن عمرو بن العاص امتلك قرية عسقلان ـ وهي من مدن فلسطين ـ بكل ما فيها وما عليها، وهي من حبس ـ أي وقف ـ عمرو لولده. وعزي ذلك إلى كتاب المُغْرِب في حلي المَغْرِب ـ القسم الخاص بمصر ـ لابن سعيد الأندلسي، والكتاب مطبوع جزء منه والباقي مفقود، وطبع جزء من القسم الخاص بمصر باسم النجوم الزاهرة في حلي حضرة القاهرة ولم أجده فيه، ولو وجد مستقبلاً أو وجد في كتاب آخر فإنه لا يقبل إلا بسند صحيح وهو محال.

والذي فتح عسقلان معاوية كما في تاريخ الطبري (٤/٢٤١)، وقيل فتحها عمرو بن العاص ثُمَّ نقض أهلها وأمدهم الروم ففتحها معاوية. كما في فتوح البلدان للبلاذري (ص: ١٤٤). =




❊ **الوجه الثاني**: أنه ذكر في الرواية التي فيها (سبعين بهاراً دنانير) بأن أولاده امتنعوا من أخذها لما عرض عليهم، وقد ورد ما يناقضها، ففي تاريخ دمشق: أنه لما حضرته الوفاة قال له ابنه عبد الله: يا أبتاه أوص في مالي ومالك ما بدا لك، قال: فدعا كاتباً فقال اكتب فجعل يكتب، قال: فلما أسرع في المال، قال: يا أبة لا أحسبك إلا قد أتيت على مالي ومال إخوتي فلو بعثت إلى إخوتي فتحلل ذلك منهم، قال عمرو: للكاتب اقرأه فقرأه فقال: عبد الله بن عمرو بخ بخ، قال: فقال له عمرو: يا عبد الله أتشكر هذا فوالله لامرأة من المهاجرات أقبلت تتغير في صرحو تقوده إلى رسول الله ﷺ يحمله عليه في سبيل الله خير من هذا كله، جاء ذاك من حيث جاء وجاء هذا من حيث جاءنا عبد الله والله لقد هلكنا إلا أنا معتصمين بلا إله إلا الله(١).

❊ **الوجه الثالث**: تقدم في ترجمته أن أباه كان ثرياً وكان يلبس الحرير والديباج وأن عمرو كان تاجراً وكان له بستان عظيم بالطائف

= ثم هل يعقل أن أميراً من أمراء الفتوح يمتلك مدينة أو قرية بأكملها ينفرد بها من دون جيش المسلمين!!، وفي زمن الخليفة العادل عمر بن الخطاب!!!. لا شك أن من لديه قليلاً من العلم بأحكام الجهاد سيسخر من هذه العبارة ولو كان من غير المسلمين لو كان منصفاً.

وسيأتي مزيد بيان لبعض أحكام الجهاد، وعدالة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وثناء النصارى أنفسهم على حسن معاملة عمرو بن العاص لأهل مصر؛ في الشبهة الأولى من المبحث الخامس.

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر (٤٦/١٩٢)، وقوله: «صرحو تقود»، كذا في المصدر وفيه سقط أشار إليه المحقق.




يُسمى الوهط يتمناه الملوك أدخل في عريش الوهط ألف ألف عود كل عود بدرهم.

❊ **الوجه الرابع**: أن الدولة الإسلامية في بدء أمرها كانت شحيحة الموارد فكثير من الصحابة كان لا يجد ما يأكله، وبعضهم يجد إزاراً ولا يجد رداء، فلما من الله عليهم بالفتوحات توسعت موارد الدولة ووسع على الناس حتى إن بعض التابعين رأى جابر صلى في إزار قد عقده من قبل قفاه وثيابه موضوعة على المشجب، قال له قائل: تصلي في إزار واحد؟ فقال: إنما صنعت ذلك ليراني أحمق مثلك وأينا كان له ثوبان على عهد النبي ﷺ[(١)].

هذا من حيث العموم، أما من حيث الخصوص فقد كان أبو هريرة رضي الله عنه يصرع من الجوع في عهد النبي ﷺ، ولما كبرت الدولة الإسلامية، وكثرت مواردها بسط الله عليه الرزق.

وولاه عمر على البحرين فأتاه بأربع مائة ألف من البحرين، فقال: ما جئت به لنفسك؟

قال: عشرين ألفاً. قال: من أين أصبتها؟

قال: كنت أتجر.

قال: انظر رأس مالك ورزقك فخذه، واجعل الآخر في بيت المال[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الصلاة، باب: عقد الإزار على القفا في الصلاة (١) رقم (٣٤٥).

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٤/٤٤).



ومعلوم شدة عمر ومحاسبته للأمراء فيما ينالوه من أموال ولو كان من تجارة أو حرفة.

وهذا الزبير بن العوام كان مصْرفاً يمشي على الأرض وكان جميع ماله كما قال الذهبي:

خمسون ألف ألف ومائتا ألف[١]. يعني خمسين مليون ومائتي ألف في ذلك الزمان.

قال عبد الله بن الزبير: وقتل الزبير ولم يدع ديناراً ولا درهماً، إلا أرضين بالغابة، وإحدى عشرة داراً بالمدينة، ودارين بالبصرة وداراً بالكوفة، وداراً بمصر... وما ولي إمارة قط، ولا جباية، ولا خراجاً، ولا شيئاً إلا أن يكون في غزو مع النبي ﷺ، ومع أبي بكر، وعمر، وعثمان[٢]. وكثير من الصحابة كان فقيراً فأغناه الله من فضله. فإذا حصل الثراء لمن كان فقيراً فزيادة ثراء التاجر من باب أولى.

❊ **الوجه الخامس**: ثبت أن علاقة عمر رضي الله عنه بولاته كانت مبنية على السمع والطاعة له، ومساعدته ومعاونته في أعباء الخلافة، وثبت أنه كان يراقبهم ويلاحظ تعاملهم مع الرعية، وإعطاءها واجباتها وحقوقها، وكان يعاقب من ثبت تقصيره وتعديه، وكان يراقب مصادر أموالهم ويقاسمهم إياها إذا ارتاب في أمرها[٣]، فأنى لأحد أن يأخذ من

(١) المصدر نفسه (١/٦٦).

(٢) الطبقات الكبرى (٣/١٠٨).

(٣) دراسة نقدية في المرويات في شخصية عمر بن الخطاب (٢/١١٥٧). وأما ما روي=



مال الدولة من غير وجه شرعي في خلافة عمر، وأما في خلافة عثمان فقد عُزل، ثم تولى لمعاوية ثلاث سنين فهل يعقل أنه نال هذا المال أثناء ولايته لعمر، وبعضاً من خلافة عثمان، وولايته لمعاوية، فكيف لو قيل: إن تهمة جبايته لمال مصر موجهة له أثناء ولايته لمعاوية وهي ثلاث سنين!!!. فتبين لك أخي الكريم أنها مجرد أقاصيص وأساطير لا محل لها من الإعراب.

** ** **

= بأن عمر رضي الله عنه أرسل محمد بن مسلمة إلى عمرو بن العاص ليقاسمه ماله. فقد قال صاحب الكتاب نفسه (٢/٦٦٠): رواه ابن عبد الحكم، فتوح مصر (ص/١٤٦)، البلاذري، فتوح البلدان (ص/٢٢٠، ٢٢١)، أنساب الأشراف (ص/٢٧٠، ٢٧١)، العسكري، الأوائل (ص/١١٨١٢٠)، وفي إسناده عبد الله بن عبد العزيز لم أجد له ترجمة، ووثقه تلميذه محمد بن سماعة الرملي، وهو ثقة من العاشرة. تق (٤٨٢)، حيث قال: حدثني عبد الله بن عبد العزيز شيخ ثقة، وهو معضل من رواية عبد الله المتقدم الذكر عن عمر رضي الله عنه، وإسناده عند البلاذري من رواية عبد الله بن المبارك عن عمر رضي الله عنه وهو ثقة من الثامنة روايته عن عمر معضلة، وفي إسناده عند العسكري عبد الله بن شبيب، قال الذهبي: أخباري علامة لكنه واهٍ. ميزان الاعتدال (٢/٤٣٨)، وهو معضل من رواية محمد بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، ثقة من السادسة، روايته عن عمر معضلة، فالأثر ضعيف.



شبهات حول علاقته بالنبي ﷺ

❁ الشبهة الأولى: لعن النبي ﷺ له حين هجاه.

❁ الشبهة الثانية: دعاء النبي ﷺ عليه

❁ الشبهة الثالثة: تحذير النبي ﷺ من اجتماع عمرو بمعاوية رضي الله عنهما، وأن اجتماعهما لا يأتي بخير.




شبهات حول علاقته بالنبي ﷺ

❁ الشبهة الأولى: لعن النبي ﷺ له حين هجاه.

وذلك لما روي أن عمرو بن العاص هجا رسول الله ﷺ بأبيات من الشعر فقال رسول الله ﷺ: اللهم إني لا أحسن أن أقول الشعر فالعن عمراً بكل بيت لعنة[1].

الجواب: يجاب على هذه الشبهة من وجهين:

❊ الوجه الأول: ـ من جهة السند ـ:

أخرجه ابن قتيبة[2]: من طريق أبي الخطاب زياد بن يحيى بن حسان عن سهل بن حماد أبو عتاب الدلال، وابن أبي حاتم[3]، والروياني في مسنده[4]، ومن طريقه الجوزقاني[5]، وابن عساكر[6]: من طريق محمد بن المثنى عن سهل بن حماد أبو عتاب الدلال، وأخرجه

(١) جواهر المطالب في مناقب الإمام علي لابن الدمشقي (٢/٢١٩)، مواقف الشيعة للأحمدي الميانجي (٢/٣٨٣).

(٢) غريب الحديث (١/٢٨٧).

(٣) علل الحديث (٢/٤٤٤).

(٤) (١) رقم (٣٨٢).

(٥) الأباطيل (١/٣٢١).

(٦) تاريخ دمشق (٤٦/١١٨).




الطحاوي[١]: من طريق أحمد بن المفضل الحفري؛ كلهم عن عيسى ابن عبد الرحمن، نا عدي بن ثابت، عن البراء بن عازب قال: قال رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنَّ عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ هَجَانِي، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنِّي لَسْتُ بِشَاعِرٍ، فَاهْجُهُ وَالْعَنْهُ عَدَدَ مَا هَجَانِي، أَوْ مَكَانَ مَا هَجَانِي».

عيسى بن عبد الرحمن وقع مصرحاً في الأباطيل للجوزقاني بأنه الزرقي، وفي غريب الحديث لابن قتيبة وابن أبي حاتم أنه السلمي.

فالأول: عيسى بن عبدالرحمن أبو عبادة ويقال: أبو عباد الزرقي.

قال ابن حجر: عيسى بن عبدالرحمن بن فروة وقيل: ابن سبرة الأنصاري أبو عبادة الزرقي متروك من السابعة[٢].

وقال الجوزقاني: هذا حديث باطل، لا أعلم أحداً رواه سوى عيسى بن عبد الرحمن بن فروة الرزقي المديني، وهو منكر الحديث. قال أبو حاتم الرازي: عيسى بن عبد الرحمن بن فروة منكر الحديث، ضعيف الحديث، شبيه بالمتروك، وقال أبو زرعة الرازي: عيسى بن عبد الرحمن بن فروة ليس بالقوي[٣].

والثاني: عيسى بن عبد الرحمن السلمي ثقة من السادسة[٤].

ولعل الصواب أنه السلمي؛ لوروده مصرحاً به في طريق آخر:

(١) مشكل الآثار (٣٤٩/٧) رقم (٢٨١٤).
(٢) التقريب رقم (٥٣٠٦).
(٣) الأباطيل (٣٢٢/١).
(٤) التقريب رقم (٥٣٠٨).




قال ابن أبي حاتم: وحدثنا أبي وأبو زرعة، قالا: حدثنا أبو نعيم، قال: حدثنا عيسى بن عبد الرحمن السلمي، عن عدي بن ثابت، قال: قال رسول الله ﷺ، مرسلاً[1].

لكن وإن كان السلمي ثقة إلا أن الإسناد معلول بالإرسال.

قال ابن أبي حاتم: وسألت أبي، عن حديث سهل بن حماد، عن عيسى بن عبد الرحمن، عن عدي، عن البراء، عن النبي ﷺ.

فقال أبي: هذا خطأ، إنما يرويه عن عدي، عن النبي ﷺ، مرسلاً بلا براء[2].

فالحديث لا يصح؛ لأنه مرسل، والمرسل من أقسام الضعيف.

وللحديث طريق آخر:

قال ابن أبي حاتم: وسمعت أبا زرعة، وحدثنا: عن سعيد بن محمد الجرمي، عن أبي تميلة، عن أبي حمزة يعني السكوني، عن جابر يعني الجعفي، عن عدي بن ثابت، عن زر بن حبيش، عن حذيفة[3]. وهذه المتابعة مظلمة؛ لأن في سندها جابر بن يزيد الجعفي.

كذبه ابن معين، وزائدة، وليث بن أبي سليم، وأيوب، وابن عيينة.

---

(١) علل الحديث لابن أبي حاتم (٢/٣٤٤).

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.




قال أبو حنيفة: ما لقيت فيمن لقيت أكذب من جابر الجعفي ما أتيته بشيء من رأيي إلا جاءني فيه بأثر. وزعم أن عنده ثلاثين ألف حديث لم يظهرها.

وقال أبو حاتم الرازي عن أحمد بن حنبل: تركه ـ أي جابر ـ يحيى وعبد الرحمن.

وقال النسائي: متروك الحديث، وقال الحاكم أبو أحمد: ذاهب الحديث[١].

زيادة على ما تقدم أنه مدلس وقد عنعن ولم يصرح بالتحديث.

قال ابن حجر: ووصفه الثوري، والعجلي، وابن سعد بالتدليس. وقد عده ابن حجر في المرتبة الخامسة: فيمن ضعف بأمر آخر سوى التدليس فحديثهم مردود ولو صرحوا بالسماع[٢].

وأخرجه ابن عساكر[٣] من طريق آخر: أخبرنا أبو جعفر أحمد بن أبي طالب علي بن محمد حدثني أبي حدثني أبو عمرو محمد بن مروان ابن عمر القرشي أخبرني جعفر بن أحمد بن معدان نا الحسن بن جهور نا القاسم بن عروة عن ابن دأب قال: قدم أبو الأسود الديلي على معاوية بن أبي سفيان بعد مقتل علي بن أبي طالب وقد استقامت له

---

(١) انظر: تهذيب الكمال للمزي (٤/٤٦٨ ـ ٤٦٩).

(٢) انظر: تعريف أهل التقديس لابن حجر (١/٥٣) رقم (١٣٣).

(٣) تاريخ دمشق (٢٥/١٧٧).




البلاد فأدنى معاوية مجلسه وأعظم... فقال: يا أمير المؤمنين إن هذا الذي ترى هجا رسول الله ﷺ بأبيات من الشعر، فقال رسول الله ﷺ «اللهم إني لا أحسن أن أقول الشعر فالعن عمراً بكل بيت لعنة».

هذا الطريق أيضاً لا يصح؛ لأن في سنده ابن دأب وهو: عيسى ابن يزيد بن بكر داب الليثي المدني.

قال الحافظ: وكان أخبارياً علامة نسابة، لكن حديثه واه.

وقال خلف الأحمر: كان يضع الحديث، وقال البخاري وغيره: منكر الحديث.

وقيل: إنه كان ذا حظوة زائدة عند المهدي والهادي بحيث إنه أعطاه مرة ثلاثين ألف دينار. وقال أبو حاتم: منكر الحديث(١).

وأبو الأسود الديلي الدؤلي ويقال البصري اسمه ظالم بن عمرو ابن سفيان ويقال عمرو بن ظالم ويقال عمرو بن عثمان أو عثمان بن عمرو ثقة فاضل مخضرم(٢). فعلى هذا يكون الحديث مرسلاً، والمرسل من قسم الضعيف، زد على ما تقدم أن ابن دأب منكر الحديث.

❊ **الوجه الآخر**: ـ من جهة المتن ـ: لو سلمنا أن الحديث ثابت يجاب بأن هذا كان في الجاهلية وقد أسلم ﷺ، واشترط قبل مبايعته

---

(١) لسان الميزان لابن حجر (٤/٤٠٨).

(٢) التقريب لابن حجر، رقم (٧٩٤٠).



للنبي ﷺ أن يغفر الله له، فأعلمه ﷺ أن الإسلام يجبُّ ما قبله، وقَبِل ﷺ بيعته، وأثنى عليه كما تقدم في ترجمته[(١)].

قال ابن قتيبة: «ونرى هذا من قول رسول الله ﷺ كان قبل إسلام عمرو بن العاص رضي الله عنه».

قال ابن عساكر: «في إسناده مقال، وهذا قبل إسلامه، والإسلام يجبُّ ما قبله».

قال الذهبي: «بعد ذكره الحديث ـ قلت: يعني قبل أن يسلم والحديث منكر»[(٢)].

* * *

۞ الشبهة الثانية: دعاء النبي ﷺ عليه.

وذلك لما روي عن النبي ﷺ أنه سمع صوت رجلين يتغنيان وهما يقولان:

لا يزال حواري يزول عظامه... زوى الحرب عنه أن يجن ويقبرا

فسأل عنهما فقيل له: معاوية وعمرو بن أبي العاص فقال: اللهم أركسهما في الفتنة ركسا ودعهما إلى النار دعا[(٣)].

---

(١) (ص/ ١٠٩).

(٢) ميزان الاعتدال (٥/٣٨٢).

(٣) الغدير للأميني (١٠/١٤٠)، أحاديث أم المؤمنين عائشة لمرتضى العسكري (١/٢٩٥).

الجواب: يجاب على هذه الشبهة من خمسة أوجه:

* **الوجه الأول** ـ من جهة الإسناد ـ: هذا الحديث ضعيف جداً.

أخرجه الطبراني[1] من طريق عيسى بن سوادة النخعي عن ليث عن طاوس عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صوت رجلين... الحديث.

قال الهيثمي في المجمع[2]:

رواه الطبراني، وفيه عيسى بن سوادة النخعي، وهو كذاب. حديث لا يصح.

قال أبو حاتم: منكر الحديث. قال ابن معين: كذاب رأيته[3].

وجاء من حديث أبي برزة رضي الله عنه.

أخرجه ابن أبي شيبة[4] ومن طريقه أحمد[5] وأبو يعلى[6]، وأخرجه والبزار[7] وابن حبان في المجروحين[8]، ومن طريقه ابن الجوزي[9]

---

(١) المعجم الكبير (١١) رقم (١٠٩٧٠).

(٢) (١٢١/٨).

(٣) ميزان الاعتدال (٣١٢/٣).

(٤) المصنف (٢٣٢/١٥ ـ ٢٣٣) رقم (٣٨٨٧٥).

(٥) (٤٢١/٤).

(٦) (١٣) رقم (٧٤٣٦).

(٧) (٦٩/٢).

(٨) المجروحين (١٠١/٣).

(٩) الموضوعات (٢٧٠/٢).

كلهم من طريق محمد بن فضيل يزيد بن أبي زياد عن سليمان بن عمرو ابن الأحوص عن أبي هلال العكي عن أبي برزة بنحوه وفيه فقال النبي ﷺ انْظُروا مَنْ هُمَا قَالَ فَقَالُوا فُلَانٌ وَفُلَانٌ قَالَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ.. الحديث.

هذا الإسناد فيه يزيد بن أبي زياد، قال ابن الجوزي كان يلقن في آخر عمره فيلقن، قال علي ويحيى: لا يحتج بحديثه. وقال ابن المبارك: ارم به. وقال ابن عدي: كل رواياته لا يتابع عليها[1].

وشيخه سليمان بن عمرو بن الأحوص مجهول قاله ابن القطان[2].

أبو هلال العكي: قال البزار: غير معروف.

تنبيهات :

١ ـ في جميع طرق حديث أبي برزة لم يُسم الرجلان اللذان دعا عليهما النبي ﷺ عدا طريق ابن حبان.

٢ ـ وقع في مسند البزار: «نَظَرَ إِلَى رَجُلَيْنِ يَوْمَ أُحُدٍ، يَتَمَثَّلانِ بِهَذَا الشِّعْرِ فِي حَمْزَةَ..» وفي مصنف ابن أبي شيبة ومسند أبي يعلى: «وذلك قبل أن تحرم الخمر».

وجاء عن المطلب بن ربيعة ؓ، ولم يسم فيه الرجلان أيضاً.

أخرجه الطبراني في الأوسط[3] حدثنا محمد بن حفص بن بهمرد

(١) تهذيب الكمال للمزي (١٣٨/٣٢).

(٢) بيان الوهم والايهام في الأحكام (٢٨٧/٤).

(٣) رقم (٧٠٨٠).




ثنا إسحاق بن الحارث الرازي ثنا عمرو بن عبد الغفار الفقيمي ثنا نصير بن أبي الأشعث وشريك وأبو بكر بن عياش عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الله بن الحارث بن نوفل عن المطلب بن ربيعة قال بينما رسول الله ﷺ في بعض أسفاره يسير في بعض الليل إذ سمع صوت... فإذا رجل يطارح رجلا للغناء...

قال الطبراني: لم يرو هذا الحديث عن نصير بن الأشعث إلا عمرو بن عبد الغفار.

وعمرو هذا قال فيه أبو حاتم: متروك الحديث.

وقال ابن عدي: ليس بالثبت بالحديث حدث بالمناكير في فضائل علي رضي الله عنه...، وهو متهم إذا روى شيئاً من الفضائل، وكان السلف يتهمونه بأنه يضع في فضائل أهل البيت وفي مثالب غيرهم[(١)].

ويزيد بن أبي زياد تقدم ضعفه.

فيتبين لك أخي الكريم أن الحديث لا يصح بجميع طرقه، وحكم الذهبي على الحديث ـ الذي فيه ذكر عمرو ومعاوية ـ بالنكارة[(٢)]، وكذا الشيخ الألباني[(٣)] وقال ابن القيم: كذب مختلق. وذكر أن كل حديث ورد في ذم عمرو بن العاص ومعاوية بأنه كذب[(٤)].

---

(١) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٢٤٦/٦)، الكامل لابن عدي (١٤٦/٥ ـ ١٤٧).
(٢) السير (١٣١/٦).
(٣) السلسلة الضعيفة (١٤) رقم (٦٥٦٧).
(٤) المنار المنيف (١١٨/١).




❋ **الوجه الثاني**: أن الحديث مضطرب في متنه ـ مع ضعف أسانيده ـ وقع في بعض الروايات بأن الذي دعا عليهما النبي ﷺ هما عمرو بن رفاعة بن التابوب، ومعاوية بن رافع وهما منافقان، أخرجه ابن قانع[1] وابن عدي كلاهما من طريق: عبد الله بن عمر، ثنا شعيب ابن إبراهيم، ثنا سيف بن عمر حدثني أبو عمر مولى إبراهيم بن طلحة، عن زيد ابن أسلم، عن صالح شقران قال: بينا نحن ليلة في سفر، إذ سمع النبي ﷺ صوتاً، فقال: «ما هذا؟» فذهبت أنظر، فإذا معاوية بن التابوب، وعمرو بن رفاعة بن التابوب، ومعاوية بن رافع يقول:

لَا يَـزَالُ حَـوَارِيٌّ تَلُـوحُ عِظَامُـهُ رَوَى[2]

الْحَـرْبَ عَنْـهُ أَنْ يَمُـوتَ فَيُقْبَـرَا

فأتيت النبي ﷺ فأخبرته فقال: «اللهم اكسهما ركسا، ودعهما إلى نار جهنم»، فمات رفاعة قبل أن يقدم النبي ﷺ من ذلك السفر.

قال السيوطي: وهذه الرواية أزالت الإشكال وبينت أن الوهم وقع في الحديث الأول في لفظة واحدة وهي قوله ابن العاصي؛ وإنما هو ابن رفاعة أحد المنافقين وكذلك معاوية بن رافع أحد المنافقين، والله أعلم[3].

---

(١) معجم الصحابة (٢) رقم (٤٦٦).

(٢) في المصادر المتقدمة (زوى).

(٣) اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة (١/٣٩١).

ولكن الطريق أيضاً لا يثبت؛ لأن في سنده: سيف بن عمر وهو: التميمي صاحب الفتوح ـ، قال الذهبي[1] له تواليف، متروك باتفاق.

والراوي عنه: شعيب هو: ابن إبراهيم الكوفي، ففي ترجمته: ساق حديثه هذا ابن عدي[2] وقال: وشعيب بن إبراهيم هذا له أحاديث وأخبار وهو ليس بذلك المعروف ومقدار ما يروي من الحديث والأخبار ليست بالكثيرة وفيه بعض النكرة؛ لأن في أخباره وأحاديثه ما فيه تحامل على السلف.

وقال الذهبي: هو راوية كتب (سيف)، فيه جهالة[3].

تنبيه: ورد عند ابن قانع: سعيد أبو العباس التيمي، وصوابه شعيب بن إبراهيم كما في الكامل لابن عدي.

❋ **الوجه الثالث: أخي الكريم:** قد تبين لك ضعف طريقي الحديث وأنهما لا يثبتان من جهة الإسناد، وتقدم أن المعيَّن في أحدهما معاوية بن التابوب، وعمرو بن رفاعة بن التابوب وهما منافقان. والطريق الآخر المعين فيه معاوية وعمرو بن العاص أصحاب رسول الله ﷺ، فعلى فرضية صحتهما يقال: بأن أن الأمر اشتبه على الراوي أو ظن خلاف المقصود، وإذا تطرق الاحتمال المساوي؛ بطل الاستدلال به على الشيء المراد. ثم لماذا حمل الحديث على منصوص

(١) المغني في الضعفاء (٤١٩/١).

(٢) الكامل (٧/٥).

(٣) ميزان الاعتدال (٣٧٧/٣).

أحد طريقيه دون الآخر! ولماذا نخص به أصحاب رسول الله ﷺ! فهل هذا إلا محض التحكم، والتحكم باطل، على أن الحديث لا يثبت في أحد.

وكل هذه الافتراضات إذا سلمنا ثبوت الحديث وقد تبين لك ألا مجال لصحته.

❊ **الوجه الرابع**: إذا قلت يحتمل تعدد القصة فيجاب أن في بعض الطرق التي نصت بأنهما معاوية وعمرو بن العاص: أن ذلك كان قبل تحريم الخمر، وفي بعض الطرق أنه في غزوة أحد.

فهذا يبين أنه كان قبل إسلامهما لأن إسلام عمرو كان قبل الفتح بستة أشهر، ومعاوية من مسلمة الفتح.

ويجاب: بأنهما أسلما وقبل النبي ﷺ إسلامهما حتى أن عمراً اشترط قبل مبايعته للنبي ﷺ أن يغفر الله له، فقَالَ ﷺ: «أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الإِسْلاَمَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ وَأَنَّ الْهِجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ»[1]، بل قال ﷺ: «أَسْلَمَ النَّاسُ وَآمَنَ عَمْرُو بْنُ العَاصِ»[2] وجعله أميراً في غزوة ذات السلاسل[3]، وجعل معاوية من

(١) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب: كون الإسلام يهدم ما قبله وكذا الهجرة والحج (١) رقم (١٢١).

(٢) تقدم تخريجه (ص/١٢٦).

(٣) أخرجه البخاري: كتاب المغازي، باب غزوة ذات السلاسل (٣) رقم (٣٤٦٢)، ومسلم: كتاب: فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب: من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه (٧) رقم (٦٣٢٨).




كتابه كما رواه ابن عباس[1] رضي الله عنهما، ودعا له فقال: «اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًّا وَاهْدِ بِهِ»[2].

❊ **الوجه الخامس**: هل كان من هديه وسيرته ﷺ الدعاء على أصحابه بالفتنة والنار؟!

كيف يكون ذلك منه وهو القائل لأم سليم «يَا أُمَّ سُلَيْمٍ أَمَا تَعْلَمِينَ أَنَّ شرطي عَلَى رَبِّي أَنِّي اشْتَرَطْتُ عَلَى رَبِّي فَقُلْتُ: إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ أَرْضَى كَمَا يَرْضَى الْبَشَرُ، وَأَغْضَبُ كَمَا يَغْضَبُ الْبَشَرُ، فَأَيُّمَا أَحَدٍ دَعَوْتُ عَلَيْهِ مِنْ أُمَّتِي بِدَعْوَةٍ لَيْسَ لَهَا بِأَهْلٍ أَنْ تَجْعَلَهَا لَهُ طَهُورًا وَزَكَاةً وَقُرْبَةً يُقَرِّبُهُ بِهَا مِنْهُ يَوْمَ القيامة»[3].

وقال أنس بن مالك رضي الله عنه: لم يكن النبي ﷺ سباباً ولا فحاشاً ولا لعاناً كان يقول لأحدنا عند المَعْتِبَةِ: «مَا لَهُ تَرِبَ جَبِينُهُ»[4]، بل لما كان رسول الله ﷺ يدعو على بعض المشركين على صفوان بن أمية وسهيل

(١) أخرجه مسلم: كتاب: فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب: من فضائل أبي سفيان بن حرب رضي الله عنه (٧) رقم (٦٥٦٥).

(٢) أخرجه أحمد (٢٩) رقم (١٧٨٩٥)، والترمذي: أبواب: المناقب، باب: مناقب معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه. (٦) رقم (٣٨٤٢) وقال حسن غريب، وصححه الألباني الصحيحة (١٩٦٩).

(٣) أخرجه مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب: من لعنه النبي ﷺ، أو سبه، أو دعا عليه، وليس هو أهلا لذلك، كان له زكاة وأجراً ورحمة (٤) رقم (٢٦٠٣).

(٤) أخرجه البخاري: كتاب الأدب، باب: «لم يكن النبي ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً» رقم (٥٦٨٤).




ابن عمرو والحارث بن هشام. نزلت: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ ـ إلى قوله ـ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾[1].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل: يا رسول الله ادْعُ على المشركين قال: «إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَّانًا وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً»[2]. فعلمت بهذا أخي الكريم أن ما نُسِب إليه ﷺ من دعائه على عمرو بن العاص ومعاوية رضي الله عنهما مخالف لهديه ﷺ.

فائدة: قال ابن حجر: حكى ابن بطال أن الدعاء للمشركين ناسخ للدعاء على المشركين ودليله قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾ قال والأكثر على أن لا نسخ، وأن الدعاء على المشركين جائز، وإنما النهي عن ذلك في حق من يرجى تألفهم ودخولهم في الإسلام، ويحتمل في التوفيق بينهما أن الجواز حيث يكون في الدعاء ما يقتضي زجرهم عن تماديهم على الكفر، والمنع حيث يقع الدعاء عليهم بالهلاك على كفرهم[3].

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب المغازي، باب: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ (٤) رقم (٣٨٤٢)، ومسلم: كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: استحباب القنوت في جميع الصلاة إذا نزلت بالمسلمين نازلة (١) رقم (٦٧٥).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب: البر والصلة والآداب، باب: النهي عن لعن الدواب وغيرها (٤) رقم (٢٥٩٩).

(٣) فتح الباري لابن حجر (١١/١٩٦)، وكلام ابن بطال موجود في شرحه على الصحيح (١٠/١٢٧).

۞ الشبهة الثالثة: تحذير النبي ﷺ من اجتماع عمرو بمعاوية رضي الله عنهما، وأنَّ اجتماعهما لا يأتي بخير.

وذلك لما روي عن زيد بن أرقم أنه دخل على معاوية فإذا عمرو ابن العاص جالس معه على السرير فلما رأى ذلك زيد جاء حتى رمى بنفسه بينهما فقال له: عمرو بن العاص: أما وجدت لك مجلساً إلا أن تقطع بيني وبين أمير المؤمنين؟ فقال زيد: إن رسول الله صلى الله عليه وآله غزا غزوة وأنتما معه فرآكما مجتمعين فنظر إليكما نظرا شديداً ثم رآكما اليوم الثاني واليوم الثالث كل ذلك يديم النظر إليكما فقال في اليوم الثالث: إذا رأيتم معاوية وعمرو بن العاص مجتمعين ففرقوا بينهما فإنهما لن يجتمعا على خير[1].

الجواب: يجاب على هذه الشبهة من ثلاثة أوجه:

❊ **الوجه الأول**: ـ من حيث السند ـ:

هذا الحديث ضعيف جداً.

أخرجه ابن مزاحم[2] قال: عن أبي عبد الرحمن قال: حدثني العلاء بن يزيد القرشي، عن جعفر بن محمد قال: دخل زيد بن أرقم على معاوية، فإذا عمرو بن العاص جالس معه على السرير... الحديث.

---

(١) وقعة صفين (ص/٢١٨ ـ ٢١٩)، والغدير للأميني (٢/١٢٨).

(٢) وقعة صفين (٢١٨ ـ ٢١٩).




هذا الإسناد فيه علتان:

ـ **العلة الأولى:** نصر بن مزاحم المنقري تقدم الكلام عليه[١].

ـ **العلة الثانية:** انقطاع السند فإن جعفر بن محمد: هو جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي، أبو عبد الله، المعروف بالصادق، صدوق فقيه إمام[٢] مات سنة ثمان وأربعين ومئة وهو ابن ثمان وخمسين وولد سنة ثمانين[٣]. بمعنى أنه ولد بعد موت عمرو بن العاص على الأقل بثلاثين سنة؛ فإن عمرو بن العاص توفي سنة نيف وأربعين وقيل بعد الخمسين[٤].

وللحديث طريق آخر: أخرجه الطبراني[٥] ـ ومن طريقه ابن عساكر[٦] ـ حدثنا يحيى بن عثمان بن صالح ثنا سعيد بن عفير حدثني شداد بن عبدالرحمن[٧] من ولد شداد بن أوس عن أبيه عن يعلى بن شداد عن أبيه: أنه دخل على معاوية رضي الله عنه وهو جالس وعمرو بن العاص على فراشه فجلس شداد بينهما وقال: هل تدريان ما يجلسني بينكما؟

---

(١) (ص/٢٠٠).

(٢) التقريب لابن حجر (٩٥٠).

(٣) تهذيب الكمال للمزي (٩٧/٥).

(٤) التقريب لابن حجر (٥٠٥٣).

(٥) المعجم الكبير (٢٨٩/٧).

(٦) تاريخ دمشق (١٦٩/٤٦).

(٧) وقع في تاريخ دمشق ولسان الميزان (سعيد) بن عبدالرحمن وصوابه شداد كما في بقية المصادر.




إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا رأيتموهما جميعاً ففرقوا بينهما، فوالله ما اجتمعا إلا على غدرة، فأحببت أن أفرق بينكما».

قال ابن عساكر: سعيد بن عبدالرحمن وأبوه مجهولان. وأقره الحافظ[1]، وقال ابن أبي حاتم في ترجمة محمد بن عبد الرحمن بن شداد: سألت أبي عنه، فقال: محمد بن عبد الرحمن وأبوه لا يعرفان وحديثه عن أبيه عن جده شداد بن أوس منكر[2].

قال الهيثمي[3] رواه الطبراني وفيه عبد الرحمن بن يعلى بن شداد ولم أعرفه وبقية رجاله ثقات.

فيتبين لك أخي الكريم: أن هذا الحديث ضعيف جداً، ولا يجوز أن ننسب للرسول ﷺ هذا القول ـ لن يجتمعا على خير ـ وحاشاهما عن ذلك فقد مدح ﷺ عمراً بقوله «ابْنَا الْعَاصِ مُؤْمِنَانِ: عَمْرٌو وَهِشَامٌ»[4]، وكان موضع ثقة لديه إذ هو أحد عماله وأمرائه، وائتمن معاوية فجعله من كُتَّابه، ودعا له بالهداية كما تقدم[5].

❊ **الوجه الثاني**: أن قوله (ما اجتمعا إلا على غدرة). كلام يستلزم أن يكون كل واحد منهما منفرداً موصوفاً بهذا الوصف، فيكون عمرو

---

(١) لسان الميزان (٣/٣٦)

(٢) الجرح والتعديل (٧/٣١٥).

(٣) المجمع (٧/٤٩٦).

(٤) تقدم (ص/١٢٧).

(٥) (ص/٢٦٥).

ابن العاص رجلاً غادراً، وكذلك معاوية بن أبي سفيان غادراً ـ وحاشاهما ـ رضي الله عنهما. إذ لوكان عمرو في نفسه رجلاً صالحاً أميناً، فأي ضرر في اجتماع أمينين صالحين؟ فمن أين تأتي الغدرات؟ فمثل هذا كمثل ماء طاهر لاقى ماءاً طاهراً فممن يأتي الخبث؟!.

وإذ قد تبين هذا نقول إن النبي ﷺ قال كما في صحيح مسلم ـ: «مَا مِنْ أَمِيرٍ يَلِي أَمْرَ الْمُسْلِمِينَ ثُمَّ لاَ يَجْهَدُ لَهُمْ وَيَنْصَحُ إِلاَّ لَمْ يَدْخُلْ مَعَهُمُ الْجَنَّةَ».

وفي رواية أخرى «مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللهُ رَعِيَّةً يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ إِلاَّ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ»[(١)].

ففي هذا الحديث بروايتيه أن من وَلِيَ أمر المسلمين عليه أن يجهد لهم وينصح ولا يغشهم، ومن أكبر النصح أن يُولِّي عليهم الأمناء الصادقين المرضيِّ السيرة.

ومن أكبر الغش والخيانة أن يُولِّي عليهم من يَعرفُ منه غدراً ويخاف منه غائلة، وقد وجدنا أن رسول الله قد ولىَّ عمرو بن العاص على جيش من المسلمين في غزوة ذات السلاسل ـ وفي القوم أبو بكر وعمر ـ ثم بعثه إلى عمَّان وظل عليها والياً إلى أن مات رسول الله ﷺ.

فلا يرد في عقل عاقل، ولا يستقيم في ذهن لبيب أن يقول رسول الله ﷺ هذا الكلام السابق ويحذر من غش الأمة، ويعظم أمر الولاية

---

(١) رقم (١٤٢).



حتى يقول لأبي ذر إنك ضعيف وإنها أمانة ثم هو يُولِّي على المسلمين في حروبهم وفي أمر دينهم ودنياهم من يعلم منه الغدر والخيانة، وفي المسلمين من هو أرضى لله ورسوله منه. ورسول الله المسدد من ربه فإن خفي عليه أمر عمرو فإن الله سيسدده ويكشف له حاله كما كشف له أمر المنافقين، فهل يعقل أن يكون عمرو بن العاص رضي الله عنه ممن ينطوي على غدر ثم يوليه رسول الله ﷺ ويستعمله، ويقره الله على هذا ولا يبين له خبيئة نفسه ومكنون صدره؟!

ثم لا يقف الأمر على توليته واستعماله بل ويمدحه ويثني عليه، ويستمر عمرو في ولايته حتى موته ﷺ، ثم خلفاؤه من بعده يتابعونه على ذلك السَنَن، ويحتذون حذوه في السر والعلن!

إذا تبين لك هذا؛ علمت أنه محال عقلاً وغير جائز شرعاً أن يظن برسول الله ﷺ وخلفاءه رضي الله عنهم من بعده أن يولوا على المسلمين من يتهمونه بخبثة أو يظنون به غدراً. بل هذا مما تأباه العقول الرشيدة وترفضه النفوس السليمة، والأمر الذي تقبله النفوس السليمة وتتدين به العقول الرشيدة أنه كان محمود السريرة؛ لذلك ولوه من الأعمال ما رأوه أهلاً لها من غير شك فيه ولا رِيبة.

ومما يشهد لحسن سريرته جهاده وسعيه في نشر الإسلام في بقاع كثيرة من بلدان العالم القريبة والبعيدة.

ومما يأتي على هذا الحديث من القواعد ويجتث جذوره: أن رسول الله قال: ـ فيما رواه الترمذي وغيره ـ «أَسْلَمَ النَّاسُ وَآمَنَ عَمْرُو



ابْنُ العَاصِ»[١]، وقال عليه أفضل الصلاة والسلام: «ابْنَا الْعَاصِ مُؤْمِنَانِ: عَمْرٌو وَهِشَامٌ»[٢][٣].

❋ **الوجه الثالث**: قوله: **(ما اجتمعا إلا على غدرة)** كلام باطل، فإن عمرو بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما قد اجتمعا على خير؛ فاجتمعا في الجهاد في غزوة حنين بعد فتح مكة، وفي تبوك فلم يذكر أنهما تخلفا عن الغزوة واجتمعا في حجة الوداع وكذلك في حروب الشام.

قال ياقوت الحموي في معجم البلدان[٤]: «وفتحت عكة في حدود سنة ١٥ على يد عمرو بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان».

وقال ابن كثير في البداية والنهاية[٥]: «فبينما عمر في الجابية إذا بكردوس من الروم بأيديهم سيوف مسللة، فسار إليهم المسلمون بالسلاح فقال عمر: إن هؤلاء قوم يستأمنون».

فساروا نحوهم فإذا هم جند من بيت المقدس يطلبون الأمان والصلح من أمير المؤمنين حين سمعوا بقدومه فأجابهم عمر رضي الله عنه إلى ما سألوا، وكتب لهم كتاب أمان ومصالحة، وضرب عليهم الجزية،

---

(١) تقدم تخريجه (ص/١٢٦).

(٢) تقدم (ص/١٢٧).

(٣) درء الانتقاص عن عمرو بن العاص، لمحمد كمال (ص/٤٦ ـ ٤٨) بتصرف.

(٤) (١٤٤/٤).

(٥) (٦٥٨/٩).



واشترط عليهم شروطا ذكرها ابن جرير، وشهد في الكتاب خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وعبد الرحمن بن عوف، ومعاوية بن أبي سفيان، وهو كاتب الكتاب وذلك في سنة خمس عشرة»[١].

** ** **

(١) درء الانتقاص، لمحمد كمال (ص/٥٠).



شبهات حول علاقته بالصحابة رضي الله عنهم

❁ الشبهة الأولى: تأليبه على قتل عثمان رضي الله عنه

❁ الشبهة الثانية: ركونه إلى حزب معاوية رضي الله عنه طمعاً في الدنيا.

❁ الشبهة الثالثة: اتقاؤه علياً رضي الله عنه بعورته أثناء المبارزة.

❁ الشبهة الرابعة: قتله وتحريقه لمحمد بن أبي بكر.

شبهات حول علاقته بالصحابة رضي الله عنهم

۞ الشبهة الأولى: تأليبه على قتل عثمان رضي الله عنه[1].

ومفاد ذلك: ما روي عن أبي عون مولى المسور قال: كان عمرو ابن العاص على مصر عاملاً لعثمان، فعزله عن الخراج واستعمله على الصلاة، واستعمل عبد الله بن سعد على الخراج، ثم جمعهما لعبد الله ابن سعد، فلما قدم عمرو بن العاص المدينة جعل يطعن على عثمان... فكان يأتي علياً مرة فيؤلبه على عثمان، ويأتي الزبير مرة فيؤلبه على عثمان، ويأتي طلحة مرة فيؤلبه على عثمان، ويعترض الحاج فيخبرهم بما أحدث عثمان، فلما كان حصر عثمان الأول خرج من المدينة حتى انتهى إلى أرض له بفلسطين يقال لها السبع فنزل في قصر له يقال له العجلان... فبينما هو جالس في قصره ذلك ومعه ابناه محمد وعبد الله وسلامة بن روح الجذامي،... فلما بلغه مقتل عثمان، قال: أنا أبو عبد الله قد يضرط العير والمكواة في النار[2]، فلم يبرح مجلسه ذلك حتى مر به راكب آخر فناداه عمرو ما فعل الرجل يعني

---

(١) كتاب وقعة صفين لابن مزاحم (ص/٣٨)، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (١٣٦/١).

(٢) يضرب هذا للرجل يتوقع الأمر قبل أن يحل به، وللرجل يخاف الأمر فيجزع قبل وقوعه فيه. المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده (١٥٨/٧)، نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري (٤٥/٣).



عثمان، قال: قتل، قال: أنا أبو عبد الله إذا حككت قرحة نكأتها[(١)]، إن كنت لأحرض عليه حتى إني لأحرض عليه الراعي في غنمه في رأس الجبل، فقال له سلامة بن روح: يا معشر قريش إنه كان بينكم وبين العرب باب وثيق فكسرتموه، فما حملكم على ذلك؟ فقال: أردنا أن نخرج الحق من حافرة الباطل، وأن يكون الناس في الحق شرعاً سواء، وكانت عند عمرو أخت عثمان لأمه أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ففارقها؛ حين عزله.

الجواب: يجاب على هذه الشبهة من أربعة أوجه:

❊ **الوجه الأول: ـ من جهة السند ـ**: ذكر هذه القصة الطبري في تاريخه[(٢)] من طريق الواقدي أن عبد الله بن جعفر حدثه عن أبي عون مولى المسور قال كان عمرو بن العاص به.

القصة لا تثبت؛ في سندها علتان.

الأولى: الواقدي: محمد بن عمر متروك[(٣)].

الثانية: أبو عون مولى المسور لعله ابن أبي حازم، قال أبو زرعة:

---

(١) يضرب مثلا للرجل المصيب بالظنون فإذا ظن فكأنه رأى. الأمثال لابن سلام (ص/١٦)، جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري (١/١١٨)، المستقصى في أمثال العرب للزمخشري (١/١٢٤).

(٢) (٤/٣٥٧).

(٣) تقدم (ص/٢٠٢).




مديني لا نعرفه. ذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل[1] قال: روى عن عبد الله بن الزبير روى عنه عبد الله بن جعفر المخرمي.

❊ **الوجه الثاني** ـ من جهة المتن ـ: من تأمل القصة المروية عن ابن عون يجزم ببطلان ما نسب إلى عمرو بغض النظر عن ضعف إسنادها وذلك للآتي:

أولاً: تفيد القصة بأن تحريضه على عثمان رضي الله عنه كان مشاعاً ومذاعاً إذ لم يقتصر على كبار الصحابة كعلي وطلحة رضي الله عنهما بل حتى الحجاج والرعاة، ومعلوم أن عمراً انضم لمعاوية في المطالبة بدم عثمان! فلو كان فعلاً قد حرض عليه لبدأ بقتله أهل الشام إذ كان السبب في ذلك.

ثانياً: في الأثر أنه كان يأتي علياً ويؤلبه على عثمان، فلو كان تحريضه لعلي رضي الله عنه على عثمان ثابتاً؛ لكشف أمره أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وبين أنه من المحرضين، وأن ما وصل الأمر إلى ما وصل إليه إلا بسبب تحريضه وتأليب الناس عليه.

ثالثاً: في الأثر أنه قالها أمام ابنه عبد الله وقد تقدم[2] بأنه أحد السابقين أسلم قبل أبيه، وكان فاضلاً حافظاً عالماً قرأ الكتاب، وهو أحد المكثرين من الصحابة، وأحد العبادلة الفقهاء، فكيف نستطيع أن نصدق بأنه أقر أباه على هذا التحريض؟ وقد تقدم في الفصل الأول أنه

---

(١) (٩/٤١٤).

(٢) (ص/١٠٦).




لما حصل ذات يوم بين عمرو بن العاص وبين المغيرة بن شعبة كلام في الوهط فسبه المغيرة فقال عمرو يا آل هصيص أيسبني ابن شعبة قال ابنه عبد الله: إنا لله وإنا إليه راجعون، دعوت بدعوى القبائل، وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن دعوى القبائل، قال: فأعتق ثلاثين رقبة[1].

أفيعقل أن يقال: إنه أنكر على أبيه نداءه لقبيلته والتعصب القبلي ثم لا ينكر على أبيه في تحريضه لقتل خليفة المؤمنين؛ لمجرد عزله عن ولاية مصر!.

رابعاً: ختمت القصة بدليل ساطع على بطلانها إذ يقول: وكانت عند عمرو أخت عثمان لأمه أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ففارقها؛ حين عزله.

فأفادت القصة بأن عمراً فارق أم كلثوم لما عزله عثمان، مع أن المذكور في كتب التراجم بأن عمرو بن العاص تزوجها بعد موت عبدالرحمن بن عوف ثم ماتت عنده، وفي بعض المصادر ـ تحديد المدة ـ «فمكثت عنده شهراً، ثم ماتت»!![2].

فتبين لك أخي القارئ الكريم: بعد هذا التأمل؛ أن القصة ملفقة زيادة على ضعف سندها.

❊ **الوجه الثالث**: أن هناك رواية أخرى تصادم وتخالف هذه

---

(١) تقدم (ص/١٢٣).

(٢) تقدم (ص/١٠٥).




الرواية وتتوافق مع شخصية الصحابي الجليل عمرو بن العاص رضي الله عنه، بل وتدل على بطلان هذه الرواية وأنها بعيدة عن الواقع.

قال الطبري[(١)]: وفي هذه السنة أعني سنة ست وثلاثين بايع عمرو ابن العاص معاوية ووافقه على محاربة علي؛ وكان السبب في ذلك ما كتب به إليَّ السري عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة وأبي حارثة وأبي عثمان قالوا: لما أحيط بعثمان رضي الله عنه خرج عمرو بن العاص من المدينة متوجهاً نحو الشام، وقال: والله يا أهل المدينة ما يقيم بها أحد فيدركه قتل هذا الرجل إلا ضربه الله عز وجل بذل، من لم يستطع نصره فليهرب. فسار وسار معه ابناه عبد الله ومحمد، وخرج بعده حسان بن ثابت، وتتابع على ذلك ما شاء الله.

قال سيف: عن أبي حارثة وأبي عثمان قالا: بينا عمرو بن العاص جالس بعجلان ومعه ابناه إذ مر بهم راكب فقالوا: من أين؟ قال: من المدينة، فقال عمرو: ما اسمك؟ قال: حصيرة، قال عمرو: حصر الرجل، قال: فما الخبر؟ قال: تركت الرجل محصوراً، قال عمرو: يقتل ثم مكثوا أياماً فمر بهم راكب فقالوا: من أين؟ قال من المدينة، قال عمرو: ما اسمك؟ قال قتال، قال عمرو: قتل الرجل، فما الخبر؟ قال: قتل الرجل قال: ثم لم يكن إلا ذلك إلى أن خرجت، ثم مكثوا أياماً فمر بهم راكب فقالوا: من أين؟ قال من المدينة قال عمرو: ما اسمك؟ قال: حرب، قال: عمرو يكون حرب، فما الخبر؟ قال: قتل

(١) تاريخ الطبري (٤/٥٥٨)، وانظر: تاريخ دمشق (٥٥/٢٨).

عثمان بن عفان رضي الله عنه وبويع لعلي بن أبي طالب، قال عمرو: أنا أبو عبد الله تكون حرب من حك فيها قرحة نكأها، رحم الله عثمان وغفر له، فقال سلامة بن زنباع الجذامي: يا معشر قريش إنه والله قد كان بينكم وبين العرب باب فاتخذوا باباً إذ كسر الباب فقال عمرو، وذاك الذي نريد ولا يصلح الباب إلا أشاف[١] تخرج الحق من حافرة البأس ويكون الناس في العدل سواء ثم تمثّل عمرو في بعض ذلك:

يا لهف نفسي على مالك وهل يصرف اللهف حفظ القدر!
أنزع من الحرّ[٢] أودى بهم فأعذرهم أم بقومي سكر!

ثم ارتحل راجلاً يبكي كما تبكي المرأة ويقول واعثماناه أنعى الحياء والدين حتى قدم دمشق، وقد كان سقط إليه من الذي يكون علم فعمل عليه.

ولكن هذه الرواية أيضاً لا تثبت كسابقتها؛ لأن في سندها: (سيف ابن عمر) وهو: التميمي متروك[٣].

والراوي عنه: شعيب هو: ابن إبراهيم الكوفي، ففي ترجمته؛ ساق حديثه هذا ابن عدي[٤] وقال: وشعيب بن إبراهيم هذا له أحاديث

---

(١) أشاف جمع إشْفَى وهو مخرز الإسكاف. المعجم الوسيط (١٩/١). وأراد به الشيء الدقيق الحاد الذي يُستخرج به.

(٢) كذا في تاريخ الطبري (حر) ولعلها مصحفة من الجن كما هي في تاريخ دمشق (٥٥/٢٨).

(٣) تقدم (ص/٢٦٣).

(٤) تقدم (ص/٢٦٣).

وأخبار وهو ليس بذلك المعروف ومقدار ما يروي من الحديث والأخبار ليست بالكثيرة وفيه بعض النكرة؛ لأن في أخباره وأحاديثه ما فيه تحامل على السلف.

وقال الذهبي: هو راوية كتب (سيف)، فيه جهالة[1].

قد تبين لك أخي الكريم أن الرواية ـ التي تزعم أن عمرو ألب الناس على عثمان ـ ضعيفة السند وما ذكر في متنها ـ مع نكارته ـ لا يتناسب مع صفات الصحابة الذين زكاهم الله من فوق سبع سموات، أضف إلى ذلك وجود روايات أخرى وإن كانت ضعيفة أيضاً لكنها تناقض الروايات الأولى، وهي موافقة للأصول، وتتناسب مع صفاتهم وليس في متنها نكارة؛ فأي الروايتين أحق بالأخذ إن كنتم تعلمون؟.

* **الوجه الرابع**: أن يكون هذا الحديث مما تناقلته الألسنة بقطع النظر عن صحته؛ لهذا نقله أبو عون مولى المسور وهو لا يعلم أنه غير صحيح، وليس هذا ببعيد في عصر كان يموج بفتن كثيرة،[2] لا سيما وأنه لا يُدرى عن من أخذ هذه الرواية!.

وبعد ذكر هذه الأوجه: فلتتيقن أخي الكريم أن نسبة هذا الأمر للصحابي الجليل لا تصح، ولا يجوز أن ننسب أمراً ما لأي شخص دون بينة صحيحة، فكيف بصحابي امتدحه النبي ﷺ وأثنى عليه كما مر بك في الفصل الأول[3].

---

(١) تقدم (ص/٢٦٣).

(٢) درء الانتقاص عن عمرو بن العاص لمحمد كمال (ص/٨٤).

(٣) (ص/١٢٦).

۞ الشبهة الثانية: ركونه إلى حزب معاوية رضي الله عنهما طمعاً في الدنيا[1]:

وذلك لما رواه عبد الوهاب بن يحيى بن عبد الله بن الزبير نا أشياخنا... وذكر أن عمرو بن العاص استشار ابنيه ـ بعد الجمل ـ إلى أي الفريقين يعمد، فقال له عبد الله ابنه: إن كنت لا بد فاعلاً فإلى علي، فقال له عمرو: ثكلتك أمك إني إن أتيت علياً قال لي: إنما أنت رجل من المسلمين، وإن أتيت معاوية يخلطني بنفسه ويشركني في أمره، فأتى معاوية.

وفي قصة أخرى: أن علياً بن أبي طالب كتب إلى عمرو بن العاص، فلما أتى عمراً الكتاب أقرأه معاوية الكتاب، وقال: قد ترى ما كتب إليَّ علي بن أبي طالب، فإما أن ترضيني وإما أن ألحق به فقال له معاوية: فما تريد؟ قال أريد مصر مأكلة، فجعلها له معاوية كما أراد، فاتخذ عمرو بن العاص أربعة.

الجواب: يجاب على هذه الشبهة من خمسة أوجه:

* **الوجه الأول**: ـ من جهة السند ـ: القصة الأولى أخرجها ابن عساكر في تاريخه[2]:

أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن محمد أنا أحمد بن الحسن بن خيرون أنا الحسن بن أحمد بن إبراهيم أنا أحمد بن إسحاق بن نيخاب

---

(١) كتاب وقعة صفين لابن مزاحم (ص/٣٨)، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (١/١٣٦).

(٢) تاريخ دمشق (٤٦/١٦٥).




نا إبراهيم بن الحسين بن علي نا يحيى بن سليمان الجعفي قال وحدثني زيد بن الحباب العكلي أخبرني جويرية بن أسماء الضبعي حدثني عبد الوهاب بن يحيى به.

ونا إبراهيم بن الحسين نا يحيى بن سليمان نا إبراهيم بن الجراح قال: ثم رجع إلى حديث أبي يوسف عن محمد بن إسحاق عن عبد الله ابن عروة بن الزبير عن أبيه أو عن غيره قال: لما بلغ عمرو بن العاص بيعة الناس علياً دعا ابنيه عبد الله ومحمداً فاستشارهما... وذكر الرواية الثانية.

الإسنادان ضعيفان. السند الأول: فيه عبد الوهاب بن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير قال الحافظ: مقبول[1]. يعني إن توبع وإلا فلين، كما نص عليه في المقدمة. وأشياخه مبهمون. والسند الآخر: ضعيف فيه إبراهيم بن الجراح.

قال ابن حبان: إبراهيم بن الجراح من أصحاب الرأي سكن مصر، يروي عن أبي يوسف وغيره وأهل العراق، روى عنه أحمد بن عبد الله الكندي يخطئ[2].

ومحمد بن إسحاق هو ابن يسار أبو بكر المطلبي مولاهم المدني نزيل العراق إمام المغازي صدوق يدلس[3]. وقد عنعن في هذا السند

---

(١) التقريب رقم (٤٢٦٥).

(٢) الثقات (٨/٦٩).

(٣) التقريب رقم (٥٧٢٥).

ولا تقبل روايته إلا إذا صرح.

والقصة الثانية: أخرجها كذلك ابن عساكر[(١)]: أخبرنا أبو عبد الله البلخي أنا أبو الحسن علي بن الحسين بن أيوب أنا أبو علي بن شاذان أنا أحمد بن إسحاق بن نيخاب نا إبراهيم بن الحسين بن علي نا يحيى ابن سليمان الجعفي حدثني عبد الرحمن بن زياد أنا أبو الصباح الأنصاري الواسطي نا أبو هشام الرماني عن من حدثه قال: كتب علي ابن أبي طالب إلى عمرو بن العاص.. الخ

وهذه القصة ضعيفة كسابقتها؛ لأن في سندها: عبدالغفور أبو الصباح الواسطي.

قال يحيى بن معين: ليس حديثه بشيء.

وقال ابن حبان: كان ممن يضع الحديث.

وقال البخاري: تركوه.

وقال ابن عدي: ضعيف منكر الحديث[(٢)].

وفي أنساب الأشراف[(٣)] طريق أخرى عن الحسن البصري مرسلة:

حدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي، حدثنا أبو داود الطيالسي، حدثنا بشير بن عقبة أبو عقيل: عن الحسن قال: لما كان من أمر علي

---

(١) (٤٦/١٧٠).

(٢) الميزان (٣٨١/٤).

(٣) (٣٢٠/١).

ومعاوية ما كان؛ دعا معاوية عمرو بن العاص إلى قتال علي فقال: لا والله لا أظاهرك على قتاله حتى تطعمني مصر؛ فأبى عليه فخرج مغضباً. ثم إن معاوية ندم وقال: رجل طلب إلي في شيء على هذه الحال فرددته؟ فأجابه إلى ما سأل.

وفي طبقات ابن سعد(١):

قال: أخبرنا معاذ بن معاذ قال: أخبرنا أبو عون عن الحسن قال: كان الحكمان أبو موسى وعمرو بن العاص، وكان أحدهما يبتغي الدنيا والأخر يبتغي الآخرة.

الإسناد إلى الحسن البصري صحيح، ولكنه لم يشهد الحادثة فقد كان صغيراً بالمدينة ومعاوية بالشام، وقد سئل أبو زرعة: لقي الحسن أحداً من البدريين؟ قال: رآهم رؤية، رأى عثمان بن عفان وعلياً، قلت: سمع منهما حديثاً؟ قال: لا، وكان الحسن البصري يوم بويع لعلي رضي الله عنه ابن أربع عشرة، ورأى علياً بالمدينة ثم خرج علي إلى الكوفة والبصرة، ولم يلقه الحسن بعد ذلك.

وقد حكم العلماء على مراسيل الحسن بالضعف، قال ابن سعد: قالوا... وكان ما أسند من حديثه وروى عن من سمع منه فحسن حجة، وما أرسل من الحديث فليس بحجة.

وقال أحمد بن حنبل: ليس في المرسلات شيء أضعف من

---

(١) (١١٣/٤).




مرسلات الحسن وعطاء بن أبي رباح فإنهما كانا يأخذان عن كل أحد.

قال العراقي: مراسيل الحسن عندهم شبه الريح.

قال العلائي: كثير التدليس وهو مكثر من الإرسال.

وقال علي بن المديني رأى الحسن أم سلمة ولم يسمع منها ولا من أبي موسى الأشعري(١).

فثبت مما تقدم عدم حضور الحسن للحوار الذي نقله عن عمرو ابن العاص ومعاوية رضي الله عنهما، وقد تقدم في التمهيد أنه قد كثر التزوير والإشاعات عن الصحابة في هذه الفتنة، فربما سمع الحسن هذه الشائعة فظنها صدقاً فحكاها كما سمعها، ثم ذكر بأن أحد الحكمين كان يبتغي الدنيا بناءً على ما سمع، والقصة أصلاً لم تثبت(٢).

---

(١) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (١٥٧/٧)، المراسيل لابن أبي حاتم الرازي (ص: ٨)، جامع التحصيل (ص/١٦٠: ٩٠)، تدريب الراوي (٢٠٤/١).

(٢) روي أن عمار بن ياسر دنا من عمرو بن العاص في يوم صفين وقال له: يا عمرو بعت دينك بمصر تبا لك تبا طالما بغيت في الإسلام عوجاً. أخرجه الطبري (٩٨/٣) من طريق منصور بن أبي نويرة عن أبي مخنف قال حدثني مالك بن أعين الجهني عن زيد بن وهب الجهني أن عمار بن ياسر به.
وأخرجه ابن مزاحم وقعة صفين (ص: ٢٦١) من طريق عمر قال: حدثني عبد الرحمن ابن جندب، عن جندب بن عبد الله قال: قام عمار بن ياسر بصفين فقال.... الخ
الاسنادان ضعيفان جداً، في سند الطبري منصور بن يعقوب بن أبي نويرة قال ابن عدي: يقع في حديثه أشياء غير محفوظة. الكامل في الضعفاء (٣٩٢/٦)، وأبو مخنف لوط بن يحيى، قال الذهبي: أخباري تالف لا يوثق به، ومالك بن أعين الجهني: مجهول تقدم الكلام عليهما (ص/٤٠). =

❊ **الوجه الثاني**: أن في سياق الرواية نكارة لا تتوافق مع شخصية عمرو وسيرته.

إذ سياق الرواية كأنها تتحدث عن قائد عسكري في عنفوان شبابه له شغف بالمال والولاية ـ ولو على حساب دينه ـ لاه عن الآخرة غافل عن الموت وهذا الوصف لا يتناسب مع مجتمع الصحابة، المجتمع الذي تربى أفراده على يد نبينا محمد ﷺ وتعلموا منه حقارة الدنيا ودناءتها قولاً وفعلاً، وعمرو وما أدراك ما عمرو من أفاضل الصحابة صاحب الفتوحات، شهد له النبي ﷺ بالإيمان والصلاح، وعندما أراد إرساله وتأميره على جيش ذات السلاسل قال له: «يَا عَمْرُو اشْدُدْ عَلَيْكَ سِلاَحَكَ، وَثِيَابَكَ، وَأْتِنِي فَفَعَلْتُ فَجِئْتُهُ وَهُوَ يَتَوَضَّأُ،

= وفي السند الآخر: نصر بن مزاحم المنقري صاحب الكتاب متروك، وشيخه عمر بن سعد أيضاً متروك الحديث قاله أبو حاتم، تقدم (ص/١١٣)، عبد الرحمن بن جندب مجهول قاله ابن حجر في لسان الميزان (٣/٤٠٨).

وفي طبقات ابن سعد (٤/٢٥٨) سند آخر أيضاً ضعيف جداً.

قال: أخبرنا محمد بن عمر قال: حدثني مفضل بن فضالة عن يزيد بن أبي حبيب قال: وحدثني عبد الله بن جعفر عن عبد الواحد بن أبي عون قالا: لما صار الأمر في يدي معاوية استكثر طعمة مصر لعمرو ما عاش ورأى عمرو أن الأمر كله قد صلح به وبتدبيره وعنائه وسعيه فيه، وظن أن معاوية سيزيده الشام مع مصر فلم يفعل معاوية....

السند فيه علتان: الأولى: الواقدي وهو متروك وقد تقدم (ص/٢٠٢).

الثانية: الإرسال فإن يزيد بن أبي حبيب وعبد الواحد بن أبي عون من الرواة عن التابعين، انظر: ترجمتهما من تهذيب الكمال (١٨/٤٦٣)، (٣٢/١٠٣).



فَصَعَّدَ فِيَّ الْبَصَرَ وَصَوَّبَهُ، وَقَالَ: يَا عَمْرُو، إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَبْعَثَكَ وَجْهاً، فَيُسَلِّمَكَ اللَّهُ وَيُغْنِمَكَ، وَأَزْعَبُ لَكَ مِنَ الْمَالِ زَعبَةً صَالِحَةً، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي لَمْ أُسْلِمْ رَغْبَةً فِي الْمَالِ، إِنَّمَا أَسْلَمْتُ رَغْبَةً فِي الْجِهَادِ، وَالْكَيْنُونَةِ مَعَكَ، قَالَ: يَا عَمْرُو، نَعِمَّا بِالْمَالِ الصَّالِحِ، لِلرَّجُلِ الصَّالِحِ»[1] ولو كان باطن عمرو مخالفاً لظاهره؛ لأعلم الله رسوله ﷺ بما يبطنه عمرو. أضف إلى ذلك أن عمراً كان عمره آنذاك يناهز الثمانين وهو سن يناسبه الوقار والزهد عن الدنيا وجمع الأموال بالطرق المباحة فضلاً على أن يتوصل للدنيا بسفك الدماء والطرق المحرمة، وتاريخه شاهد بذلك.

❊ **الوجه الثالث:** مما يدل على أن عمرو بن العاص انضم لمعاوية اجتهاداً لا طمعاً في الدنيا؛ أنه لما علم بقتل عمار بن ياسر فزع فزعاً شديداً ودخل على معاوية يخبره بالأمر، ففي مسند أحمد عن أبي بكر ابن محمد بن عمرو بن حزم، عن أبيه، قال: لما قتل عمار بن ياسر دخل عمرو بن حزم على عمرو بن العاص، فقال: قتل عمار، وقد قال رسول الله ﷺ: «تقتله الفئة الباغية»، فقام عمرو بن العاص فزعاً يُرَجِّع حتى دخل على معاوية، فقال له معاوية: ما شأنك؟ قال: قتل عمار، فقال معاوية: قد قتل عمار، فماذا؟ قال عمرو: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تقتله الفئة الباغية» فقال له معاوية: دحضت[2] في بولك،

---

(١) تقدم (ص/١٢٨).

(٢) أصل الدحض الزلق يُقَال: دحض يدحض دحضاً إِذا زلق. غريب الحديث لابن قتيبة (٣٢١/١).

أونحن قتلناه؟ إنما قتله علي وأصحابه، جاءوا به حتى ألقوه بين رماحنا، ـ أو قال: بين سيوفنا[1].

وقد يقال لماذا لم يدخل معاوية وعمرو رضي الله عنهما في بيعة علي رضي الله عنه بعد قتل عمار؛ إن كانا يريدان الحق؟

والجواب: أنهما امتنعا من الدخول في بيعة علي رضي الله عنه؛ لعدم تمكينهما من قتلة عثمان رضي الله عنه، وعلي رضي الله عنه أخر القصاص حتى يستتب له الأمر وتهدأ الفتنة، ـ لا سيما وأن الذين حاصروا عثمان جمع غفير ـ فطلب علي رضي الله عنه منهم الدخول في البيعة فأبوا، فتوجه إليهم ليدخلهم في بيعته فرفضوا مبايعته حتى يقتص من القتلة، فرأى علي قتالهم ـ لأنهم في نظره بغاة ـ حتى يدخلهم في بيعته؛ فحصل القتال بين الصفين، وهم متيقنون أنهم على الحق؛ لأنهم يطالبون بدم عثمان وقد قال تعالى: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ

(١) مسند أحمد (٢٩/٣١٧).

تنبيه: في صحيح البخاري (١/٩٧) وقع بلفظ: «وَيْحَ عَمَّارٍ، تَقْتُلُهُ الفِئَةُ البَاغِيَةُ، يَدْعُوهُمْ إِلَى الجَنَّةِ، وَيَدْعُونَهُ إِلَى النَّارِ».

قال ابن حجر: فإن قيل كان قتله بصفين وهو مع علي والذين قتلوه مع معاوية وكان معه جماعة من الصحابة فكيف يجوز عليهم الدعاء إلى النار؟

فالجواب: أنهم كانوا ظانين أنهم يدعون إلى الجنة، وهم مجتهدون لا لوم عليهم في اتباع ظنونهم، فالمراد بالدعاء إلى الجنة الدعاء إلى سببها وهو طاعة الإمام، وكذلك كان عمار يدعوهم إلى طاعة علي وهو الإمام الواجب الطاعة إذ ذاك، وكانوا هم يدعون إلى خلاف ذلك لكنهم معذورون للتأويل الذي ظهر لهم. فتح الباري (١/٥٤٢).




كَانَ مَنصُورًا ﴾ ومعاوية ابن عمه وأقوى أوليائه في الطلب بالقصاص، والقتلة في صف علي.

ولعلمهم أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمر عثمان بعدم التنحي عن الخلافة إذا طلب منه المنافقون ذلك وأخبره أنه سيقتل مظلوماً، ففي مسند أحمد قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «يَا عُثْمَانُ، إِنَّ اللَّهَ مُقَمِّصُكَ قَمِيصًا، فَإِنْ أَرَادَكَ الْمُنَافِقُونَ عَلَى أَنْ تَخْلَعَهُ فَلَا تَخْلَعْهُ لَهُمْ، وَلَا كَرَامَةَ»[1].

وعن جبير بن نفير، قال: كنا معسكرين مع معاوية بعد قتل عثمان، فقام كعب بن مرة البهزي فقال: لولا شيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما قمت هذا المقام، فلما سمع بذكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أجلس الناس، فقال: بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، إذ مر عثمان بن عفان مرجلاً قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«لَتَخْرُجَنَّ فِتْنَةٌ مِنْ تَحْتِ قَدَمَيْ ـ أَوْ مِنْ بَيْنِ رِجْلَيْ ـ هذا، هَذَا يَوْمَئِذٍ وَمَنِ اتَّبَعَهُ عَلَى الْهُدَى» قال: فقام ابن حوالة الأزدي من عند المنبر، فقال: إنك لصاحب هذا؟ قال: نعم، قال: والله إني لحاضر ذلك المجلس، ولو علمت أن لي في الجيش مصدقاً كنت أول من تكلم به[2].

---

(١) تقدم (ص/٦٠).

(٢) أخرجه أحمد (٦٠٨/٢٩)، والطبراني في المعجم الكبير (٣١٦/٢٠) قال الألباني: واسناد أحمد صحيح على شرط مسلم. السلسلة الصحيحة (٣١٩/٧).

فلما قتل عمار كان كالصعقة لهم، إذ كيف يكونون فئة باغية وهم يطالبون بدم الخليفة عثمان، وقتلته أيضاً موجودون في صف علي، وقد وصفهم النبي ﷺ بالنفاق، ثم هم لم يبدؤه بالقتال[1] بل هو من قدم عليهم بأهل العراق ومعه عمار؛ فلهذه الأسباب أول معاوية الحديث بقوله هم رموه بين أسيافنا ورماحنا.

وتألم[2] عمرو بن العاص لموت عمار وبشر قاتله وسالبه بالنار

---

(١) انظر: منهاج السنة لابن تيمية (٤/٤٥٩: ٣٩١: ٣٨٣)، (٨/٥٢٣).

(٢) أما ما ورد عنه بأنه فرح لموت عمار فهي رواية باطلة منكرة، أخرجها ابن عساكر في تاريخ دمشق (٦٨/٢٨)، وابن العديم في بغية الطلب في تاريخ حلب (١٠/٤٦٧١) كلاهما من طريق: إبراهيم بن ديزيل عن يحيى بن سليمان الجعفي عن نصر بن مزاحم عن عمرو بن شمر عن جابر الجعفي قال: سمعت الشعبي رجع إلى حديثه عن الأحنف بن قيس قال: ثم حمل عمار بن ياسر عليهم فحمل عليه ابن حوي السكسكي وأبو الغادية الفزاري قال: وأما أبو الغادية فطعنه، وأما ابن حوي فاحتز رأسه، وقد كان ذو الكلاع سمع قبل عمرو بن العاص يقول: قال رسول الله ﷺ لعمار بن ياسر تقتلك الفئة الباغية، وآخر شربة تشربها ضياح لبن، فكان ذو الكلاع يقول لعمرو: ويحك ما هذا يا عمرو فيقول له عمرو: إنه سيرجع إلينا فأصيب عمار بعد ذي الكلاع مع علي، وأصيب ذو الكلاع مع معاوية قبل ذلك، فقال عمرو بن العاص لمعاوية: والله يا معاوية ما أدري بقتل أيهما أنا أشد فرحاً بقتل عمار أو ذي الكلاع، والله لو بقي ذو الكلاع حتى يقتل عمار؛ لمال بعامة أهل الشام، ولأفسد علينا جندنا... الخ

هذا سند مظلم فيه ثلاث علل:

العلة الأولى: نصر بن مزاحم المنقري متروك، تقدمت ترجمته (ص/١٢٠).

العلة الثانية: عمرو بن شمر الجعفي الكوفي أبو عبد الله.

قال يحيى: ليس بشيء، وقال الجوزجاني: زائغ كذاب، وقال ابن حبان: يروي=

ورأى أن الإثم مقصور على من قتله، ففي مسند أحمد عن أبي غادية، قال: قتل عمار بن ياسر فأخبر عمرو بن العاص، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: إن قاتله، وسالبه في النار، فقيل لعمرو: فإنك هو ذا تقاتله، قال: إنما قال: قاتله، وسالبه»(١).

وبقي الألم ملازماً له لكنه لم يتيقن من خطئه للأسباب المتقدمة، ولعل ما يدل على هذا قوله عند موته: كنت على أطباق ثلاث وذكر الحالة الأولى: وهي وقت كفره، والحالة الثانية: وهي وقت إسلامه وجهاده وحياته مع نبينا صلى الله عليه وآله وسلم، ثم ذكر المرحلة الثالثة وهي قوله: ثم وَلِينَا أشياء ما أدري ما حالي فيها؛ ومعناه ما ورد في مسند أحمد ثم تلبست بعد ذلك بالسلطان وأشياء فلا أدري علي أم لي(٢).

فهو لم يجزم بالخطأ ولكنه خاف أن يكون أخطأ في اجتهاده

= الموضوعات عن الثقات، وقال البخاري: منكر الحديث، وقال النسائي والدارقطني وغيرهما: متروك الحديث، وقال ابن أبي حاتم سألت أبي عنه فقال: منكر الحديث جداً ضعيف الحديث لا يشتغل به تركوه لم يزد على هذا شيئاً. انظر: لسان الميزان (٣٦٧/٤).

العلة الثالثة: جابر بن يزيد الجعفي كذبه جمع من العلماء، تقدمت ترجمته (ص/٢٥٥).

(١) المسند (٣١١/٢٩) من طريق عفان، قال: حدثنا حماد بن سلمة، قال: أخبرنا أبو حفص، وكلثوم بن جبر، عن أبي غادية به. كلثوم بن جبر صدوق يخطئ وهو من رجال مسلم. انظر التقريب رقم (٥٦٥٣)، وصحح هذا الإسناد الألباني في الصحيحة (١٩/٥).

(٢) تقدم (ص/٢٣٥).

وجانب الصواب، والله أعلم.

* **الوجه الرابع:** ثبت في السنة النبوية ثناء النبي صلى الله عليه وآله وسلم على الطائفتين المتقاتلتين، ووصفهما بأنهما عظيمتين، ففي صحيح البخاري من حديث أبي بكرة رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول في شأن ابنه الحسن ابن علي رضي الله عنهما: «إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ»[1].

ومن المعلوم أن معاوية رضي الله عنه كان قائد الطائفة الأخرى وعمرو رضي الله عنه كان وزيره.

وفي صحيح مسلم من حديث أبي سعيد الخدري أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «تَمْرُقُ مَارِقَةٌ فِي فُرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ فَيَلِي قَتْلَهُمْ أَوْلَى الطَّائِفَتَيْنِ بِالْحَقِّ»[2]. فوصف الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ـ الذي لا ينطق على الهوى ـ الطائفتين بأنهما عظيمتان، وأنهما من المسلمين، وأن أَوْلاهما بالحق وأقربهما الطائفة التي تقتل الخوارج، وهي طائفة أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، وهو ـ أي القتال بين الطائفتين ـ إخبار عن أمر مغيب أعلمه الله بالوحي فهو من دلائل نبوته، فكيف يقال: بأن عمرو قاتل لأجل المال أو أن معاوية قاتل من أجل الملك، وقد وصف رسول الله طائفته بأنها عظيمة وأنها على الحق، وهو زعيمهم وعمرو يعتبر الرجل الثاني بعده؟!!.

---

(١) تقدم (ص/٦٦).

(٢) تقدم (ص/٦٧).




❊ **الوجه الخامس:** كيف يسوغ لنا وصف صاحب رسول الله ﷺ بأنه وقف في صف معاوية؛ لأجل حطام الدنيا لا اجتهاداً منه؛ والقصة أصلاً لا تثبت، وقد قالت العرب: ثبت عرشك ثم انقش.

ليس من العدل أن ننسب لغير الصحابة أمراً ما بدون بينة صحيحة فكيف بالصحابي!.

أخي الكريم: لو نقل لك كلام سيئ عن شيخك أو صاحبك، وليس ثمة شهود، أو وجد شهود ولكن غير عدول هل تقبل؟

بالطبع كل عاقل سيقول لا وألف لا؛ فكيف نقبل ذلك في صحابة رسول الله ﷺ، هل هذا من العدل؟! أخي الكريم اسأل نفسك هذا السؤال ولا تسأله غيرك.

❊ ❊ ❊

۞ الشبهة الثالثة: اتقاؤه علياً رضي الله عنه بعورته أثناء المبارزة:

ومفاد ذلك: ما جاء في بعض الروايات أن عمراً قال لمعاوية: أتجبن عن علي وتتهمني في نصيحتي إليك والله لأبارزن علياً ولو مت ألف موتة في أول لقائه، فبارزه عمرو فطعنه علي فصرعه فاتقاه بعورته فانصرف عنه علي وولى بوجهه دونه.

وكان علي رضي الله عنه لم ينظر قط إلى عورة أحد حياءً وتكرماً وتنزهاً




عما لا يحل ولا يجمل بمثله كرم الله وجهه[١].

الجواب: يجاب على هذه الشبهة من سبعة أوجه.

* **الوجه الأول**: أن القصة لم ترد مسندة إلا في كتاب الإمامة والسياسة[٢] ـ المنسوب إلى ابن قتيبة ـ.

وقد أنكر عدد من المؤرخين والمحققين نسبته إلى ابن قتيبة، يقول شاكر مصطفى: أما كتاب الإمامة والسياسة... فكتاب مطبوع أكثر من مرة ويبحث في تاريخ الخلافة وشروطها منذ وفاة الرسول ﷺ حتى عهد المأمون. وقد تشكك العلماء في نسبة الكتاب إلى ابن قتيبة. وأول من أعلن ذلك وعلله هو غاينفوس المجريطي في صدر كتابه عن الأندلس سنة ١٨٨١م ثم تبعه دورزي وآخرون[٣]. وقال الدكتور عبد الحليم عويس عن الكتاب بأنه: مليء بالغرائب فيما يتعلق ببني أمية وصاحبه متحيز ضدهم وهو لا يذكر لنا مصادره، ولا سلسلة رواته، والذين درسوا حياة ابن قتيبة يشككون في نسبة الكتاب إليه؛ لأن ابن قتيبة أديب أكثر منه مؤرخاً... كما أنه كان أمينا في ترجماته التي وردت في كتابه المعارف لبعض شخصيات العصر الأموي، وهو ما يتناقض مع ما أورده ـ إذا صح نسبته إليه ـ في كتاب الإمامة، فالكتاب فضلاً عن كونه مشكوك النسبة إلى صاحبه لم يوثق رواياته[٤].

(١) وقعة صفين (٤٢٤)، ومروج الذهب (٢/٤٠٥)، والغدير للأميني (١/٦٦).
(٢) الإمامة والسياسة (١/٨٩).
(٣) التاريخ العربي والمؤرخون (١/٢٤٦).
(٤) بنو أمية في التاريخ (١٤).

والذي دفع العلماء إلى إنكار نسبة الكتاب إلى ابن قتيبة؛ الأدلةُ القاطعة والبراهينُ الساطعة الدالة على بطلان نسبة الكتاب إليه، يشهد بصدقها من له أدنى مسكة من فهم للتاريخ وإليك بعضها:

١ ـ أن الذين ترجموا لابن قتيبة لم يذكروا هذا الكتاب ضمن كتبه.

٢ ـ أن الكتاب يذكر أن مؤلفه كان بدمشق، وابن قتيبة لم يخرج من بغداد إلا إلى دينور.

٣ ـ أن الكتاب يروى عن أبي ليلى، وأبو ليلى كان قاضياً بالكوفة سنة (١٤٨هـ) أي قبل مولد ابن قتيبة بخمس وستين سنة.

٤ ـ أن المؤلف نقل خبر فتح الأندلس عن امرأة شهدته، وفتح الأندلس كان قبل مولد ابن قتيبة بنحو مائة وعشرين سنة[١].

٥ ـ أن مؤلف الكتاب يذكر فتح موسى بن نصير لمراكش، مع أن هذه المدينة شيدها يوسف بن تاشفين سلطان المرابطين سنة (٤٥٥هـ) وابن قتيبة توفي سنة (٢٧٦هـ).

٦ ـ أن مؤلف الإمامة والسياسة يروي كثيراً عن اثنين من كبار علماء مصر وابن قتيبة لم يدخل مصر ولا أخذ عن هذين العالِمَين، فدل ذلك كله على أن الكتاب مدسوس عليه[٢].

---

(١) ذكرها ثروت عكاشة في مقدمة كتاب المعارف لابن قتيبة (ص/٥٦).

(٢) محب الدين الخطيب في تحقيقه كتاب العواصم (٢٦٢).




٧ ـ أن في الكتاب جهل تاريخي لا يمكن أن يفوت ابن قتيبة، كاعتباره: أبا العباس والسفاح شخصيتين، وجعله الرشيد خلفاً للمهدي، وذِكره أن ابنه عبد الله دس له السم، وليس للمهدي ابن بهذا الاسم.

٨ ـ أن شيوخ ابن قتيبة الذين يردون عادة في كتبه لا ذكر لهم أبدا في هذا الكتاب.

٩ ـ أن المؤلف مالكي الهوى والمذهب، وابن قتيبة حنفي.

١٠ ـ أن أسلوب الكتاب مغاير لمألوف أسلوب ابن قتيبة، فيه عناية بالقصص والرواية[١].

قال أحمد صقر: وقد نسب إلى ابن قتيبة كتاب مشهور شهرة بطلان نسبته إليه كتاب الإمامة والسياسة، وهل يسيغ هذه النسبة عقل؟ مع عرفانه بأن مؤلف الإمامة والسياسة.. ثم قال بعد أن ساق الدليلين الرابع والخامس المتقدمين: إن هذا وحده يدفع نسبة الكتاب إلى ابن قتيبة، فضلاً عن قرائن وأدلة أخرى كلها يثبت تزوير هذه النسبة[٢].

وبعد هذه الدراسة نعلم علم اليقين أن كتاب الإمامة والسياسة لا يصح نسبته إلى ابن قتيبة للأدلة الآنفة الذكر، وهي واضحة في بطلان نسبة الكتاب إليه وضوح الشمس في رابعة النهار.

---

(١) التاريخ العربي والمؤرخون (٢٤١).

(٢) مقدمة تحقيقه لـ (تأويل مشكل القرآن) (ص/٣٢)، وللاستزادة في أدلة بطلان نسبة الكتاب لابن قتيبة انظر: أولئك مبرؤون: طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه.

❊ **الوجه الثاني**: لو سلمنا بصحة نسبة الكتاب إليه فإسناد القصة غير صحيح.

قال عبد الله بن مسلم: حدثنا ابن أبي مريم وابن عفير قالا: حدثنا ابن عون قال: أخبرنا الخول بن إبراهيم وأبو حمزة الثمالي وبعضهم يزيد على بعض والمعنى واحد فجمعته وألفته على قولهم ومعنى ما أرادوا عن علي بن الحسين قال: لما أنكر الناس على عثمان بن عفان صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه...

ابن عون: هو عمر بن عون بن عمرو بن تميم الأنصاري أبو عون.

قال ابن أبي حاتم: روى عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي عمرة الأنصاري روى عنه سعيد بن كثير بن عفير المصري نا عبد الرحمن قال سألت أبى عنه فقال مجهول[١].

والخول بن إبراهيم لم أجد له ترجمة.

وأبو حمزة الثمالي: ثابت بن أبي صفية الثمالي بضم المثلثة أبو حمزة واسم أبيه دينار وقيل سعيد كوفي ضعيف مات في خلافة أبي جعفر قاله الحافظ[٢].

علي بن الحسين هو: علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب

(١) الجرح والتعديل (٦/٢٥٢).

(٢) التقريب رقم (٨١٨).




الهاشمي زين العابدين ثقة ثبت عابد فقيه فاضل مشهور[1] لم يدرك عثمان رضي الله عنه بل قال أبو زرعة لم يدرك جده علياً رضي الله عنه[2] فالأثر منقطع مع ضعف بعض رواته.

❁ **الوجه الثالث**: أن في متن القصة نكارة إذ أن هذا الفعل لا يتوافق مع صفات الصحابة الأجلاء بل لا يليق حتى بالفضلاء ممن هو دون الصحابة، ويتنزه عنه كل كريم.

❁ **الوجه الرابع**: مما يدل على عدم ثبوت القصة أنها تنافي الثابت والوارد والمعروف تاريخياً عن شخصية عمرو، فعمرو وما أدراك ما عمرو، موصوف بالشجاعة في الجاهلية والإسلام فقد كان في الجاهلية ضمن من خرج يوم أحد بزوجته التماس الحفيظة وأن لا يفروا.

وفي يوم الأحزاب كانت خيل المشركين تطيف بالخندق وتطلب غرة ومضيقاً من الخندق فتقتحم فيه وكان عمرو بن العاص وخالد بن الوليد هما اللذان يفعلان ذلك يطلبان الغفلة من المسلمين. وقد أقام هو وخالد مع أبي سفيان في مائتي فارس بعد أن سار جميع العسكر حماية لهم حتى لا يطلبهم جيش المسلمين.

❁ **أما في الإسلام فله مواقف كثيرة تدل على شجاعته:**

١ ـ فقد ولاه صلى الله عليه وآله وسلم على سرية نحو الشام فيهم السابقون الأولون

(١) التقريب رقم (٤٧١٥).

(٢) جامع التحصيل للعلائي (١/٢٤٠).

من المهاجرين والأنصار منهم أبو بكر وعمر ﵄ فأحسن تدبيرها.

٢ ـ تكذيبه لمسيلمة عياناً بعد موت النبي ﷺ عند رجوعه من عمان قائلاً: (أما والله إنك لكاذب وإنا لنعلم أنك لمن الكاذبين).

٣ ـ وهو أحد القادة الأمراء في فتوحات الشام... وعندما رغب أبوبكر في ذهاب عمرو إلى فتح الشام خيره بين البقاء على ولايته في عمان وذهابه للشام: فكتب إليه عمرو: إني سهم من سهام الإسلام، وأنت بعد الله الرامي بها والجامع لها، فانظر أشدها وأخشاها وأفضلها فارم به.

٤ ـ لما كان يوم اليرموك رأى عمرو بن العاص صاحب الراية ينكشف بها أخذها ثم جعل يتقدم وهو يصيح إلي يا معاشر المسلمين فجعل يطعن بها قدما وهو يقول: اصنعوا كما أصنع حتى إنه ليرفعها وكأن عليها ألسنة المطر من العلق.

٥ ـ وهو الذي دخل على الأرطبون بنفسه كأنه رسول فأبلغه ما يريد وسمع كلامه وتأمل حضرته حتى عرف ما أراد إلى غير ذلك من المواقف البطولية[١] التي تدحض هذا الزعم. فما نسب لعمرو ﵁ يتنافى مع شخصيته، بل هذا يتنافى مع صفات العرب حتى في الجاهلية، فلسان حالهم يقول إما عيشة كريمة أو موتة كريمة فلا يرضون المهانة والمسبة، وتاريخهم شاهد على ذلك.

---

(١) انظر: الفصل الأول (ص/١١٩).




* **الوجه الخامس**: القصة لو صحت فهي تعود بالملامة على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه؛ لتفويته قتل عمرو رضي الله عنه وهو المحرك الثاني للفتنة ـ في رأي الخصوم ـ لمجرد إظهار عورته؛ لأن تفويت هذه الفرصة من علي رضي الله عنه تدل على عدم أهليته العسكرية والسياسية وحاشاه.

* **الوجه السادس**: من أمارات الوضع أنه يرد عند أكثر من حادثة مبارزة لعلي رضي الله عنه وكل من المغلوبين فيها كشفوا استهم وعورتهم وكأنه أمر مدبر.

ـ قال ابن هشام: وحدثني مسلمة بن علقمة المازني، قال: لما اشتد القتال يوم أحد جلس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تحت راية الأنصار وأرسل إلى عليٍّ أن قدم الراية، فقدم علي وهو يقول: أنا أبو القصم فناداه أبو سعد بن أبي طلحة، وهو صاحب لواء المشركين.

هل لك يا أبا القصم في البراز من حاجة؟ قال: نعم فبرزا بين الصفين فاختلفا ضربتين فضربه علي فصرعه، ثم انصرف ولم يجهز عليه. فقال له بعض أصحابه: أفلا أجهزت عليه؟ فقال: إنه استقبلني بعورته، فعطفتني عليه الرحم وعرفت أن الله قد قتله. وقد فعل ذلك.

ـ علي رضي الله عنه يوم صفين مع بسر بن أبي أرطاة لما حمل؛ عليه ليقتله أبدى له عورته فرجع عنه.

ـ وكذلك فعل عمرو بن العاص حين حمل عليه علي في بعض




أيام صفين أبدى عن عورته فرجع علي أيضاً[1].

مسلمة بن علقمة المازني أبو محمد البصري صدوق له أوهام من الثامنة. بمعنى أنه في الطبقة الوسطى من أتباع التابعين فأين هو من غزوة أحد؟! بل بينه وبينها بعد المشرقين، فالسند مقطوع.

❊ **الوجه السابع**: لو كان كشف العورة يدرأ القتل؛ لاستعمله كل أحد مع علي رضي الله عنه ولشاع عنه وانتشر ولما حصل له مقصود من قتال وهو قدح في سياسة علي الشرعية وتدابيره الحربية.

فلا يخفى عليك أخي الكريم بعد سرد هذه الأدلة أنه لا يجوز نسبة هذا الأمر إلى الصحابي الجليل عمرو بن العاص؛ لما تبين لك من أدلة بطلانه.

ومما أنوه بذكره هنا: أن من الأخطاء الشائعة التي قد لا يُتنبه لها عدَّ هذا الفعل من دهاء عمرو والتحدث به في المجالس، مع أن القصة أصلاً باطلة من عدة وجوه ظلمات بعضها فوق بعض.

❊ ❊ ❊

(١) البداية لابن كثير (٣٦٨/٥)، وانظر: السيرة النبوية لابن هشام (٧٣/٢).




❁ الشبهة الرابعة: قتله وتحريقه لمحمد بن أبي بكر رضي الله عنهما.

وذلك لما بلغ عائشة قتل محمد بن أبي بكر جزعت عليه جزعاً شديداً وجعلت تقنت وتدعو في دبر الصلاة على معاوية وعمرو بن العاص[(١)].

الجواب: يجاب على هذه الشبهة من وجهين:

❊ **الوجه الأول من جهة السند**: هذا الأثر أخرجه الطبري[(٢)] معلقاً:

قال أبو مخنف فحدثني محمد بن يوسف بن ثابت الأنصاري عن شيخ من أهل المدينة قال: كتب محمد بن أبي بكر إلى معاوية بن أبي سفيان جواب كتابه:

أما بعد فقد أتاني كتابك تذكرني من أمر عثمان أمراً لا أعتذر إليك منه، وتأمرني بالتنحي عنك كأنك لي ناصح، وتخوفني المثلة كأنك شفيق، وأنا أرجو أن تكون لي الدائرة عليكم فأجتاحكم في الوقعة،.. وخرج محمد في ألفي رجل، واستقبل عمرو بن العاص كنانة وهو على مقدمة محمد، فأقبل عمرو نحو كنانة، فلما دنا من كنانة سرح الكتائب كتيبة بعد كتيبة، فجعل كنانة لا تأتيه كتيبة من كتائب أهل الشام إلا شد عليها بمن معه فيضربها حتى يقربها لعمرو بن العاص، ففعل ذلك مراراً فلما رأى ذلك عمرو؛ بعث إلى معاوية بن حديج

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (٧٢/٦)، والغدير للأميني (١٣٣/٢).
(٢) تاريخه (١٣١/٣).

السكوني فأتاه في مثل الدهم فأحاط بكنانة وأصحابه، واجتمع أهل الشأم عليهم من كل جانب، فلما رأى ذلك كنانة بن بشر؛ نزل عن فرسه ونزل أصحابه وكنانة يقول: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ﴾(١)، فضاربهم بسيفه حتى استشهد رحمه الله.

وأقبل عمرو بن العاص نحو محمد بن أبي بكر وقد تفرق عنه أصحابه؛ لما بلغهم قتل كنانة حتى بقي وما معه أحد من أصحابه، فلما رأى ذلك محمد خرج يمشي في الطريق حتى انتهى إلى خربة في ناحية الطريق فأوى إليها، وجاء عمرو بن العاص حتى دخل الفسطاط، وخرج معاوية بن حديج في طلب محمد حتى انتهى إلى علوج في قارعة الطريق فسألهم هل مر بكم أحد تنكرونه؟ فقال أحدهم: لا والله إلا أني دخلت تلك الخربة فإذا أنا رجل فيها جالس. فقال ابن حديج هو هو ورب الكعبة، فانطلقوا يركضون حتى دخلوا عليه فاستخرجوه وقد كاد يموت عطشاً، فأقبلوا به نحو فسطاط مصر، قال: ووثب أخوه عبد الرحمن بن أبي بكر إلى عمرو بن العاص وكان في جنده فقال: أتقتل أخي صبراً؟ ابعث إلى معاوية بن حديج فانهه فبعث إليه عمرو بن العاص يأمره أن يأتيه بمحمد بن أبي بكر، فقال معاوية: أكذاك قتلتم كنانة بن بشر وأخلي أنا عن محمد بن أبي بكر هيهات

(١) سورة آل عمران الآية (١٤٥).

أكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة في الزبر، فقال لهم محمد: اسقوني من الماء؟ قال له معاوية بن حديج: لا سقاه الله إن سقاك قطرة أبداً إنكم منعتم عثمان أن يشرب الماء حتى قتلتموه صائماً محرماً فتلقاه الله بالرحيق المختوم، والله لأقتلنك يا ابن أبي بكر. ثم إن محمد بن أبي بكر نال من معاوية بن حديج هذا ومن عمرو بن العاص ومن معاوية ومن عثمان بن عفان أيضاً، فعند ذلك غضب معاوية بن حديج فقدمه فقتله ثم جعله في جيفة حمار فأحرقه بالنار، فلما بلغ ذلك عائشة جزعت عليه جزعاً شديداً وضمت عياله إليها، وكان فيهم ابنه القاسم، وجعلت تدعو على معاوية وعمرو بن العاص دبر الصلوات.

وذكر الواقدي أنه: لما قتل كنانة بن بشر بن عتاب التجيبي، فهرب عند ذلك محمد بن أبي بكر فاختبأ عند رجل يقال له جبلة بن مسروق، فدل عليه فجاء معاوية بن حديج وأصحابه فأحاطوا به فخرج إليهم محمد بن أبي بكر فقاتل حتى قتل[1].

هذه القصة ضعيفة جداً؛ لأن في إسنادها: لوط بن يحيى، قال الذهبي: أبو مخنف أخباري تالف لا يوثق به[2].

ومحمد بن يوسف بن ثابت بن قيس بن شماس مذكور في كتب التراجم بيوسف بن محمد ـ قال أبوداود في سننه عند حديث «اكْشِفِ

(١) البداية والنهاية لابن كثير (١٠/٦٦١).

(٢) تقدم (ص/٦٨).




الْبَاسَ رَبَّ النَّاسِ»: وهو الصواب[1] ـ، أورده ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل[2] ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً، وقال الذهبي الميزان: لا يعرف حاله، روى عنه عمرو بن يحيى بن عمارة[3].

قال ابن حجر: يوسف بن محمد بن ثابت بن قيس بن شماس... مقبول «يعني حيث يتابع، وإلا فلين الحديث» كما نص عليه في المقدمة، من السابعة قيل فيه: محمد بن يوسف[4].

وفي الإسناد الراوي عن محمد بن أبي بكر شيخ من أهل المدينة وهذا مبهم، والمبهم من قسم الضعيف؛ لأنه لا يعرف من هو فضلاً عن حاله، فإسناد القصة ضعيف جداً لا يقوى على إمكانية الاستدلال به.

❊ **الوجه الآخر**: لو سلمنا أن الأثر ثابت ففيه:

ـ أن معاوية بن حديج قتله بعثمان، ومحمد بن أبي بكر من الذين دخلوا الدار على عثمان، إلا أنه لم يقتله **قال ابن كثير**: والصحيح أن الذي فعل ذلك غيره، وأنه استحيى ورجع حين قال له عثمان: لقد أخذت بلحية كان أبوك يكرمها. فتذمم من ذلك وغطى وجهه ورجع وحاجز دونه فلم يفد وكان أمر الله قدراً مقدوراً، وكان ذلك في الكتاب مسطوراً[5].

(١) (١١) رقم (٣٨٨٧).

(٢) (٩/٢٢٢).

(٣) (٤/٤٧٢).

(٤) التقريب رقم (٧٨٧٩).

(٥) البداية لابن كثير (١٠/٣٠٨)، وأخرج الأثر مسنداً ابن أبي شيبة في المصنف=

ـ ودعاء عائشة رضي الله عنها على معاوية وعمرو بن العاص رضي الله عنهما ؛ لقتل أخيها ـ على فرض صحته ـ أمر جبلي وطبيعي ؛ لأن ما من شخص إلا ويحزن على قتل أخيه أو قريبه ويدعو على من قتله أو كان سبباً في ذلك. مع أن الذي قتل محمد بن أبي بكر على الصحيح هو معاوية بن حديج ؛ لما في صحيح مسلم[(١)] عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ شُمَاسَةَ قَالَ: أَتَيْتُ عَائِشَةَ أَسْأَلُهَا عَنْ شَيءٍ، فَقَالَتْ: مِمَّنْ أَنْتَ؟ فَقُلْتُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ. فَقَالَتْ: كَيْفَ كَانَ صَاحِبُكُمْ لَكُمْ فِي غَزَاتِكُمْ هَذِهِ؟ فَقَالَ: مَا نَقَمْنَا مِنْهُ شَيْئًا إِنْ كَانَ لَيَمُوتُ لِلرَّجُلِ مِنَّا الْبَعِيرُ فَيُعْطِيهِ الْبَعِيرَ، وَالْعَبْدُ فَيُعْطِيهِ الْعَبْدَ، وَيَحْتَاجُ إِلَى النَّفَقَةِ فَيُعْطِيهِ النَّفَقَةَ، فَقَالَتْ: أَمَا إِنَّهُ لاَ يَمْنَعُنِي الَّذِي فَعَلَ فِي مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ أَخِي أَنْ أُخْبِرَكَ مَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يَقُولُ فِي بَيْتِي هَذَا: «اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ فَاشْقُقْ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ فَارْفُقْ بِهِ». وجاء مصرحاً باسمه في مسند أبي عوانة[(٢)]

ـ وعند البيهقي[(٣)]: «كيف وجدتم ابن حديج في غزاتكم هذه».

ـ وعمرو بن العاص في هذا الخبر ـ على افتراض صحته ـ أراد

= (٢١٩/١٥)، وخليفة في تاريخه (٣٩/١)، وابن حنبل في الفضائل (٤٧٢/١)، وابن شبه في تاريخ المدينة (١٢٨٥/٤)، والطبري في تاريخه (٣٨٤/١).

(١) صحيح مسلم: كتاب الإمارة، باب: فضيلة الإمام العادل، وعقوبة الجائر، والحث على الرفق بالرعية، والنهي عن إدخال المشقة عليهم (٢) رقم (١٨٢٨).

(٢) (٣٨١/٤).

(٣) السنن (٤٣/٩).

أن يحقن دم محمد فلا لوم عليه.

ـ ثم إن معاوية رضي الله عنه كان متأولاً في قتال علي رضي الله عنه ومن كان في صفه، ويرى أنه على الحق وأنه ولي دم عثمان رضي الله عنه، ومحمد بن أبي بكر ممن اقتحم دار عثمان رضي الله عنه فهو متهم بقتل عثمان في نظر معاوية رضي الله عنه وأصحابه.

ـ وعائشة مثلاً ترى أن محمداً قتل ظلماً من أصحاب معاوية. وعائشة أم المؤمنين رضي الله عنها صحابية فما الذي سنجنيه من معرفة أن هذا الصحابي دعا على هذا الصحابي، خلاف مضى، فلماذا نقحم أنفسنا فيه ؟!.

ـ ثم إنهم سيختصمون عند الله يوم القيامة قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾[1].

ـ وليس هذا أول خلاف بين الصحابة، فهم بشر غير معصومين.

ـ وما علينا حسابهم؛ بل كلهم صائرون إلى الله قال تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾[2].

ـ والذي يجب علينا أن نقدرهم، ونجلهم فالخطأ منهم وارد، ولكن لا نقبله ولا نتنقصهم؛ لمكانتهم عند الله، فقد اصطفاهم الله لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم وأثنى عليهم بقوله: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى

(١) سورة الزمر من الآية (٣١).

(٢) سورة الغاشية الآية (٢٦).



ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾[1] وأثنى عليهم ﷺ وأخبر أنهم خير القرون، ونهى عن سبهم وتنقصهم[2].

** ** **

(١) سورة الفتح الآية (٢٩).

(٢) للمزيد ارجع لتمهيد الرسالة غير مأمور.

المَبْحَثُ الخَامِسُ

شبهات حول فتحه لمصر وحكمه لها
وعلاقته بأهلها عموماً والأقباط خصوصاً

۞ الشبهة الأولى: الاستيلاء على أموال الأقباط وإهانتهم.

۞ الشبهة الثانية: كتابته لأمير المؤمنين عمر رضي الله عنه يصف أهل مصر بأوصاف غير لائقة.

۞ الشبهة الثالثة: أن عمرو بن العاص أحرق مكتبة الإسكندرية.

۞ الشبهة الرابعة: تركه تحطيم (أبو الهول) والأهرام.




شبهات حول فتحه لمصر وحكمه لها وعلاقته بأهلها عموماً والأقباط خصوصاً

❊ توطئة:

قبل الشروع في المبحث الخامس، أذكر محورين مهمين تمهيداً لبعض الشبهات وهي على النحو الآتي:

۞ المحور الأول: لمحة سريعة عن الأقباط من حيث أصلهم، ومسكنهم، وديانتهم:

❊ أصلهم، ومسكنهم:

ذكر الأستاذ إبراهيم بن وصيف شاه الكاتب، أنّ القبط تنسب إلى قبطيم ابن مصرايم بن مصر بن حام بن نوح، وأن قبطيم أوّل من عمل العجائب بمصر وأثار بها المعادن وشق الأنهار لما ولي أرض مصر بعد أبيه مصرايم، وأنه لحق ببلبلة الألسن، وخرج منها وهو يعرف اللغة القبطية،... وقيل: بل قفط بن حام بن نوح نكح بخت بنت يتاويل بن ترسل بن يافث بن نوح، فولدت له بوقير، وقبط أبا قبط مصر... وقيل القبط من ولد قبط بن مصر بن قفط بن حام ابن نوح، وبمصر هذا سميت مصر[1].

(١) المواعظ (٢٥٧/٣)، وقد اختلف أَهل العلم في المعنى الذي لأَجله سُمِّيَت هذه=



فتبين لك أخي الكريم: أن سكان مصر الأصليين هم الأقباط، وهناك سكان آخرون كالعرب وبني إسرائيل، واليونان، والرومان، منهم بقايا الغزاة، ومنهم من سكن للتجارة أو لصلاحية أرضها أو لأمر آخر.

*** ديانتهم:**

بعد أن نجّا الله نوحاً ومن كان معه في السفينة، قسم أولاده على الأمصار، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ﴾[1]. ثم مات نوح، واستمر أولاده على الدين الحق.

ثم رجع الشيطان إلى إضلالهم ودعاهم إلى عبادة الأصنام كما أضل آبائهم من قبل واستمرت مصر على عبادة الأصنام[2].

ومع فشو الشرك وانتشاره، ووجود الانحراف في عقائد الناس إلا

= الأرض بمصر، على عدة أقوال منها:
١ - أنها علم منقولٌ عن اسم رجل واختلف في تحديده، وأكثر المؤرخين على أنها سميت بمصر بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام.
٢ ـ أنها سمّيت مصر لأنها الحد ما بين المشرق والمغرب.
٣ ـ أنها مشتقة من مصرت الشاة إذا أخذت من ضرعها اللبن فسميت: مصر لكثرة ما فيها من الخير مما ليس في غيرها فلا يخلو ساكنها من خير يدرّ عليه منها كالشاة التي ينتفع بلبنها، وصوفها، وولادتها.
٤ ـ قال ابن الأعرابيّ: المصر الوعاء، ويقال للمعا المصير، وجمعه مصران ومصارين، وكذلك هي خزائن الأرض. انظر: المواعظ والاعتبار (١/٢٦ ـ ٢٧)، والفتاوى الحديثية لابن حجر الهيتمي (١٣١)، وتاج العروس للزبيدي (١٤/١٢٦).

(١) سورة الصافات الآية (٧٧).

(٢) المواعظ والاعتبار (٤/٣٨٩).



أنه وجد في مصر آنذاك ممن هو على دين الإسلام يكتم إيمانه تأثراً بمن وجد في مصر من الأنبياء كيوسف وأبيه يعقوب وموسى عليهم السلام ويظهر هذا جلياً فيما حكاه الله لنا عن الرجل الصالح مؤمن آل فرعون عندما نصح قومه وحذرهم بأس الله في الدنيا والآخرة ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ ...﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَـٰتِ﴾[1]. ولكن الأغلبية الغالبة كانوا على الشرك وظلوا على ذلك حتى انتشرت النصرانية في مصر وأصبحت الدين الرسمي للدولة[2].

فصار دين الأقباط هو النصرانية حتى بعث الله نبينا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم وجعله خاتم الأنبياء والمرسلين وأرسله للناس كافة، وجعل دينه ناسخاً لجميع الأديان، فدعا جميع الملل إلى الإسلام، فمنهم من استجاب ومنم من امتنع ومنهم من رد رداً حسناً كما هو حال المقوقس عظيم القبط وأهدى له مارية القبطية. فبشر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أصحابه قبل موته بأنهم سيفتحون مصر وأوصاهم بهم خيراً، ثم شاء الله أن تفتح في عهد الخلفية الراشد عمر ابن الخطاب رضي الله عنه على يد الصحابي الجليل عمرو ابن العاص رضي الله عنه ـ بمشورة منه ـ فأصبحت مصر بنعمة الله دولة إسلامية. فالفضل أولاً لله ثم لعمرو بن العاص لما من الله عليه من قوة اليقين به، ولما آتاه من شجاعة وحنكة ودهاء.

---

(١) سورة غافر الآيات (٢٨ ـ ٣٤).

(٢) تاريخ بن خلدون (٢/٨٩).

۞ المحور الثاني: أسباب الفتح الإسلامي لمصر:

فتح المسلمون مصر في عهد الخليفة عمر بن الخطاب بمشورة من عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ لأسباب عديدة منها:

* **أولاً**: أداء واجب البلاغ والدعوة إلى الله امتثالاً لأمر الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾[(١)].

ثانياً: إقامة دين الإسلام نظاماً حياتياً شاملاً علي أرض الله كلها ومنها مصر. يقول الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[(٢)]، ويقول سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[(٣)].

لقد آمن المسلمون أن لهم مهمة هي امتداد لمهمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم التي عبر عنها ربعي بن عامر رضي الله عنه بين يدي القائد الفارسي رستم: أن الله ابتعثنا لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله الواحد القهار، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ـ وهي نفس الكلمات التي رددها عبادة بن الصامت بين يدي المقوقس عظيم القبط.

ثالثاً: بالإضافة إلى ما سبق فإن مطاردة قوات الاحتلال الروماني

---

(١) سورة المائدة الآية (٦٧).

(٢) سورة التوبة الآية (٣٣).

(٣) سورة الأنبياء الآية (٣٣).



بأرض مصر والشمال الأفريقي ضروري؛ حتى لا يتمكن العدو من حصار بلاد الشام وجزيرة العرب من الجنوب والغرب، بل وأيضاً حرمان العدو من الانطلاق من ثغور مصر والإسكندرية وطرابلس الغرب لمهاجمة ثغور بلاد الشام الإسلامية، ولتكون مصر أيضاً قاعدة آمنة لفتح الأندلس وما وراءها.

رابعاً: تحقيق بشارة النبي محمد ﷺ: «إِنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ مِصْرَ وَهِيَ أَرْضٌ يُسَمَّى فِيهَا الْقِيرَاطُ، فَإِذَا فَتَحْتُمُوهَا فَأَحْسِنُوا إِلَى أَهْلِهَا، فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِمًا»[1][2].

❊ ❊ ❊

۞ الشبهة الأولى: الاستيلاء على أموال الأقباط وإهانتهم.

وذلك لما ذكره حنا أسقف نقيوس ـ يوحنا النقيوسي ـ في كتابه تاريخ العالم[3] الفصل (١١٣): بأن عمرو بن العاص «... قبض على القضاة الرومان وقيّد أيديهم وأرجلهم بالسلاسل، والأوتاد الخشبية، ونهب أموالاً كثيرة، وقام بمضاعفه الضرائب علي الفلاحين وأجبرهم علي إحضار العلف لخيوله وبالإجمال مارس كل أعمال العنف».

وفي الفصل (١٢١) يقول يوحنا النقيوسي: «وأنا لعاجز عن أن

(١) أخرجه مسلم (٤) رقم (٢٥٤٣) بنحوه.
(٢) فتح مصر، د. جمال عبدالهادي (ص/٢٩) باختصار يسير.
(٣) (ص/٢٠٩).

أصف مدى الحزن والأنين الذي أصاب المدينة بعد ذلك، فقد بلغ الضيق بالسكان إلى درجة سلموا أبناءهم في مقابل المبالغ الضخمة التي كان عليهم دفعها شهرياً»[1].

وكذلك ما ذكره ابن عبد الحكم في كتابه فتوح مصر[2]: «إن عمرو بن العاص لما فتح مصر قال لقبط مصر: من كتمني كنزاً عنده فقدرت عليه قتلته. وسمع عمرو أن أحد أهالي الصعيد اسمه بطرس كان عنده كنز، فلما سأله أنكر ولما تبين لعمرو صحة ما سمع أمر بقتله، فبدأ القبط بإخراج (إظهار) ثرواتهم؛ خوفاً من القتل».

وفي نفس الكتاب يقول ابن عبد الحكم: «إن بعض الأقباط ذهبوا لعمرو بن العاص طالبين أن يخبرنا ما على أحدنا من الجزية فيصير لها، فأجاب عمرو: لو أعطيتني من الأرض إلى السقف ما أخبرتك ما عليك. إنما أنتم خزانة لنا إن كُثّر علينا كثّرنا عليكم وإن خُفف علينا خففنا عليكم»[3].

الجواب:

يجاب على هذه الشبهة من ستة أوجه:

* **الوجه الأول:** ما أوردوه عن عمرو بن العاص في ظلم الأقباط وإهانتهم واستيلائه على أموالهم، وأنه بلغ بهم الضيق إلى درجة أنهم

---

(١) (٢٣٣ ـ ٢٣٤).

(٢) (ص ٨٧).

(٣) (ص/١٥٣).




سلموا أبناءهم في مقابل المبالغ الضخمة التي كان عليهم دفعها شهرياً، كل ذلك مجرد أقاصيص وحكايات لا أسانيد لها.

* **الوجه الثاني**: من تعاليم الدين الإسلامي(١) أن يُخيِّر المسلمون الكفار قبل الحرب بإحدى ثلاث خصال:

ـ الخصلة الأولى: الإسلام:

وهو أول ما يرجى من الكفار ليخرجوا من الظلمات إلى النور، وهو الذي لأجله أرسل الأنبياء، فإن أسلموا قبل منهم وأصبحوا من رعايا الدولة الإسلامية ويطالبون بتطبيق أحكام الإسلام.

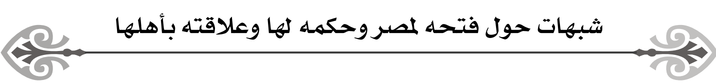
فإن أبوا الدخول في الإسلام ندعوهم إلى الخصلة الثانية وهي دفع الجزية.

فإن امتنعوا عن دفع الجزية ندعوهم إلى **الخصلة الثالثة وهي الحرب.**

فيستعان بالله في قتالهم ويطلب منه النصر، فإذا حقق الله لهم

---

(١) كما في حديث بُريدة بن الحُصَيب ﵁، قال: كان النبي ﷺ: إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللَّهِ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا ثُمَّ قَالَ: «اغْزُوا بِاسْمِ اللهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللهِ، اغْزُوا وَلاَ تَغُلُّوا وَلاَ تَغْدِرُوا وَلَا تَمْثُلُوا وَلاَ تَقْتُلُوا وَلِيدًا، وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلاَثِ خِصَالٍ ـ أَوْ خِلاَلٍ ـ فَأَيَّتُهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ... الحديث أخرجه مسلم كتاب: الجهاد والسير، باب: تأمير الإمام الأمراء على البعوث، ووصيته إياهم بآداب الغزو وغيرها (٣) رقم (١٧٣١).



النصر فإنهم يأخذون جميع أموالهم وأسلحتهم غنيمة وأما الأسرى فيخير فيهم الإمام؛ نظراً للمصلحة. ودليل التخيير قوله تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا...﴾[1]، وكذلك ما ورد عن النبي ﷺ في تعامله مع أُسارى الكفار، وكذا تعامل الخلفاء الراشدين من بعده.

وهل أرض مصر فتحت عنوة أم صلحاً أم بعضها عنوة وبعضها صلحاً؟ في المسألة عدة أقوال للسلف[2] رحمهم الله، وشيخ الإسلام ابن تيمية يجمع بين الأقوال ويقول: فتحت أولاً صلحاً، ثم نقض أهلها العهد فبعث عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنهما يستمده فأمده بجيش كثير فيهم الزبير بن العوام ففتحها المسلمون الفتح الثاني عنوة.

ولهذا روي من وجوه كثيرة: أن الزبير سأل عمر بن الخطاب رضي الله عنهما أن يقسمها بين الجيش كما سأله بلال قسم الشام، فشاور الصحابة في ذلك فأشار عليه كبراؤهم كعلي بن أبي طالب ومعاذ بن جبل أن يحبسها فيئاً للمسلمين ينتفع بفائدتها أول المسلمين وآخرهم، ثم وافق عمر على ذلك بعض من كان خالفه ومات بعضهم فاستقر الأمر على ذلك[3].

وعلى كل حال لو قلنا فتحت عنوة فهي غنيمة للمسلمين إلا أن

---

(١) سورة محمد الآية (٤).

(٢) انظر: فتوح مصر لابن عبد الحكم (ص/٩٧ ـ ١٠٤).

(٣) أحكام أهل الذمة (١١٨٧/٣ ـ ١١٨٨).




عمر منع قسمتها، ورأى أن يحبسها فيئاً للمسلمين ينتفع بفائدتها أول المسلمين، ولو قلنا صلحاً فمعلوم أنه لم يكن ابتداءً فإنهم مانعوا وقاتلوا في أول الأمر بدليل ما ورد في الآثار، وأن صاحب الإسكندرية رضي بدفع الجزية بعد أن تفرق السبايا في مكة واليمن فتمت المصالحة على رد السبايا الموجودة في أيديهم في مصر وما أخذ من قبل أن يتم الصلح كان من باب الغنيمة التي أباحها الشرع.

وأما بعد أن تم الصلح فإن المسلمين وفوا لهم وأحسنوا معاملتهم وقد شهد بذلك النصارى أنفسهم كما سيأتي في الوجه التاسع.

ولو قلنا بعضها عنوة وبعضها صلحاً، فيكون الحدث في المدن التي فتحت عنوة أو التي فتحت صلحاً قبل أن يتم الصلح، وحوز المسلمين لهذه الغنائم؛ أخذاً بتعاليم الإسلام، وليس ظلماً لهم ولكن جراء كفرهم بالله، وأما حادثة قتل عمرو من كتمه الكنز فهي شبيهة بقتل النبي ﷺ ابن أبي الحقيق عندما أخفى مسك حيي بن أخطب، وذلك حينما قاتل أهل خيبر فغلب على النخل والأرض وألجأهم إلى قصرهم فصالحوه على أن لرسول الله ﷺ الصفراء والبيضاء والحلْقة[1]، ولهم ما حملت ركابهم على أن لا يكتموا ولا يغيبوا شيئاً، فإن فعلوا فلا ذمة لهم ولا عهد، فغيبوا مسكاً لحيي بن أخطب، وقد كان قتل قبل خيبر

(١) الصفراء الذهب، والبيضاء الفضة، والحلقة السلاح عاماً، وقيل: هي الدروع خاصة. انظر: غريب الحديث للخطابي (٥٦٣/١)، النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٤٢٧/١).

كان احتمله معه يوم بني النضير حين أجليت النضير، فيه حليهم، قال فقال النبي ﷺ لسعية «أَيْنَ مَسْكُ حُيَيِّ بْنِ أَخْطَبَ». قال: أذهبته الحروب والنفقات. فوجدوا المسك فقتل ابن أبي الحقيق وسبي نساءهم وذراريهم وأراد أن يجليهم، فقالوا يا محمد دعنا نعمل في هذه الأرض ولنا الشطر ما بدا لك ولكم الشطر[(١)].

وأما ما ذكر من إجبارهم بإحضار العلف لخيولهم، فهذا يدخل في الصلح فللإمام أن يصالحهم بما يراه، وفي بعض عقود الصلح التي حصلت في وقت الصحابة يشترطون عليهم كذلك ضيافة من مر المسلمين ثلاثة أيام.

*** وأما ما ذكر في امتناعه من الإخبار عن الجزية الواجبة عليهم يجاب عليه بالآتي:**

١ ـ أن الأثر إسناده ضعيف.

أخرجه ابن عبد الحكم: قال وروى حيوة بن شريح حدثني الحسن بن ثوبان أن هشام بن أبي رقية اللخمي حدثه أن صاحب إخنا قدم على عمرو بن العاص فقال له: أخبرنا ما على أحدنا من الجزية فيصبر لها فقال عمرو: وهو يشير إلى ركن كنيسة لو أعطيتني من الأرض إلى السقف ما أخبرتك ما عليك إنما أنتم خزانة لنا إن كثر

---

(١) أخرجه أبوداود: كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب: ما جاء في حكم أرض خيبر (٣) رقم (٣٠٠٨).



علينا كثرنا عليكم وإن خفف عنا خففنا عنكم، فغضب صاحب إخنا فخرج إلى الروم فقدم بهم فهزمهم الله وأسر النبطي فأتي به عمرو فقال له الناس: اقتله، فقال: لا بل انطلق فجئنا بجيش آخر.

حدثنا سعيد بن سابق قال كان اسمه طلما وإن عمراً لما أتي به، سوره وتوجه وكساه برنس أرجوان وقال له: إيتنا بمثل هؤلاء فرضي بأداء الجزية، فقيل لطلما لو أتيت ملك الروم فقال لو أتيته لقتلني وقال قتلت أصحابي.

الأثر إسناده منقطع؛ لأن الراوي بين عبد الحكم وحيوة لا يعرف، ولو صح فيكون معناه أنه حصل بعد نقض الصلح الذي كان، فقد جعل ابن عبد الحكم امتناع عمرو من إخبار النبطي بمقدار الجزية؛ سبباً لنقض الإسكندرية العهد في خلافة عثمان. وقد كان الصلح وتحديد الجزية في عهد عمر وكتبت فيه الكتب، فدل ذلك أنه حصل نقض ثم فتحها عمرو مرة ثانية، وصارت معاملتهم معاملة الأرض التي فتحت عنوة، ولا يلزم الإمام بتحديد مقدار معين بل قد يجعلها حسب احتياج الدولة، ثم في الأثر أنه أحسن إليه: سوره، وتوجه، وكساه برنس أرجوان، وأطلق سراحه ـ وقد كان ألَّب عليه الروم ـ ولكنه بعد ذلك أذعن للجزية ورضي بالجلوس وأبى أن يرجع لملك الروم وهو على دينه؛ لما يخشاه من بطشه. فأين تجد هذه الأخلاق؟!.

٢ ـ أنه منقوض بما ورد عن عمرو في تحديد الجزية ومن ذلك:



ـ عقد الصلح ـ الذي ذكره الطبري ـ الذي أبرمه عمرو بن العاص مع أهل مصر، ونصه «بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أعطى عمرو بن العاص أهل مصر من الأمان على أنفسهم وملتهم، وأموالهم وكنائسهم وصلبهم وبرهم وبحرهم لا يدخل عليهم شيء من ذلك ولا ينتقص، ولا يساكنهم النوب، وعلى أهل مصر أن يعطوا الجزية إذا اجتمعوا على هذا الصلح وانتهت زيادة نهرهم خمسين ألف ألف وعليهم ما جنى لصوتهم، فإن أبى أحد منهم أن يجيب رفع عنهم من الجزاء بقدرهم وذمتنا ممن أبى بريئة، وإن نقص نهرهم من غايته إذا انتهى رفع عنهم بقدر ذلك، ومن دخل في صلحهم من الروم والنوب فله مثل ما لهم وعليه مثل ما عليهم، ومن أبى واختار الذهاب فهو آمن حتى يبلغ مأمنه أو يخرج من سلطاننا، عليهم ما عليهم أثلاثاً في كل ثلث جباية ثلث ما عليهم، على ما في هذا الكتاب عهد الله وذمته وذمة رسوله وذمة الخليفة أمير المؤمنين وذمم المؤمنين، وعلى النوبة الذين استجابوا أن يعينوا بكذا وكذا رأساً وكذا وكذا فرساً على ألا يغزوا ولا يمنعوا من تجارة صادرة ولا واردة، شهد الزبير وعبد الله ومحمد ابناه، وكتب وردان وحضر. فدخل في ذلك أهل مصر كلهم وقبلوا الصلح[(١)].

ـ وفي الأموال لابن زنجويه (٣٦٢/١)، وفتوح مصر والمغرب لابن عبد الحكم (٩٢)، وفتوح البلدان للبلاذري (٢١٦)، والاكتفاء للكلاعي (٣٣٥/٢): أن المقوقس الذي، كان على مصر، كان صالح

---

(١) تاريخ الطبري (١٠٩/٤).




عمرو بن العاص على أن يفرض على القبط دينارين دينارين، وليس على الشيخ الفاني، ولا على الصغير الذى لم يبلغ الحلم، ولا على النساء شيء.

❊ **الوجه الثالث:** إن نظام الجزية الذي فرضه عمرو على الأقباط الذين لم يعتنقوا الدين الإسلامي أقل بكثير من الزكاة الواجبة على المسلمين، وقد تقدم تحديد الجزية، ومع ذلك كان يعفي من دفعها النساء والأطفال والشيوخ، والفقير الذي لا كسب له، وقد كانوا في العهد البيزنطي يدفعون الضرائب الباهظة، وكانت ترهقهم إرهاقاً شديداً حتى أصبحت الغالبية العظمى من فلاحي مصر بمثابة عبيد وأرقاء للأرض، وقد ذكر المؤرخ الانجليزي (أ.جونسون) في كتابه الذي أسماه: (مصر البيزنطية)، والمؤرخ (أ.هاردي) في كتابه الذي أصدره بعنوان: (الملكيات الضخمة في مصر البيزنطية) الكثير من المآسي والتفاصيل عن هذا العهد البغيض، حيث كان كبار الملاك من الروم يعاملون الفلاحين المصريين كأنهم قطعان من الماشية سخرت لخدمتهم دون أن يكون للفلاحين أو أسرهم أية حقوق. وقد انتهت هذه المآسي بالفتح الإسلامي، فقد وجد المصريون في المسلمين أخلاقاً وطباعاً تختلف كل الاختلاف عن أخلاق وطباع هؤلاء المستعمرين الروم؛ من أجل ذلك تمنوا لهم الانتصار على الروم لكي يضعوا نهاية العهد البيزنطي الظالم الذي كانت مصر ترزح تحت نير استعباده[١].

(١) الجزية في الإسلام لمحمد المحامي (ص/٢٤).



* **الوجه الرابع**: إنَّ أخذ الجزية منهم؛ مقابل بقائهم في الدولة الإسلامية ومنعة المسلمين لهم وحمايتهم، كما قال عمرو رضي الله عنه لأبي مريام لما أراد دخول مصر فنحن ندعوكم إلى الإسلام فمن أجابنا إليه فمثلنا ومن لم يجبنا عرضنا عليه الجزية وبذلنا له المنعة. ولذا لما جمع هرقل للمسلمين الجموع، وبلغ المسلمين إقبالهم إليهم لوقعة اليرموك، ردوا على أهل حمص ما كانوا أخذوا منهم من الخراج وقالوا: شغلنا عن نصرتكم والدفع عنكم فأنتم على أمركم(١). إضافة إلى ما تقدم فإن في أخذ الجزية منهم فائدة عظيمة لهم؛ إذ أن قاعدة الجزية من باب التزام المفسدة الدنيا لدفع المفسدة العليا وتوقع المصلحة العليا، وذلك هو شأن القواعد الشرعية(٢)، فدفع الجزية وإن كان ذل في ظاهره فإنه رحمة من الله لهم إذ لو قتلوا لا نسد عليهم باب الإيمان ولكان مسكنهم النيران، لذا كان بقائهم بين المسلمين مع دفع الجزية مصلحة كبيرة؛ إذ يرون بذلك عزة الإسلام وذل الكفر وهذا أدعى لهم لدخول الإسلام ليكونوا بذلك من أهل الجنان.

ولا يفهم من دفع الجزية أنهم يظلمون بل يعاملون المعاملة الشرعية فيرحم كبيرهم وعاجزهم.

* **الوجه الخامس**: أن الإسلام لم يكن بدعاً بين الأديان، كما لم يكن المسلمون كذلك بين الأمم؛ حين أخذوا الجزية من الأمم التي

---

(١) فتوح البلدان للبلاذري (١٦٢/١).

(٢) انظر: الفروق للقرافي (٢١/٣).



دخلت تحت ولايتهم، فإن أخذ الأمم الغالبة للجزية من الأمم المغلوبة أشهر من علم، والتاريخ البشري أصدق شاهد على ذلك.

وقد نقل العهد القديم والجديد شيوع هذه الصورة، ففي إنجيل متى أن المسيح عليه السلام قال لسمعان: ماذا تظن يا سمعان؟ ممن يأخذ ملوك الأرض الجباية أو الجزية، أمن بنيهم أم من الأجانب؟ قال له بطرس من الأجانب. قال له يسوع: فإذاً البنون أحرار (متى ١٧/٢٤ ـ ٢٥).

ويذكر العهد القديم شرعة الجزية في شرائع التوراة، وأن الأنبياء عليهم السلام أخذوا الجزية من الأمم المغلوبة حين غلبوا على بعض الممالك، كما صنع النبي يشوع مع الكنعانيين حين تغلب عليهم فلم يطردوا الكنعانيين الساكنين في جازر، فسكن الكنعانيون في وسط افرايم إلى هذا إلى اليوم، وكانوا عبيداً تحت الجزية (يشوع ١٦/١٠)، وقد جمع لهم بين العبودية والجزية.

وفي المسيحية أمر المسيح أتباعه بدفع الجزية للرومان، وسارع هو إلى دفعها، فقد ذكر إنجيل متى أنه قال لسمعان بطرس: اذهب إلى البحر وألق صنارة، والسمكة التي تطلع أولاً خذها، ومتى فتحت فاها تجد أستاراً، فخذه وأعطهم عني وعنك (متى ١٧/٢٤ ـ ٢٧).

ويذكر إنجيل متّى أنه في مرة أخرى سئل: أيجوز أن تعطى جزية لقيصر أم لا؟.. فقال لهم: لمن هذه الصورة والكتابة؟ قالوا له: لقيصر. فقال لهم: أعطوا إذاً ما لقيصر لقيصر، وما لله لله (متى ١٧/٢٢ ـ ٢١).




ويعتبر العهد الجديد أداء الجزية للسلاطين حقاً مشروعاً، بل ويعطيه قداسة، ويجعله أمراً دينياً، إذ يقول بولس: لتخضع كل نفس للسلاطين، السلاطين الكائنة هي مرتبة من الله، حتى إن من يقاوم السلطان يقاوم ترتيب الله، والمقاومون سيأخذون لأنفسهم دينونة... إذ هو خادم الله، منتقم للغضب من الذي يفعل الشر، لذلك يلزم أن يخضع له ليس بسبب الغضب فقط، بل أيضاً بسبب الضمير، فإنكم لأجل هذا توفون الجزية أيضاً، إذ هم خدام الله مواظبون على ذلك بعينه، فأعطوا الجميع حقوقهم، الجزية لمن له الجزية، الجبابة لمن له الجباية، والخوف لمن له الخوف، والإكرام لمن له الإكرام. (رومية ١/١٣ ـ ٧)[١].

❊ **الوجه السادس:** ما ذكروه عن عمرو في ظلم الأقباط واضطهادهم قلب للحقائق ومن قرأ التاريخ عرف بطلانه، بل لو كان للتاريخ لسان ينطق لقال: سبحانك هذا بهتان عظيم، ولو أنطق الله أرض مصر لحدثت أخبارها ولألجمت بالحجج أفاكها.

ومعلوم تاريخياً[٢] **أن** مصر أصبحت تحت حكم الرومان من ٣٠ ميلادي ـ ٢٩٥ ميلادي. وظلت المسيحية تنتشر في هدوء في مصر منذ عصر نيرون، ومنذ زيارة مرقس الرسول للإسكندرية، وقد لاقت

(١) المفصل في شرح آية لا إكراه في الدين، لعلي بن نايف الشحود (٤٤٨/١).

(٢) انظر: تاريخ مصر لساويرس (٥٧٣)، وتاريخ الأمة القبطية يعقوب روفيلة (ص/٢٤ ـ ٣٨)، وتاريخ وحضارة مصر القديمة لسمير أديب (٣٠٩ ـ ٣١٨)، وتاريخ وآثار مصر الإسلامية، د. أحمد عبدالرزاق (١٣ ـ ١٤).



هذه الديانة الجديدة العداء من أباطرة الدولة البيزنطية الوثنيين لا سيما في عصر دقلديانوس (٢٨٤ ـ ٣٠٥م) ـ آخر وأعظم الأباطرة حيث سامهم سوء العذاب، إلى أن جاء عهد قسطنطينوس ويصبح الإمبراطور الأوحد للإمبراطورية ويصدر قراراً باعتبار المسيحية ديناً رسمياً معترفاً به وذلك عام ٣٢٣ ميلادية.

بيد أن الأقباط لم يكونوا لينعموا طويلاً إذ سرعان ما ثار الجدل والنزاع حول صفات المسيح وطبيعته، إذ ذهبت الكنيسة المصرية إلى المناداة بأن للمسيح طبيعة واحدة، وقررت الدولة بعد مجمع خلقدونية مذهب القسطنطينية مذهب الطبيعتين واعتبرت مذهب الطبيعة الواحدة كفراً وخروجاً على الدين الصحيح، ثم تُوج هرقل إمبراطور سنة ٦١٠م وفي عهده سنة ٦١٦م نجح الفرس في غزو مصر وبقيت مصر في أيديهم عشر سنوات ساموا فيها المصريين الخسف والعذاب أشكالاً. إلى أن قام هرقل وقاتلهم وهزمهم، وبعد أن خلص البلاد من يد الفرس حول نظره إلى توحيد العقيدة النصرانية، وقال: إن قال أحد إن مجمع خلقدونية حق فخلوه وإن قال إنه ضلال وكذب غرقوه في البحر[1]. وهرب الرهبان والقساوسة إلى الجبال والأديرة والكهوف هرباً من القتل والسجن والاضطهاد منهم بنيامين، واستمر الحال حتى شاء الله أن ينقذ

(١) ولم يقتصر على الأقباط الذين ليسوا على مذهبه بل اشتد أيضاً على اليهود وذلك بعلة أنهم كانوا يحرضون الفرس على قتل المسيحين، فأباح للنصارى قتلهم وسلب أموالهم وسبي نسائهم. تاريخ الأمة القبطية (ص/٣٦).



المصريين علي أيد جيوش عمرو بن العاص، الذي اقتحم بجيوشه حدود مصر عام ٦٤١م في عهد عمر بن الخطاب، وهلل الرهبان والأساقفة المصريون الهاربون في الصحاري والكهوف، وأعطاهم عمرو الأمان.

❋ **الوجه السابع**: أن عمراً لا يتصرف من قِبل نفسه إنما هو أمير من قبل الخليفة يأتمر بأمره، وعمر إنما هو خليفة خليفة رسول الله ﷺ وكان وقافاً عند حدود الله كما هو معلوم من تراجمه. وخلافة عمر قد بلغ فيها العدل ذروته، إنه عصر الفاروق وما أدراك ما الفاروق، يهابه الصغير والكبير بل الإنسان والشيطان.

وقد حصلت في خلافته مواقف كثيرة تبين أن العدل بلغ في ذلك الزمن ذروته إليك بعضاً منها:

ـ فعن قتادة عن سعيد قال: شخص رجل من الدهاقين(١) إلى عمر بن الخطاب في مظلمة له، فلما قدم المدينة سأل عن عمر فقيل: هو ذاك وإذا هو مستلق قد جمع إزاره تحت رأسه، ودرته إلى جنبه، فقال: إني أريد أمير المؤمنين، قيل: فذاك أمير المؤمنين عمر، فقال في نفسه: لقد غررت بنفسي وذهبت بنفقتي، ثم دنا من عمر فأخبره

---

(١) جمع دِّهقان ـ بكسر الدال وضمها ـ والجمع أيضاً دهاقنة، والاسم: الدَّهْقَنَةُ وهو فارسي معرب يطلق على رئيس القرية وعلى التاجر وعلى من له مال وعقار. انظر: القاموس المحيط
(ص/١٥٤٦)، والمصباح المنير (ص/١٠٦).



بقصته، فأخذ قطعة جلد فكتب فيها بخطه: لينصفن هذا الدهقان، أو لأبعثن من ينصفه. فقال الدهقان: لقد خبت وخسرت، أنفقت مالي وأتعبت نفسي، وتجشمت هذا السفر البعيد الشديد، ثم رجعت بقطعة جلد من صحيفة، وهم أن يلقيها، فلما صار إلى العامل ودفعها إليه قام على رجليه فلم يجلس حتى أنصفه، فقال الدهقان: هذا والله الملك، وهذه الطاعة لا ما كنا فيه(١).

ـ بعث عمر ﵁ حذيفة بن اليمان، وعثمان بن حنيف لجباية الخراج، ومسح أرض السواد، وقال لهما محذراً من تكليف أهل الذمة ما لا يطيقونه من الخراج: تخافا أن تكونا حملتما الأرض ما لا تطيق. فقال عثمان: لو شئت لأضعفت، وقال حذيفة: لقد حملت الأرض أمراً هي له مطيقة، وما فيها كبير فضل، فجعل عمر يقول: انظر ما لديكما أن تكونا حملتما الأرض ما لا تطيق(٢).

ـ ومما روي عن عمر ﵁ في الرأفة بأهل الذمة أنه مر بباب قوم وعليه سائل يسأل، شيخ كبير، ضرير البصر، فضرب عضده من خلفه، وقال: من أي أهل الكتاب أنت؟ فقال: يهودي. قال: فما ألجأك إلى ما أرى؟ قال: أسأل الجزية والحاجة والسن. فأخذ عمر ﵁ بيده، وذهب به إلى منزله، فرضخ له بشيء من المنزل ثم أرسل إلى خازن بيت المال، فقال: انظر هذا وضرباءه، فوالله ما أنصفناه أن أكلنا شبيبته ثم

(١) أخرجه البلاذري في أنساب الأشراف (٣/٤٠٧).

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٣/٣٣٧).

نخذله عند الهرم[(١)].

ـ وكتب إلى واليه في مصر: واعلم يا عمرو أن الله يراك ويرى عملك، فإنه قال تبارك وتعالى في كتابه: ﴿وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾[(٢)] يريد أي من المؤمن أن يُقتدى به، وأن معك أهل ذمة وعهد، وقد

---

(١) دراسة نقدية في المرويات في شخصية عمر بن الخطاب (١٠٥٥/٢) وأثر عمر الأخير حين مر على سائل كبير يهودي يسأل، قال صاحب الكتاب في الحاشية: رواه أبو يوسف، الخراج (ص/١٣٩)، قال: حدّثني عمر بن نافع عن أبي بكر. ابن زنجويه، الأموال (١) رقم (١٦٥)، ومداره على عمر بن نافع الثقفي، كوفي ضعيف من السادسة. التقريب (٤١٧)، فقد نص المزي على أنه هو الراوي عن أبي بكر العبسي، وأما العدوي فهو ثقة. فالأثر ضعيف. اهـ.

ذكر المزي في التهذيب بأنه روى عن أبي بكر العبسي وهذه قرينة للترجيح لا يجزم بها، وله شاهد عند أبي عبيد في الأموال رقم (١١٩): من طريق محمد بن كثير، عن أبي رجاء الخراساني، عن جسر أبي جعفر قال: شهدت كتاب عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن أرطاة، قرئ علينا بالبصرة: أما بعد، وذكر فيه: وذلك أنه بلغني أن أمير المؤمنين عمر مر بشيخ من أهل الذمة يسأل على أبواب الناس، فقال: «ما أنصفناك، أن كنا أخذنا منك الجزية في شبيبتك ثم ضيعناك في كبرك» قال: ثم أجرى عليه من بيت المال ما يصلحه.

محمد بن كثير بن أبي عطاء الثقفي الصنعاني أبو يوسف نزيل المصيصة صدوق كثير الغلط. التقريب رقم (٦٢٥١)، ومطر بن طهمان الوراق أبو رجاء السلمي مولاهم الخراساني صدوق كثير الخطأ وحديثه عن عطاء ضعيف التقريب رقم (٦٦٩٩). وجسر بن فرقد القصاب أبو جعفر بصري، قال البخاري ليس بذاك عندهم وقال ابن معين ليس بشيء وقال النسائي ضعيف، وقال: سعيد بن عامر جسر بن فرقد فقال: رحمه الله، الثقة الأمين، كان رجلا صالحاً، وقال أبو حاتم: ليس بالقوي كان رجلاً صالحاً. الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٥٣٩/٢) لسان الميزان (١٠٤/٢).

(٢) الفرقان من الآية (٧٤).




أوصى رسول الله ﷺ بهم، وأوصى بالقبط فقال: «استوصوا بالقبط خيراً، فإن لهم ذمة ورحماً»، ورحِمُهم أن أم إسماعيل منهم، وقد قال رسول الله ﷺ: «من ظلم معاهداً أو كلفه فوق طاقته؛ فأنا خصمه يوم القيامة» احذر يا عمرو أن يكون رسول الله ﷺ لك خصماً، فإنه من خاصمه خَصَمه[1].

ـ وقد أوصى رضي الله عنه عند وفاته مَنْ بعده بالعناية بأهل الذمة، وإعطائهم حقوقهم، والرأفة بهم.

قال رضي الله عنه: ... وأوصيه بذمة الله، وذمة رسوله ﷺ أن يوفي لهم بعهدهم، وأن يقاتل من ورائهم، ولا يكلفوا فوق طاقتهم[2].

فإذا بلغ العدل إلى هذه الدرجة أترى أنه سيظلم قبطيا؟ وهل سيسكت الصحابة وغيرهم عن عمرو لو أخذ أموالهم ظلماً أم سيبلغون الخليفة؟!

❋ **الوجه الثامن**: أن مما ينقض هذه الشبهة شهادة النصارى أنفسهم على حسن معاملة عمرو وحسبك بالشهادة إذا كانت من أهلها.

فهذه شهادة نصارى حمص حين كتبوا إلى أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه: «لولايتكم وعدلكم أحب إلينا مما كنا فيه من الظلم والغشم،

(١) كنز العمال للمتقي الهندي (٥) رقم (١٤٣٠٤).

(٢) أخرجه البخاري (٣) رقم (٢٨٨٧).



ولندفعن جند هرقل عن المدينة مع عاملكم»[١]، ثم أغلقوا أبواب المدينة في وجه الروم إخوانهم في العقيدة.

قال يوحنا النقيوسي: «وأمر عمرو برفع الضرائب التي كانت مفروضة علي الكنائس ولم يأخذ شيئاً من أملاك الكنائس كما لم يرتكب أي عمل من السلب أو النهب بل كان يحميها خلال حكمه»[٢].

وقال ساويرس بن المقفع: بعد ذكره للخلاف الذي حصل بين النصارى في طبيعة عيسى ـ «وظفر هرقل بالمغبوط مينا أخي الأب بنيامنين البطرك فنزل عليه بلايا عظيمة وأشعل في جنبيه المشاعل حتى خرج شحم كلاه من جنبه وسال على الأرض، وقلع أضراسه وأسنانه باللكم لاعترافه بالأمانة،... وكان هرقل... الكافر قد أوصاهم وقال: إن قال أحد أن مجمع خلقدونية حق خلوه، ومن قال: إنه ضلال وكذب غرقوه في البحر. ففعلوا ذلك ورموه في البحر... ثم ذكر أن عمرو بن العاص لما فتح مصر أعطى الأمان لبنيامين فقال: فكتب عمرو بن العاص إلى أعمال مصر كتاباً يقول فيه: الموضع الذي فيه بنيامين بطرك النصارى القبط له العهد والأمان والسلامة من الله، فليحضر آمناً مطمئناً، ويدبر حال بيعته وسياسة طائفته.

فلما سمع القديس بنيامين هذا عاد إلى الإسكندرية بفرح عظيم بعد غيبة ثلاث عشرة سنة، منها عشر سنين لهرقل الرومي الكافر،

(١) فتوح البلدان للبلاذري (ص/١٣٩).
(٢) تاريخ العالم القديم (٢٣٣).




وثلاث سنيين قبل أن يفتح المسلمون.

ثم وصف فرح الأقباط بقوله: وكانت الشعوب فرحين مثل العجول الصغار إذا حل رباطهم وأطلقوا على ألبان أمهاتهم[١].

والآن أفسح المجال ليعقوب نخلة روفيلة يبين لنا إحسان عمرو ابن العاص للأقباط وذلك بما قام به من تكريمهم، كذلك رحمته بهم في عدم إرهاقهم بالخراج وإلحاحه على الخليفة في عدم طلب الزيادة، وأطلق لهم الحرية الدينية وفي المقابل أظهر الأقباط حبهم له وحزنوا لموته.

قال: ولما ثبت قدم العرب في مصر شرع عمرو بن العاص في تطمين خواطر الآهلين واستماله قلوبهم إليه واكتساب ثقتهم به وتقرب سراة القوم وعقلائهم منه وإجابة طلباتهم، وأول شيء فعله من هذا القبيل استدعاء بنيامين البطريرك الذي سبق القول أنه اختفى من إمام هرقل ملك الروم،... ولما حضر وذهب لمقابلته ليشكره علي هذا الصنيع أكرمه وأظهر له الولاء وأقسم له بالأمان علي نفسه وعلي رعيته، وعزل البطريرك الذي كان أقامه هرقل، وردّ بنيامين إلى مركزه الأصلي معززاً مكرماً وهكذا عادت له المياه إلى مجاريها وبعد اختفائه مده طويلة قاسى فيها ما قاساه من الشدائد حتى سماه بعضهم (بالحكيم) وقيل: إن عمراً لما تحقق ذلك منه قربه إليه وصار يدعوه في بعض الأوقات ويستشيره في الأحوال المهمة المتعلقة بالبلاد وخيرها وقد

(١) انظر: تاريخ مصر، لساويرس (٥٧٣ ـ ٥٩٥).




حسب الأقباط هذا الالتفات مِنَّة عظيمة وفضلاً جزيلاً لعمرو.

وأَمَر عمرو بأن من لا يرغب من الروم البقاء في مصر فليخرج منها بأمان ومن يفضل البقاء تضرب عليه الجزية ويكون له ما للأقباط وعليه ما عليهم. وكان عدد الروم بمصر ينوف عن ثلاثمائة ألف نفس فهاجر أغلبهم ولم يبق منهم إلا من كانت له علاقات ومصالح لا تسمح له بالخروج منها والابتعاد عنها. وانتهز القبط خروج الروم فرصة مناسبة فوضعوا يدهم على كثير من كنائسهم وأديرتهم ولحقاتها بدعوى أنها كانت في الأصل ملكاً لهم والروم نزعوها من يدهم قوة واقتداراً بسبب ما كان بينهم من الشقاق، ومن ذلك الحين عاش الروم بالحسنى وانتهت من بينهم المنازعات والمخاصمات التي كانت تقضي إلى قتل الألوف المؤلفة؛ لزوال أسبابها.

ثم أخذ عمرو في تنظيم البلاد وإذ كان يعلم أن صاحب الدار أدرى بما فيها؛ استعان بفضلاء القبط وعقلائهم علي تنظيم حكومة عادلة تضمن راحة الأهالي والوالي معاً، فقسم البلاد إلى أقسام يرأس كل منها حاكم قبطي له اختصاصات وحدود معينة ينظر في قضايا الناس ويحكم بينهم، ورتب مجالس ابتدائية واستئنافية مؤلفة من أعضاء ذوي نزاهة واستقامة، وعين نواباً مخصصين من القبط ومنحهم حق التدخل في القضايا المختصة بالأقباط والحكم فيها بمقتضي شرائعهم الدينية والأهلية؛ فكانوا بذلك في نوع من الحرية والاستقلال المدني، وهي ميزة كانوا قد جردوا منها في أيام الدولة الرومانية... وضرب الخراج



علي البلاد بطريقة عادلة وولى عليه متول من ذويه يقبضه على أقساط في آجال معينه حتى لا يتضايق أهل البلاد. ورتب الدواوين فاختص الأقباط بمسك الدفاتر وسائر الأعمال الكتابية والحسابية، وكانت كلها تجري باللغة القبطية، وبلغ ما جباه عمرو من الخراج في السنة اثني عشر مليوناً من الدنانير، مع أن الذي كان يجبيه المقوقس في أيام الروم أقل من ثمانية عشر مليوناً، وبالجملة: فإن القبط نالوا في أيام عمرو بن العاص راحة لم يروها منذ أزمان.

ولما مات الخليفة عمر بن الخطاب وتولى عثمان بن عفان الخلافة من بعده، فصل عمرو بن العاص عن مصر وولى مكانه عبد الله ابن سعد بن أبي سرح أخاه من الرضاعة، وهو الذي كان حاكماً على الوجه القبلي في إمارة عمرو بن العاص.

... ولما عاد إليهم عمرو بن العاص في أيام معاوية فرحوا به، ولما مات حزنوا عليه وكان لهم الحق في ذاك الحزن لأنه لم يتول على مصر أميراً أحسن التدبير مثله، ومما حبب الأقباط في عمرو وجعلهم يميلون إليه كل الميل، أنه كان مراعياً في تصرفاته مصلحتهم وراحتهم، فلم يجب منهم في مدة إمارته من الأموال أكثر مما صولحوا عليه بغير زيادة أو نقص ولا في غير أجالها المضروبة لجمعها وتحصيلها[1].

وذكرت المستشرقة الألمانية زيغريد هونكه في كتابها ـ شمس

(١) تاريخ الأمة القبطية، يعقوب نخلة روفيلة (٥٤ ـ ٦٤).



العرب تسطع على الغرب ـ عدالة المسلمين وسماحتهم في الفتوحات ثم قالت: فبطريرك بيت المقدس يكتب في القرن التاسع لأخيه بطريرك القسطنطينية عن العرب: إنهم يمتازون بالعدل، ولا يظلموننا البتة، وهم لا يستخدمون معنا أي عنف[١].

فتبين لك أخي الكريم ـ مما سبق ـ: أن ما نسب إلى عمرو بأنه ظلم الأقباط أو نهب أموالهم، بهتان عظيم، وقلب للحقائق، فلقد كان حسن السيرة، وقد تقدم معك كيف فرح أهل مصر لما عاد عمرو لحكم مصر في خلافة معاوية، وكيف كان حزنهم لموته.

* * *

۞ الشبهة الثانية: كتابته لأمير المؤمنين عمر رضي الله عنه يصف أهل مصر بأوصاف غير لائقة:

ومفاد ذلك: ما تناقلته بعض الألسنة في وصف عمرو لأهل مصر ـ رجالاً ونساءً ـ بأوصاف غير لائقة. من ذلك قوله ـ زعموا ـ في أهل مصر: «أكيس الناس صغاراً وأحمقهم كباراً»[٢].

الجواب: يجاب على هذه الشبهة من أربعة أوجه:

* **الوجه الأول**: إن هذا الوصف الذي ينسب لعمرو بن العاص

---

(١) (ص/٣٦٤).

(٢) انظر: المعرفة والتاريخ للفسوي (ص/٣٦٤)، تاريخ دمشق لابن عساكر (٣٥٨/١).



لا يثبت عنه، وقد وردت بعض هذه العبارات في كتب التاريخ وذلك حينما سئل عن بعض الأمصار فوصف كل أهل مصر بوصف، وقال في أهل مصر: «أكيس الناس صغاراً وأحمقهم كباراً».

أخرج هذا الأثر: الفسوي في المعرفة والتاريخ[1]، ومن طريقه ابن عساكر[2]:

من طريق نعيم بن حماد حدثنا رشدين عن عمرو بن الحارث عن بكير بن عبد الله بن الأشج قال: سئل عمرو بن العاص... قالوا: فأهل مصر؟ قال أكيس الناس صغاراً وأحمقهم كباراً».

هذا الإسناد ضعيف جداً فيه علتان:

ـ **العلة الأولى**: رِشْدين بن سعد بن مفلح المهري أبو الحجاج المصري

قال أحمد: لا يبالي عمن روى، وليس به بأس في الرقاق، وقال: أرجو أنه صالح الحديث.

وقال ابن معين: ليس بشيء.

وقال أبو زرعة: ضعيف.

وقال الجوزجاني: عنده مناكير كثيرة.

قلت: كان صالحاً عابداً سيئ الحفظ غير معتمد.

---

(١) (٤١١/٢).

(٢) تاريخ دمشق (٣٥٨/١).

وعن قتيبة قال: ما وضع في يد رشدين شيء إلا وقرأه.

وقال النسائي: متروك[1].

ـ **العلة الثانية**: فيه انقطاع فإن بكير بن عبد الله لم يدرك عمرو بن العاص، قاله ابن عساكر[2].

وللأثر طريق آخر: أخرجه أبو بكر ابن المقرئ[3]، ومن طريقه ابن عساكر[4] من طريق: أحمد بن زكريا، ثنا أبو بكر إسماعيل بن إسحاق ابن إبراهيم بن مهران الثقفي النيسابوري سنة اثنتين وتسعين ثنا عبيد الله بن عمر، ثنا أبو أمية بن يعلى، وكان قد أدرك نافعاً عن علي ابن زيد بن جدعان قال: قال رجل لعمرو بن العاص: صف لي الأمصار قال: فذكر نحوه.

هذا الإسناد فيه ثلاثة علل:

ـ **العلة الأولى**: أبو أمية بن يعلى: هو إسماعيل.

قال يحيى بن معين: ضعيف ليس بشيء.

قال أبو زرعة: واهي الحديث ضعيف الحديث ليس بقوي.

قال النسائي: متروك الحديث.

---

(١) ميزان الاعتدال للذهبي (٢/٤٩).

(٢) ميزان الاعتدال (٢/٤٩).

(٣) معجم ابن المقرئ (ص/١٧٤).

(٤) تاريخ دمشق (١/٣٥٨).

قال أبو حاتم: ضعيف الحديث أحاديثه منكرة.

قال ابن حبان: ممن تفرد بالمعضلات عن الثقات حتى إذا سمعها من العلم صناعته لم يشك أنها موضوعة لا يحل الاحتجاج به ولا الرواية عنه إلا للخواص من الاعتبار.

قال الهيثمي: ضعيف جداً[(١)].

ـ **العلة الثانية**: علي بن زيد بن جدعان.

قال شعبة: حدثنا علي بن زيد ـ وكان رفاعاً.

وقال ـ مرة ـ: حدثنا على قبل أن يختلط.

وكان ابن عيينة يضعفه.

قال حماد بن زيد: كان يقلب الأحاديث.

وقال أحمد: ضعيف.

قال يحيى: ليس بذاك القوى.

وقال مرة: ليس بشيء.

وقال البخاري، وأبو حاتم: لا يحتج به.

وقال الفسوي: اختلط في كبره.

وقال ابن خزيمة: لا أحتج به لسوء حفظه[(٢)].

---

(١) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٢٠٣/٢)، الضعفاء والمتروكون للنسائي (ص/١١٣) المجروحين لابن حبان (١٤٧/٣ ـ ١٤٨)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٢٦٨/١٠).

(٢) تاريخ دمشق (٣٥٨/١).




ـ **العلة الثالثة:** الانقطاع.

قال ابن عساكر: علي بن زيد بن جدعان يضعف فيما رواه عن من أدركه فكيف بما رواه عن من لم يدركه وهو لم يدرك عمرو بن العاص ولم يره[1].

قال ابن عساكر:

وقد روي معنى هذا عن ابنه عبد الله بن عمرو، ثم أسنده إلى الإمام مالك، قال: قال عبد الله بن عمرو بن العاص «... ولأهل مصر أكيسهم صغاراً وأحمقهم كباراً».

قال ابن عساكر: وهذا منقطع فإن مالكاً لم يدرك عبد الله بن عمرو[2].

فتبين لك أخي الكريم أن هذا القول غير ثابت عن عمرو بن العاص ولا عن ابنه عبد الله.

وقد وردت هذه العبارة بسند غير صحيح عن ابن الكَوَّاء[3] حيث قال: «أكلة من غلب»، وابن لسان الحُمَّرة[4] حيث قال: «عبيد من

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) هو: عبد الله ابن الكواء من رؤوس الخوارج قاله الذهبي في الميزان، وقال ابن حجر: وقال البخاري لم يصح حديثه قلت وله أخبار كثيرة مع علي وكان يلزمه ويعييه في الأسئلة وقد رجع عن مذهب الخوارج وعاود صحبة علي. لسان الميزان (٣/٣٢٩).

(٤) هو: وفاء بن الأشعر التميميّ يعرف بابن لسان الحمرة، كان مشهوراً بالفصاحة، وكنيته أبو كلاب، مذكور في المعمّرين. الإصابة في تمييز الصحابة (٦/٤٩٥).




غلب» ذكرها ابن عساكر في تاريخه وعقبها بقوله:

وعبد الله بن الكواء لا يعتمد على ما يرويه فكيف يعتمد على ما يقوله عن نفسه ولا عن غيره ويحكيه، والاحتجاج بما قاله ابن لسان الحمرة من الاحتجاجات الباطلة المنكرة[١].

وقد حكى بعض أصحاب كتب التراجم مثل هذه العبارات عن أيوب بن القِرِّية ـ بدون إسناد ـ، عندما سأله الحجاج عن طبائع أهل الأرض فذكر الأمصار ووصف كل مصر منها بوصف[٢]. وأيوب هذا كما قال الذهبي: أعرابي أمي فصيح، مفوه يضرب ببلاغته المثل، وفد على عبد الملك، وعلى الحجاج، فأعجب بفصاحته، ثم بعثه رسولاً إلى ابن الأشعث إلى سجستان، فأمره أن يخلع الحجاج، ويقوم بذلك ويشتمه، فقال: إنما أنا رسول. فقال: لتفعلن أو لأضربن عنقك، ففعل فلما انتصر الحجاج جيء بابن القِرِّية[٣] فسأله عن البلدان والقبائل، ومآثر العرب، والآفات فأجابه عما أراد فقال: فما آفة الحجاج بن يوسف قال لا آفة لمن كرم حسبه وطاب نسبه وزكا فرعه فقال أظهرت نفاقاً ثم قال اضربوا عنقه فلما رآه قتيلاً ندم[٤].

فتبين لك أخي الكريم: أن كل من نُقلت عنه هذه العبارات فيما

(١) تاريخ دمشق (١/٣٦٠).

(٢) وفيات الأعيان (١/٢٥٢)، السير للذهبي (٤/٣٤٦ ـ ٣٤٧)، شذرات الذهب لابن العماد (١/٩٣).

(٣) السير (٤/٣٤٦).

(٤) انظر: شذرات الذهب (١/٩٤).



تقدم لم يصح عنه وآخرهم ابن القِرِّية ذُكر من غير سند، ومع ذلك كل من تقدم لم يذكر عن نسائها شيئاً.

* **الوجه الثاني**: الذي ثبت عن عمرو وصفه البليغ لأرض مصر، وكان مما قاله يخط وسطها نيل مبارك الغدوات، ميمون الروحات كما تقدم في الفصل الأول(١).

* **الوجه الثالث**: أن عمراً لما أراد دخول مصر أرسل إلى المقوقس بجيش لمنعه فلما رآهم وقد تصافوا لقتاله أرسل إليهم «لا تعجلونا لنعذر إليكم وترون رأيكم بعد، فكفوا أصحابهم وأرسل إليهم عمرو إني بارز فليبرز إلي أبو مريم وأبو مريام، فأجابوه إلى ذلك وأمن بعضهم بعضاً، فقال لهما عمرو: أنتما راهبا هذه البلدة فاسمعا إن الله عز وجل بعث محمداً ﷺ بالحق، وأمره به وأمرنا به محمد ﷺ، وأدى إلينا كل الذي أمر به، ثم مضى صلوات الله عليه ورحمته وقد قضى الذي عليه، وتركنا على الواضحة، وكان مما أمرنا به الإعذار إلى الناس، فنحن ندعوكم إلى الإسلام فمن أجابنا إليه فمثلنا، ومن لم يجبنا عرضنا عليه الجزية وبذلنا له المنعة، وقد أعلمنا أنا مفتتحوكم وأوصانا بكم حفظاً لرحمنا فيكم وإن لكم إن أجبتمونا بذلك ذمة إلى ذمة، ومما عهد إلينا أميرنا استوصوا بالقبطيين خيراً فإن رسول الله ﷺ أوصانا بالقبطيين خيراً؛ لأن لهم رحماً وذمة»(٢).

---

(١) (ص/١٤١).

(٢) تاريخ الطبري (٥١٤/٢)، وانظر: البداية والنهاية لابن كثير (٩٠/١٠).




ومن المحال أن يذكر وصية الرسول ﷺ أمامهم وأمام المسلمين ثم يصفهم بعد ذلك بهذا الوصف، بل مازال يوصي بالأقباط خيراً حتى بعد فتح مصر كما جاء في خطبته الشهيرة في الفسطاط «واستوصوا بمن جاورتموه من القبط خيراً».

وروي عن ابنه عبد الله أنه قال: قبط مصر أكرم الأعاجم كلها، وأسمحهم يداً، وأفضلهم عنصراً، وأقربهم رحماً بالعرب عامة، وبقريش خاصة(١).

❊ **الوجه الرابع**: عمرو بن العاص يعلم علم اليقين ماحكاه الله عن سحرة فرعون من إيمانهم بموسى وثباتهم أمام فرعون رغم تهديدهم بقطع أطرافهم وبصلبهم على جذوع النخل، ويعلم ما كان من ثبات امرأة فرعون وماشطة بنت فرعون رغم ما نالا من العذاب والنكال، وهو الذي أخبر الأقباط بوصية الرسول ﷺ لما لنا فيهم من رحم ـ أمنا هاجر ـ وذمة ـ مارية القبطية ـ فهل يصدق عاقل لبيب ـ بعد هذا ـ أن هذه العبارات ينطق بها لسان عمرو بن العاص! بل لم يتفوه بها صحابي.

فإذا علمت ما تقدم فتيقن أخي الكريم أن هذه العبارات بعيدة كل البعد عن الصحابة بل لا تمت إليهم بصلة، وتقدم أنها نسبت في كتب التراجم ـ بدون إسناد ـ لابن القِرِّية، ولو ثبت ذلك عنه فلا ضير؛ إذ هو رجل أعرابي أمي فصيح في زمن الحجاج بن يوسف وهو من البلغاء، وليس هو في عداد العلماء.

---

(١) فتوح مصر لابن عبد الحكم (ص/٢٤).




۞ الشبهة الثالثة: أن عمرو بن العاص أحرق مكتبة الإسكندرية:

وذلك لما ذكره ابن العنبري في كتابه مختصر الدول حيث قال:

وفي هذا الزمان اشتهر بين الإسلاميين يحيى المعروف عندنا بغرماطيقوس أي النحوي. وكان اسكندرياً يعتقد اعتقاد النصارى اليعقوبية ويشيد عقيدة ساوري. ثم رجع عما يعتقده النصارى في التثليث. فاجتمع إليه الأساقفة بمصر وسألوه الرجوع عما هو عليه، فلم يرجع؛ فأسقطوه عن منزلته. وعاش إلى أن فتح عمرو بن العاص مدينة الإسكندرية. ودخل على عمرو، وقد عرف موضعه من العلوم، فأكرمه عمرو وسمع من ألفاظه الفلسفية ـ التي لم تكن للعرب بها أنسة ـ ما هاله ففتن به. وكان عمرو عاقلاً حسن الاستماع صحيح الفكر فلازمه وكان لا يفارقه، ثم قال له يحيى يوماً: إنك قد أحطت بحواصل الإسكندرية وختمت على كل الأصناف الموجودة بها فما لك به انتفاع فلا أعارضك فيه، ومالا انتفاع لك به فنحن أولي به. فقال له عمرو: وما الذي تحتاج إليه؟ فقال: كتب الحكمة التي في خزائن الملوكية، فقال له عمرو: ما لا يمكنني أن آمر فيها إلا بعد استئذان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وكتب إلى عمر وعرفه بقول يحيى، فورد عليه كتاب عمر يقول فيه: وأما الكتب التي ذكرتها فان كان فيها ما يوافق كتاب الله ففي كتاب الله عنه غنى، وإن كان فيها ما يخالف كتاب الله فلا حاجة إليه فتقدم بإعدامها فشرع عمرو بن العاص في تفريقها علي حمامات الإسكندرية وإحراقها في مواقدها فاستنفذت في ستة أشهر فاسمع ما



جرى واعجب[1].

الجواب: يجاب على هذه الشبهة من سبعة أوجه.

* **الوجه الأول**: أن القصة المذكورة لا إسناد لها، وقد ذكرها عبد اللطيف بن يوسف البغدادي، المتوفى سنة (٦٢٩ هـ ـ ١٢٣١ م)[2]، ومن بعده علي بن يوسف القفطي، المتوفى سنة (٦٤٦ هـ ـ ١٢٤٨م)[3]، وغريغوريوس الملطي، أبو الفرج المعروف بابن العبري ـ من نصارى اليعاقبة ـ المتوفى سنة (٦٨٥ هـ ـ ١٢٨٦ م)[4]، وآخرهم المقريزي، المتوفى سنة (٨٤٥ هـ ـ ١٤٤١ م)[5].

ومع ذلك لم يُسندها أحد.

* **الوجه الثاني**: أن ثمة أمور في المتن تبين أن القصة ملفقة ومصطنعة، وبيانها فيما يلي:

١ ـ أن يوحنا الذي ذكر في القصة ـ بأنه طلب من عمرو الكتب ـ

(١) مختصر الدول لابن العبري (ص/١٧٦). وانظر: ترجمته في الأعلام للزركلي (١١٧/٥).

(٢) انظر: الإسقاط في مناهج المستشرقين، د. شوقي أبو خليل (ص/١٢٤)، والحضارة العربية لجاك ريسْلر (١٠٦ ـ ١٠٧).

(٣) أخبار العلماء بأخبار الحكماء (٢٦٦/١).

(٤) مختصر الدول لابن العبري (ص/١٧٦). وذكر د. شوقي أبو خليل بأن قصة إحراق عمرو للمكتبة حذفت من هذا الكتاب في طبعته الأخيرة. انظر كتابه الإسقاط (ص/١٢٥) الحاشية.

(٥) المواعظ والاعتبار (٩٩/١).



توفي قبل الفتح العربي بثلاثة وأربعين عاماً وأكد على سبق وفاته بتلر، وقال: بأنه أمر مقرر لا شك فيه[1].

٢ ـ لو سلمنا أن المكتبة أحرقت كما قيل، لكان الأقرب إلى الأذهان أن تحرق فوق ربوة القلعة، ولكن القصة تريدنا أن نقول: إن تلك المكتبة قد كلفت الناس مشقة حملها في عيب ليفرقها بين الحمامات العدة، لتتخذ وقوداً مدة ستة أشهر. وما كل ذلك سوى نسيج من الباطل، فإن تلك الكتب إذا كان قد قضي عليها بالحرق لأحرقت حيث هي، وما كان عمرو بن العاص وقد أبى أن يعطيها لصديقه (فليبونس) ليجعلها في أيدي أصحاب الحمامات في المدينة، فإنه لو فعل ذلك لاستطاع (حنا فليبونوس) أو سواه من الناس أن يستنقذوا عدداً عظيماً منها بثمن بخس في تلك الشهور الستة التي قيل: إنها جعلت وقوداً للحمامات فيها[2].

٣ ـ مما لا شك فيه أن كثيراً من الكتب في مصر في القرن السابع كانت من الرق وهو لا يصلح للوقود، وما كان أمر الخليفة ليجعله ليصلح لذلك. فلنسائل إذن أنفسنا ماذا كان من أمر تلك الكتب المخطوطة على الرق. وإذا نحن استبعدناها فكيف يتصور أحد أن يبقي من سواها يكفي لوقود أربعة آلاف حمام مدة مائة وثمانين يوماً. إن إيراد القصة على هذه الصورة مضحك، وإنه ليحق لنا أن نسمع ما فيها ونعجب[3].

(١) فتح العرب لمصر، بتلر (٤٢٢).

(٢) المصدر نفسه (٤٢١).

(٣) المصدر نفسه.



٤ ـ إن القصة تشير إلى واحدة من مكتبتين: الأولى: مكتبة المتحف وهذه ضاعت في الحريق الكبير الذي أحدثه قيصر، وإن لم تتلف عند ذلك كان ضياعها فيما بعد في وقت لا يقل عن أربعمائة عام قبل الفتح العرب، وأما الثانية: وهي مكتبة السرابيوم، فإما أن تكون قد نقلت من المعبد قبل عام٣٩١، وإما أن تكون قد هلكت أو تفرقت كتبها وضاعت، فتكون على أي حال قد اختفت قبل فتح العرب بقرنين ونصف قرن[(١)].

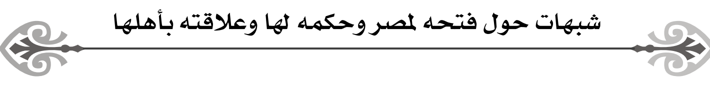
٥ ـ إن هذه المكتبة لو كانت لا تزال باقية عندما عقد (قيرس) صلحه مع العرب على تسليم الإسكندرية، لكان من المؤكد أن تنقل كتبها، وقد أبيح ذلك في شرط الصلح الذي يسمح بنقل المتاع والأموال في مدة الهدنة التي بين عقد الصلح ودخول العرب في المدينة، وقدر ذلك أحد عشر شهراً[(٢)].

ولا يمكن أن يبقى شك في الأمر بعد ذلك فإن الأدلة قاطعة وهي تبرر ما ذهب إليه (رينودو) من الشك في قصة أبي الفرج وما ذهب إليه (جبون) من عدم تصديقها ولا بد لنا أن نقول إن رواية أبي الفرج لا تعدو أن تكون قصة من أقاصيص الخرافة ليس لها أساس في التاريخ[(٣)].

(١) المصدر السابق (٤٤١).

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.



* **الوجه الثالث:** أن متقدمي المؤرخين أغفلوا ذكرها مع أهمية الحدث وجسامته؛ فدل على عدم وجودها زمن الفتح، وإنما تناقلته الألسن في أزمنة متأخرة لا يعلم مصدرها، ولعل مختلقها من الحاقدين على الإسلام أراد به تشويه صورة الإسلام. **قال بتلر:** «إن كُتَّاب القرنين الخامس والسادس لا يذكرون شيئاً عن وجودها، وكذلك أوائل القرن السابع»[(١)].

وقال: لو صح أن هذه المكتبة قد نقلت، أو لو كان العرب قد أتلفوها حقيقة لما أغفل ذكر ذلك كاتب من أهل العلم كان قريب العهد من الفتح مثل (حنا النقيوسي) ولما مر على ذلك بغير أن يكتب حرفاً عنه[(٢)]. وكان رئيساً لأساقفة الوجه البحري مات في الحكم الأموي.

«ولوكانت الرواية صحيحة؛ لذكرها (أوتيخا) المؤرخ المعاصر للفتح الإسلامي لمصر، والذي وصف فتح مصر بإسهاب»[(٣)].

قال جاك ريسلر:... قبل ختم هذه الدراسة المتعلقة بالمكتبات من المفيد البت المنصف في خرافه شرسة بوجه خاص. فقد اتهم عمرو ابن العاص أنه نفذ أمر الخليفة عمر بتحطيم مكتبة الإسكندرية.

والحال خلافاً لهذه التهمة، يستحسن أن نلاحظ أن مكتبة أُولى كانت قد أحرقت، بأمر من يوليوس قيصر سنة ٤٨ ق. م، وأن

(١) فتح العرب لمصر (ص/٤٤١).

(٢) المصدر نفسه.

(٣) الإسقاط في مناهج المستشرقين، د. شوقي أبو خليل (١٢٦).



النصارى دمروا مكتبة أخرى من النوع ذاته في عهد البطريرك تيوفيل سنة ٣٩٢. وأن عدة معارك وقعت بين ٣٩٢ و٦٤٢، وهو عصر التحطيم المزعوم. زد على ذلك أن عدداً من الكتب كان عرضة للزوال في خلال مائتين وخمسين سنة وذلك بسبب الإهمال وعدم الاعتناء. وأخيراً كانت خمسة قرون ونصف القرن قد مرت وانصرمت ما بين وقوع الحادثة المزعومة وأول إعلان عنها، في حين أن أي معاصر لها لا يأتي على ذكرها ولو حتى ايطيخيوس مطران[١] الإسكندرية الذي وصف الإسكندرية سنة ٩٣٣، وفوق ذلك لم يكن مثل هذا الموقف مألوفاً في سلوك عمرو الذي كان قد حال بنفسه دون نهب عدة مدن وحتى أنه انقلب على عادة قديمة جداً حين أعلن حرية العبادات بكل جرأة[٢].

❋ **الوجه الرابع**: وجود عدد من المؤرخين من غير المسلمين يثبتون ويؤكدون أن الحريق وقع قبل الفتح الإسلامي.

تقول الدكتورة زيغريد هونكة: «الحق الذي لا مراء فيه أن المجمع العلمي، الذي ضم أكاديمية الإسكندرية التي شيدها الملك بطليموس الأول سوتر عام ٣٠٠ ق. م. كان مصدر إشعاع علوم الإغريق الهلينية، بمكتبته الضخمة التي حوت قرابة مليون مخطوطة، قيل: إنها جمعت كل ما كتب باللغة اليونانية؛ على أن ذلك المجمع العلمي الشامل لكافة

---

(١) مرتبة دينية تحت الجاثليق وفوق الأسقف. تقدم (ص/١٥٢).

(٢) الحضارة العربية لجاك ريسْلر (١٠٦ ـ ١٠٧).



أنواع العلوم والمعارف وقتذاك كانت ألسنة النيران قد أتت عليه عام ٤٧ ق م. إبان حصار قيصر للإسكندرية، ثم إن كليوباترة أعادت تشيد المكتبة وتزويدها بعدد لا يستهان به من المخطوطات من مكتبة برجمانون المصرية.

على أن القرن الثالث الميلادي كان بداية التدمير المخطط:

ـ فترى القيصر كاراكلا يلغى الأكاديمية ويحلها، ويسفك دماء علمائها في مذبحة وحشية فظيعة...

ـ كما أن البطريرك النصراني عام ٢٧٢ م يغلق المجمع ويشرد علماءه آمراً بحرق (مؤلفات الكفرة)؛ فيبيدها المشتعلون حماساً دينياً من النصارى...

وفى عام ٣٦٦ م يحول القيصر فالنس (السيزار يوم) إلى كنيسة وينهب مكتبته ويحرق كتبها، ويضطهد فلاسفته ويلاحقهم بتهمة ممارسة السحر والشعوذة...

وفى عام ٣٩١ م ـ مواصلة استئصال شأفة الكفرة ـ أي غير النصارى ـ يفلح البطريك[١] ثيوفيلوس في الحصول على إذن القيصر ثيودوزيوس لهدم (السرابيوم) كبرى الأكاديميات وآخرها، وموئل حكمة العصور القديمة، والقبلة الذائعة الصيت يحج إليها طالبو الحكمة من كل صوب، ويترك مكتبتها بما حوتة من ثلاثمائة ألف مخطوطة نهبا

(١) قال الليث: البطريق: بلغة أهل الشام والروم هو القائد، وجمعه بطارقة. تهذيب اللغة (٣٠٣/٩).




للنيران، قرير العين بتشييده ديراً وكنيسة على أنقاضها....

ـ أما ما نجا ومن نجا فقد أمسى غرضاً لعصابة نصرانية من الغلاة المراهقين انتشرت في الإسكندرية في القرن الخامس الميلادي تولت مواصلة تدمير علوم الكفرة وفلسفتهم وتحطيم مراكز ثقافتهم وآثارهم ومكتباتهم والهجوم على علمائهم، كما اعترف بذلك في وقاحة ودون خجل سيفروس الأنطاكي ـ الذي صار فيما بعد بطريرك القبط وكذا صديقاً له.

وهكذا نرى أن المكتبات القديمة في مصر جميعاً لم يكن لها أي وجود أيام دخول العرب الإسكندرية عام ٦٤٢م»[١].

قال بتلر: «غير أننا نستبعد كل الاستبعاد أن تكون مكتبة السرابيوم الكبرى قد بقيت إلى القرن السابع، من غير أن نجد فى كتابة أحد من كتاب القرنين الخامس والسادس ما يدل على وجودها دلالة صريحة لا لبس فيها ولا إبهام. ولنذكر من ذلك مثلاً واحدًا وهو (حنا مسكوس) وقد سبق لنا ذكر زيارته لمصر مع صديقه (صفرونيوس) قبل فتح العرب بسنين غير كثيرة. وقد بينا ما كان عليه هذان الرجلان من محبة العلم، وشغفهما بالكتب وما يتصل بها، وقد كتبا مقداراً عظيماً وسافرا إلى كثير من بلاد مصر، وأقاما فيها زمناً طويلاً، ولكنا لا نرى في كتاب من كتبهما إذا قلبناها واستوعبنا قراءتها ذكراً لمكتبة عامة في البلاد، اللهم إلا لمكاتب أفراد الناس وعلى ذلك يكون قد مر قرنان لا

(١) الله ليس كذلك (ص/٧٣ ـ ٧٤).

تذكر فيهما تلك المكتبة»[1].

قال جيبون: «وأنا من جانبي أميل ميلاً شديداً إلى جحد الواقعة نفسها وسائر ما يترتب عليها من النتائج!... فشهادة مؤلف كأبي الفرج يكتب في هذه المسألة بعد ستة قرون، وهو أجنبي عن مصر يقيم في مكان بعيد كل البعد عن تخومها ـ ترجح عليه رجحاناً شديداً دلالة الإغفال أو الصمت عن الإشارة إلى شيء من ذلك في كتابات أقدم مؤرخَيْن لهذا العهد، وكلاهما مسيحي، وكلاهما من أهل مصر نفسها، وأقدمهما البطريق يوتيخوس، وكلاهما أسهب في وصف فتح العرب للسكندرية وأفاضا في ذكر تفصيلاته»[2].

قال العقاد: «وأحرى شيء أن يلاحظ في مسألة المكتبة هذه أن الذين أدحضوها وأبرأوا عمر من تبعتها كان معظمهم من مؤرخي الأوروبين الذين لا يتهمون بالتشيع للمسلمين وكانوا جميعاً من الفئات الذين يؤخذ بنتائج بحثهم في هذا الموضوع».

وذكر نَصْيِّ بتلر وجيبون المتقدمَيْن ثم قال:

«**والمستشرق كازانوفا** يسمي الحكاية أسطورة ويقول: «إنها نشأت بعد تاريخ الحادثة بستة قرون وبنقضها لمثل الأسباب التي لخصناها في كتاب بتلر»، ثم يقول: «وهناك اعتراض أخطر مما تقدم وهو إن ما ذكر عن يحيي النحوي منقول عن كتاب الفهرست لابن النديم في أواخر

(١) فتح العرب لمصر (ص/٤٣٨).

(٢) عمرو بن العاص لنظمي لوقا (ص/١٤٩).



القرن العاشر، وفيه يحيى هذا عاش حتى فتحت مصر، وكان مقرباً من عمرو ولم يذكر شيئاً عن مكتبة الإسكندرية، فحادثه المكتبة إذن من أوهام القفطي أخذها عن خرافة شائعة في عصره».

فمن جملة هذا العرض لآراء نخبة من الفئات في هذه المسألة يحق لنا أن نعتقد: أن كذب الحكاية أرجح من صدقها، وأنها موضوعة في القرن الذي كتبت فيه ولم تتصل بالأزمنة السابقة له بسند صحيح، أو ربما كانت مدسوسة علي الرواة المتأخرين؛ للتشهير بالخليفة المسلم، وتسجيل التعصب الذميم عليه وعلى الإسلام.

وإذا كانت هذه الحكاية من تلفيق النيات السيئة فالمعقول ألا توضع قبل القرن السادس الهجري الذي تسربت فيه إلى الكتب المدونة، وهذا يفسر لنا كل غموض يستوقف النظر في الحكاية من جميع أطرافها.

لأن تلفيق هذه الحكاية يستلزم عناصر شتى لا تجتمع كلها في وقت واحد قبل القرن السادس للهجرة...

وقد يستلزم تلفيق الحكاية أن تكون مصر وأخبارها موضع اهتمام ومثار قيل وقال، ولم تكن مصر قبلة أنظار العالم كما كانت في أوقات الحروب الصليبية، يوم كانت هي ميدان الفصل ومناط الظفر والهزيمة بين جيوش الدنيا المحشودة فيها أو على أبوابها. وقد يستلزم كذلك أن يكون العصر عصر حَزَازَة بين الإسلام وخصومه كما كان عصر الحروب الصليبية وما قبله بقليل.




... فتلفيق الحكاية إذن كان عجيباً في أيام فتح الإسكندرية وما تلاها من الأزمنة إلى زمان القفطي والبغدادي وأبى الفرج الملطي، ولهذا لم تظهر حكاية المكتبة في تلك الأيام. وتلفيقها في عصر الحروب الصليبية غير عجيب لاجتماع الأسباب التي يستلزمها ذلك التلفيق»[١].

❊ **الوجه الخامس**: أن بعض المؤرخين زار المكتبة قبل الفتح الإسلامي ووجدها خالية.

فقد زار (أورازيوس orazius) الإسكندرية في أوائل القرن الخامس الميلادي، فذكر أن رفوف المكتبة خالية من الكتب عند زيارته (ينعق فيها البوم) بعد أن أتلفت بنحو عشرين سنة، وقد أتلفها (تيوڤيل) بطريق الإسكندرية، بعد أن نال الأمر الإمبراطوري بإتلافها[٢].

❊ **الوجه السادس**: الإسلام لم يكن في يوم من الأيام عدواً للعلم، إنه الدين الذي بدأ دستوره الإلهي الخالد بكلمة (اقرأ)، وثنى بقسم (بنون) ـ التي هي الدواة ـ (ن، والقلم وما يسطرون).... وإن أعمال الخلفاء من بني أمية، ومن بني العباس في الحفظ على الكتب الهندية والفارسية والرومية واليونانية والسريانية كثيرة جداً، بل وسعى بعض هؤلاء الخلفاء إلى جلب هذه الكتب من مدن أوربة وغيرها،

(١) عبقرية عمر (٥٩٠).

(٢) الإسقاط في مناهج المستشرقين، د. شوقي أبو خليل (١٢٧).

وبذلوا الكثير من أجل الحصول عليها، وسعوا إلى ترجمتها إلى العربية والاستفادة منها في مختلف الاختصاصات كالطب والفلك والرياضيات والنبات وغيرها، أما كتب الفلسفة اليونانية فقد درسوها ونقدوها وأوجدوا فلسفة إسلامية تقف في وجه الفلسفة اليونانية ذات الأصول الوثنية المادية.

وهذا الموقف السليم من كتب الشعوب ومكتباتهم أمر طبيعي في الإسلام، اقتبسه المسلمون من سنة رسول الله ﷺ، فعندما فتح المسلمون حصن الوطيح، وحصن السلالم في غزوة خيبر، وجدوا صحائف متعددة من التوراة، فجاء اليهود يطلبونها، فأمر رسول الله ﷺ بدفعها إليهم.

وهذا التسامح والموقف الإنساني سبقه تسامح آخر عندما ترك صحائف اليهود ولم يتعرض لها بسوء، ولم ينظر لها نظرة غير طبيعية، مع شدة عداوة اليهود للمسلمين، فقد سمح لبني النضير بعد غزوة أحد بحمل صحفهم عند جلائهم عن المدينة المنورة(١).

بل قد قال ﷺ: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنْ النَّارِ»(٢)؛ فكان من الصحابة ـ كابن مسعود، وعبد الله بن عمرو، وابن عباس رضي الله عنهم ـ

---

(١) المصدر السابق (ص/١٣٠).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل (٣) رقم (٣٢٧٤).




أحياناً يحكون من أقاويل أهل الكتاب التي أباحها رسول الله ﷺ في هذا الحديث.

قال ابن كثير: ولهذا كان عبد الله بن عمرو يوم اليرموك قد أصاب زاملتين من كتب أهل الكتاب، فكان يحدث منهما بما فهمه من هذا الحديث من الإذن في ذلك.

ولكن هذه الأحاديث الإسرائيلية تذكر للاستشهاد، لا للاعتضاد، فإنها على ثلاثة أقسام:

أحدها: ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق، فذاك صحيح.

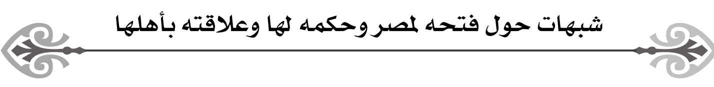
والثاني: ما علمنا كذبه بما عندنا مما يخالفه.

والثالث: ما هو مسكوت عنه لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل، فلا نؤمن به ولا نكذبه، وتجوز حكايته لما تقدم(١).

الوجه السابع: أن الغرب المتمسك بالمسيحية هو الذي ظل بضعة عشر قرناً عدواً للعلم محارباً له، بعيداً عن المدنية والعلوم والمعارف والصناعات النافعة إلى غاية يخجل العقل من تصورها، وما نفع أوربة ما لديها من الدين ورجاله في رفعها مما كانت فيه من التأخر والهمجية، ولم تتقدم نحو التمدنية إلا يوم اختلطت بالمسلمين، وعندها قامت

---

(١) يعني للحديث المتقدم «وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ» انظر: تفسير ابن كثير (١/٨ ـ ٩).



قيامة الإكليروس عليها، وكفَّروا كل من يتعلم غير علوم الكنيسة واضطهدتهم وقتلتهم حرقتهم، إلى غير ذلك من الفظائع التي شوهت وجه الإنسانية[1].

وجاء في مجلة (المقتبس): **قال كوندي في تاريخه:** إن مسيحيي إسبانية لما استولوا على قرطبة حرقوا كل ما طالت إليه أيديهم من مصنفات المسلمين، وعددها مليون وخمسون ألف مجلد، وجعلوها زينة وشعلة في يوم واحد، ثم رجعوا على سبعين مكتبة في الأندلس وأنشأوا يتلفون كل ما عثروا عليه في كل إقليم من مؤلفات العرب، وقال أحد مؤرخيهم (ربلس): إن ما حرقه الإسبانيون من كتب الأندلسيين بلغ ألف ألف وخمسة آلاف مجلد، وذكر بعض المؤرخين أن أحد جثالقتهم أمر بإحراق ثمانين ألف مجلد في ساحات غرناطة عقيب استيلائهم عليها، وإنهم قبضوا على ثلاث سفن قاصدة مراكش تنقل ما عز على المسلمين أن يخلفوه وراءهم من أسفارهم فألقوها في قصر الإسكوريال، ثم لعبت فيها النيران[2].

* **الوجه الثامن:** نفرض أن عمر بن الخطاب أمر بإحراق مكتبة الإسكندرية، فما هي الوصمة التي تلحقه من هذا الأمر؟ ولماذا كان يحرم عليه أن يحرقها ويجب عليه أن يستبقيها ويفتح أبوابها؟ ولماذا كان ينبغي أن يكون على يقين أنها شيء مفيد للمسلمين ولغيرها من

---

(١) الإسقاط في مناهج المستشرقين، د. شوقي أبو خليل (ص/١٢٧).

(٢) المصدر نفسه (ص/١٣٠).



الأمم، وأنها ذخيرة من ذخائر العالم لا يجوز التفريط فيها؟ أمن النقص في تفكير الإنسان أن ينشأ بمعزل عن بلاد اليونان وعن عصر حكماء اليونان فلا يطلع على الفلسفة اليونانية؟ أكانت فائدة تلك واضحة كل الوضوح من أحوال أقوامها الذين حفظوها، إن صح أنهم حفظوها؟

إن أحوال الروم والقبط في ذلك العهد لم يكن فيها دليل واحد على أنهم محتفظون بينهم بمعرفة نفسية، وأن ضياع كتبهم فيه ضياع لذخيرة من ذخائر العالم التي لا يجوز التفريط فيها.

فقد كانوا على شر حال من الضعف والفساد والجهل والهزيمة والشقاق والتهالك على سفاسف الأمور. فإذا كان عمر غير مطالب بعلم الفلسفة اليونانية أو غير ملوم على فوات الاطلاع عليها، وإذا كانت أحوال الأمم التي هي أهلها لا تدل على قيمتها بل تسوغ الاعتقاد بخلوها من كل قيمة، فأين هو العيب في تفكيره إن صح أنه فكر على ذلك المنوال؟

إنما يعيب الإنسان أن يكون عدواً للمعرفة على إطلاقها ولم يكن عمر عدواً للمعرفة ولا معرضاً عنها، بل كان مشغوفاً بها حيث رآها دينية أدبية، ومن قومه أتت أو من غير قومه.

فكان يستشير الغرباء في تدوين الدواوين ومنافع الصناعة ولا ينتهي عن علم شيء إلا أن يكون فيه فتنة أو ضلال. وكان ولا ريب يؤثر للمسلمين أن يقبلوا على دراسة القرآن ويقدموا فهمه على فهم كل



كتاب. وهذا واجبه الأول الذي لا مراء فيه، وما من أحد هو مطالب بهذا الواجب قبل أن يطالب به عمر على التخصيص؛ لأنه الخليفة الذي في عهده انتشر المسلمون بين أقطار المشرق وخيف عليهم أشد الخوف أن ينحل العقد الذي جمعهم وبث فيهم الهمة والبأس وسودهم على العالمين.

وفي الأخبار التي نقلت بهذا الصدد أن رجلاً أنبأه أنهم لما فتحوا المدائن أصاب كتاباً فيه كلام معجب، فسأل: أمن كتاب الله؟ قال لا. فدعا بالدرة فجعل يضربه بها وهو يقرأ:

﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[1].

ثم قال: «إنما أهلك من كان قبلكم أنهم أقبلوا على كتب علمائهم وتركوا التوراة والإنجيل حتى درسا وذهب ما فيهما من العلم».

رويت هذه الرواية عن عمر بن ميمون عن أبيه، وليس فيها ما يأباه العقل ولو حكمنا على عمر بحكم الدنيا وحكم التجربة الواقعية وتركنا حكم الدين والإيمان إلى حين.

فبالتجربة الواقعية أيقن عمر أن المسلمين بكتابهم خرجوا من الظلمات إلى النور وانتصروا على من حاربوه وعندهم كل كتاب.

وما فرغ المسلمون بعد من قراءة القرآن ولا انقضت على تداوله

---

(١) سورة يوسف الآيات (١ ـ ٢).




بينهم سنوات فكيف يرضى الخليفة الذي يهمه أمر رعاياه أن ينصرفوا عنه إلى كتب لا يؤمن ما فيها؟ وكيف يكون الحال إذا تفرقوا شذر مذر ولهم في كل بلد قراءة غير هذا الكتاب الذي لم يفرغوا منه ولم يستوعبوا كل ما فيه؟ أمن عداوة المعرفة هذا، أو من إيثار المعرفة التي تتقدم على غيرها؟ وإذا لم تتقدم هذه المعرفة على غيرها في السنوات الأولى من تداول القرآن الكريم فمتى تتقدم؟ ومتى يعطي القرآن حقه من الفقه والوعي والإقبال؟ وأين هي الغنيمة الروحية التي تعدل في كتاب من الكتب بعض ما غنمه المسلون بوحي القرآن في صدر الإسلام؟

فعلى أي فرض من الفروض لم يكن في تصرف عمر ما يأباه العقل الذي ينظر إلى الحقائق المشهودة والآثار الواقعة، ويجوز أنه أمر بإحراق مكتبة الإسكندرية على أبعد احتمال، ولكن الذي يجوز لمنصف أن يفهم من ذلك أنه عدو الثقافة وهو الأديب الفقيه الخطيب، وهو قد وازن بين معرفة ظاهر النفع ومعرفة مجهولة ظواهرها كلها تغري باتهامها. ولا لوم عليه أن يولد حيث يجهلها، ولا لوم عليه أن يتهمها وهي لم تنفع أهلها يوم رآهم يخبطون في الضلالة والهزيمة، ولا يقال عن عقل يفكر هذا التفكير إنه لم يفكر على هدى مستقيم(١).

فيتلخص لنا ـ أخي الكريم ـ مما تقدم أن هذه الأسطورة المنسوبة إلى المسلمين لم يذكرها المؤرخون المتقدمون المعاصرون للفتح أومن

(١) عبقرية عمر للعقاد (ص/٨٢ ـ ١٨٤).




بعدهم إلى القرن السادس ولو كان الحدث صحيحاً؛ لذكروه، لاسيما حنا النقيوسي الذي كان معاصراً للحكم الأموي وكان يتعسف في كتاباته عن عمرو ويوصفه بأشياء لم يفعلها وحاول أن يعكس صورة الفتح الحقيقية، ولو كان أحرقها عمرو لذكرها، لكن ربما لم يخطر بباله أن يلصقها بعمرو، أو أنه استبعد أن يصدقها أحد لقدم حصول الحادثة عن الفتح. ومما يؤكد مضي زمن الحادثة عن الفتح زيادة على ما تقدم: شهادة من رأى المكتبة خالية قبل الفتح، ووجود جمع كبير من المؤرخين غير المسلمين ممن درس هذه الحادثة وأكد على أنها متقدمة عن الفتح بأعوام كثيرة. فلا يبقى لنا بعد هذه المقدمات إلا أن نصل إلى النتيجة الصحيحة وهي أن حريق المكتبة كان قبل الفتح الإسلامي وأن المسلمين منه براء كبراءة الذئب من دم يوسف.

❊ ❊ ❊




۞ الشبهة الرابعة: تركه تحطيم (أبو الهول)[1] والأهرام[2]:

ومفاد ذلك: أن ترك عمرو بن العاص رضي الله عنه ـ عندما فتح مصر ـ لتحطيم (أبو الهول) والأهرام دليل على عدم وجوب تحطيم التماثيل التي لا تعبد[3].

---

(١) يربض أبو الهول علي مقربة من الوادي الخاص بالملك خفرع في قلب مكان منخفض علي الحافة الشرقية لهضبة الجيزة متجها نحو الشرق وهو جزء من مجموعه الملك خفرع الهرمية.
وأبو الهول عبارة عن ربوة ضخمة من الصخر كانت في حقيقة الأمر جزءاً من أحد المحاجر التي استخدمها العمال لقطع الأحجار اللازمة لبناء المقابر والأهرامات، وقد تركها العمال علي ما يبدوا لعدم صلاحيتها ولقد فكر مهندسو الملك خفرع في استغلال هذه الكتلة الضخمة فشكلوها على شكل أسد رابض هائل الحجم له رأس إنسانية تمثل الملك خفرع نفسه وفوق رأسه لباس الرأس الملكي المعروف باسم النمس وحية الكوبرا علي جبهته واللحية الطويلة المستعارة وهما شعاران للملكية.
واسم (أبو الهول) ربما يرجع إلى اللفظ المصري القديم بر حول «بمعنى» بيت الأسد. تاريخ وحضارة مصر لسمير أديب (ص/٨٠).
مقاييس التمثال هي كالآتي: الارتفاع ٦٦ قدماً، والطول ٢٤٠ قدماً، وطول الأذن ٤ أقدام و٦ بوصات، الأنف ٥ أقدام و٧ بوصات، الفم ٧ أقدام و٧ بوصات، العرض الكلي للوجه ١٣ قدماً و٨ بوصات. انظر: أبو الهول، د. سليم حسن (ص/٨٦).

(٢) أكبر الأهرام ما يسمى بالكامل أو الأكبر الذي كان ارتفاعه ١٤٦متراً (وأصبح الآن ١٣٧متراً) وكان طول القاعدة المربعة ٢٣٠ متراً (وأصبح الآن ٢٢٧ متراً) في آثار مصر القديمة (ص/٥٠) وأصبح الآن ١٧٠متراً، ويسمى هذا الهرم بالأكبر. ويشغل مساحة تزيد عن ١٢ فدان. تاريخ وحضارة مصر القديمة (ص/٥٩ ـ ٧١) باختصار.

(٣) مقال في صحيفة الوطن، لسليمان بن عبد الله التركي، عدد (١٧٩)، الثلاثاء ١٤٢٢/١/٢هـ. كما في كتاب معابد الكفار لإبراهيم الفهيد (ص/١٨٧).




الجواب: يجاب على هذه الشبهة من ثمانية أوجه.

❊ **الوجه الأول**: القول بأن الصحابة رأوها وتركوها **دعوى** تحتاج إلى إثبات، وليس هناك ما يثبت ذلك.

❊ **الوجه الثاني**: كون الصحابة ومنهم عمرو بن العاص، رأوها أولم يروها احتمالان واردان لا يستطاع الجزم بأحدهما، لكن عند توارد الاحتمالات يؤخذ بالاحتمال الراجح ويترك المرجوح، فإن تساويا تساقطا ونظر إلى دليل آخر. والذي يظهر أن احتمال كونهم لم يروها أرجح لعدة أمور منها:

أ ـ أنه لم يرد لها ذكر على لسان الصحابة ولا التابعين ولو كانا ظاهرين لكانا موقع سؤال ولنقل إلينا.

ب ـ في كتاب آثار مصر القديمة[١] ذكر أن أول من ذكر الأهرامات ابن الفقيه الذي زار مصر في القرن الثالث الهجري/ أو التاسع الميلادي، وأما أبو الهول فكان أول من ذكره المقدسي البشاري الذي زار مصر في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي في جملة مختصرة ضمن حديثه عن الجيزة إذ قال: «وثم صنم يزعمون أنه الشيطان كان يدخله فيكلمه حتى كسر أنفه وشفتيه» اهـ[٢]. إلا أنه ليس صريحاً بأنه أبو الهول والذي ذكره صراحة ابن جبير ـ في كتابه الرحلة ـ الذي زار مصر في القرن الثامن عشر الميلادي. وقد ذكر

(١) آثار مصر القديمة في كتابات الرحالة العرب والأجانب لجيلان عباس (ص/٥٣).
(٢) المصدر نفسه (٨٧).



عبداللطيف البغدادي ـ في كتابه الإفادة ـ الذي زار مصر في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر ميلادي: أن الذي يظهر من (أبو الهول) رأسه وعنقه قال: «ويزعمون أن جثته مدفونة تحت الأرض ويقتضي للقياس أن تكون جثته بالنسبة إلى رأسه سبعين ذراعاً»[1]. فيحتمل أنه كان في القرن الأول الهجري وقت دخول الصحابة رضوان الله عليهم، مدفونا في الرمال.

❊ **الوجه الثالث:** أن المرء لا يحكم على الشيء بموقف واحد، بل لا بد أن ينظر في المواقف الأخرى أو في الحالات المشابهة؛ ومن ثم يستطيع أن يتوصل إلى نتيجة صحيحة.

ومعلوم موقف الإسلام[2] من التماثيل فقد كسر ﷺ الأصنام لما دخل الكعبة يوم الفتح، وأمر بالصور فمحيت، وكانت توجد صورة إبراهيم وإسماعيل ومريم عليهم السلام كما في البخاري[3]، ولم يصح أنه

---

(١) انظر المصدر نفسه (٨٧ ـ ٨٨).

(٢) وأما امتنان الله على نبيه سليمان عليه السلام بقوله تعالى: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ﴾ قيل: كانت من زجاج ونحاس ورخام تماثيل أشياء ليست بحيوان. لأن التمثال وهو كل ما صور على مثل صورة من حيوان أو غير حيوان. وذكر أنها صور الأنبياء والعلماء، وكانت تصور في المساجد ليراها الناس فيزدادوا عبادة واجتهاداً، قال ﷺ: «إن أولئك كان إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور». أي ليتذكروا عبادتهم فيجتهدوا في العبادة. وهذا يدل على أن التصوير كان مباحاً في ذلك الزمان، ونسخ ذلك بشرع محمد ﷺ. وعن أبي العالية لم يكن اتخاذ التصاوير إذ ذاك محرماً. انظر: التفسير الوسيط للواحدي (٣/٤٨٩)، وتفسير القرطبي (١٤/٢٧٢)، والسراج المنير للخطيب الشربيني (٣/٢٨٦).

(٣) (٢) رقم (١٥٢٤)، (٣) رقم (٣١٧٣).




استثنى صورة عيسى بن مريم وأمه عَلَيْهِمَا السَّلَام[1]، ولم يرد أن هذه الصور

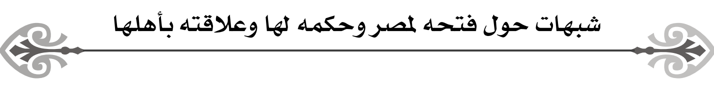
(١) وأما ما ذكر من الأحاديث بأن النبي ﷺ أمر بترك صورة عيسى بن مريم وأمه فهي ضعيفة من عدة وجوه: منها ضعف إسنادها مع نكارة متنها، ومنها أنه ورد عن غير واحد من الصحابة «أن النبي ﷺ أمر في يوم الفتح بأن تمحى كل صورة في الكعبة ولم يستثني أي صورة»، من ذلك ما رواه عن ابن عباس رضي الله عنهما: «أن رسول الله ﷺ لَمَّا قَدِمَ أَبَى أَنْ يَدْخُلَ الْبَيْتَ وَفِيهِ الْآلِهَةُ فَأَمَرَ بِهَا فَأُخْرِجَتْ فَأَخْرَجُوا صُورَةَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ» أخرجه البخاري (١٥٦/٤)، وما رواه جابر أن النبي ﷺ أمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه زَمَنَ الْفَتْحِ وَهُوَ بِالْبَطْحَاءِ أَنْ يَأْتِيَ الْكَعْبَةَ فَيَمْحُوَ كُلَّ صُورَةٍ فِيهَا وَلَمْ يَدْخُلْ الْبَيْتَ حَتَّى مُحِيَتْ كُلُّ صُورَةٍ فِيهِ». أخرجه أحمد (٢٣) رقم (١٥١٠٩) قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

وما رواه أسامة بن زيد قال: «دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي الْكَعْبَةِ وَرَأَى صُوَرًا قَالَ: فَدَعَا بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ فَأَتَيْتُهُ بِهِ فَجَعَلَ يَمْحُوهَا وَيَقُولُ: قَاتَلَ اللَّهُ قَوْمًا يُصَوِّرُونَ مَا لاَ يَخْلُقُونَ». أخرجه الطيالسي (١) رقم (٦٢٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٧٧٤١)، وسيأتي معك في الوجه الرابع شدة إنكار النبي للصور وغضب لما رآها في بيته وأخبرنا بأنها الملائكة لا تدخل بيت فيه صورة، فكيف سيرضى أن تبقى في بيت الله!، وما ورد عن بعض التابعين أنهم رأوها. يحمل على عدة وجوه منها:

١ ـ يحتمل أن تكون صورة مريم وعيسى محفورة في عمود البيت بحيث لا يذهبهما الغسل بالماء، فلهذا بقيت إلى أن احترق البيت في عهد ابن الزبير.

٢ ـ يحتمل أن تكون مصبوغة بصبغ ثابت لا يذهبه الماء أو أنه قد ذهب بعض الصبغ حين محيت بالماء في زمن النبي ﷺ وبقي منه بقية تظهر منه الصورة.

٣ ـ يحتمل أن يكون بعض النصارى وضعها بعد زمان النبي ﷺ وبعد زمان الخلفاء الراشدين، ولا سيما في زمن الفتنة التي كانت في زمن يزيد بن معاوية فقد يتسمى بعض النصارى بالإسلام بحيث لا يرد عن دخول مكة ودخول الكعبة فيصور صورة مريم وعيسى ليفتن المسلمين بذلك ويوهمهم أن النبي ﷺ قد أقر صورتهما،=



كانت تُعْبَد، وأرسل ﷺ الصحابة رضوان الله عليهم؛ لكسر الأصنام، فبعث سعد بن زيد الأشهلي رضي الله عنه لهدم مناة، وعمرو بن العاص رضي الله عنه لهدم سواع، وخالد بن الوليد رضي الله عنه لهدم العزى[١]. فهدم التماثيل وإزالتها أمر راسخ لدى الصحابة سواء أعدت للعبادة أولم تعد لذلك.

وهذا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب يرسخ هذا الأمر لمن لم يدركوا رسول الله ﷺ، فعن أبي الهياج الأسدي قال: قال لي علي بن أبي طالب ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ؟ «أَنْ لَا تَدَعَ تِمْثَالًا إِلَّا طَمَسْتَهُ وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ»[٢].

فنجد في الحديث كلمة تمثال وقبر نكرة في سياق النفي، والنكرة في سياق النفي تفيد العموم فنحن مأمورون بطمس كل تمثال،

= ويحتمل أن يكون ذلك من عمل بعض من أسلم من النصارى بعد زمان النبي ﷺ وزمان الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم والله أعلم.

وليس في بقاء صورة مريم وعيسى في الكعبة بعد زمان النبي ﷺ ما يدل على أن النبي ﷺ قد أقر ذلك، فإنه ﷺ لا يقر المنكر ولا يرضى به وقد قال الله تعالى في صفته ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ (الأعراف: ١٥٧).

والمقصود هنا أنه لا يجوز أن يظن بالنبي ﷺ أنه يقر شيئاً من الصور أو يأمر بإبقائها، ومن ظن ذلك فقد ظن بالنبي ﷺ ما لا يليق به. وانظر للاستزادة ما كتبه التويجري في مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد واحد وأربعون، تحت عنوان (التنبيه على خبر با طل في أخبار مكة).

(١) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٢/١٤٦ ـ ١٤٧).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الجنائز، باب: الأمر بتسوية القبر (٢) رقم (٩٦٩).




وتسوية كل قبر مرتفع، أما التفريق بين ما أعد للعبادة وما لم يعد لها دعوى لا دليل عليها، بل الأدلة دالة على العموم، وسيأتي بيانه في الوجه الآتي.

❊ **الوجه الرابع**: أن النبي ﷺ نهى عن التصاوير وأمر بإزالتها ـ سواء اتخذت للعبادة أو لم تتخذ لذلك ـ ويتضح ذلك في عدة أحاديث منها:

١ ـ ما روته عائشة رضي الله عنها قالت: دخل علي النبي ﷺ وفي البيت قرام فيه صور فتلون وجهه ثم تناول الستر فهتكه وقالت قال النبي ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ يُصَوِّرُونَ هَذِهِ الصُّوَرَ»[1].

٢ ـ عن أبي زرعة قال دخلت أنا وأبو هريرة داراً تبنى بالمدينة لسعيد أو لمروان قال: فرأى مصوراً يصور في الدار فقال قال رسول الله ﷺ: «قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ خَلْقًا كَخَلْقِي فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً»[2].

٣ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ:

(١) أخرجه البخاري: كتاب الأدب، باب ما يجوز من الغضب والشدة لأمر الله (٥) رقم (٥٧٥٨) واللفظ له، ومسلم: كتاب اللباس والزينة، باب: لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا صورة (٣) رقم (٢١٠٧).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب: التوحيد، باب: قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ (٥) رقم (٥٦٠٩)، ومسلم: كتاب: اللباس والزينة، باب: لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا صورة (٣) رقم (٢١١١) واللفظ له.



«تَخْرُجُ عُنُقٌ مِنَ النَّارِ يَوْمَ القِيَامَةِ لَهَا عَيْنَانِ تُبْصِرَانِ وَأُذُنَانِ تَسْمَعَانِ وَلِسَانٌ يَنْطِقُ، يَقُولُ: إِنِّي وُكِّلْتُ بِثَلاَثَةٍ، بِكُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ، وَبِكُلِّ مَنْ دَعَا مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ، وَبِالمُصَوِّرِينَ»[(١)].

فهذه الأدلة تفيد تحريم عموم الصور[(٢)]، وهل يقول عاقل أن الستر الذي هتكه الرسول ﷺ في بيته أعد للعبادة عياذاً بالله، فقد غضب وأزالها بيده وهي مجرد رسم باليد لم يُقصد تعليقها بل جاءت ملصقة بالستر، ومع ذلك شملها النهي والوعيد، وإذا شمل النهي والوعيد الرسم باليد فصناعة التمثال لا شك أنه يدخل في هذا الوعيد من باب الأولى.

ولا يقال أيضاً: بأن هذا التشديد في النهي عن التصوير لقرب ذلك العهد من عبادة الأوثان؛ لأن أدلة التحريم عامة وليس فيها ما يدل على هذا التخصيص، ولقد أحسن ابن دقيق العيد المالكي الشافعي إذ يقول: وقد تظاهرت دلائل الشريعة على المنع من التصوير والصور. ولقد أبعد غاية البعد من قال: إن ذلك محمول على الكراهة، وإن هذا التشديد كان في ذلك الزمان، لقرب عهد الناس بعبادة الأوثان. وهذا الزمان حيث انتشر الإسلام وتمهدت قواعده ـ لا يساويه

(١) أخرجه أحمد (١٤) رقم (٨٤٣٠)، والترمذي: أبواب: صفة جهنم، باب: ما جاء في صفة النار (٤/٢٨٢) واللفظ له، وصححه الألباني في الصحيحة رقم (٥١٢).

(٢) ويستثنى من ذلك ما أوجبته الضرورة، كما في صور الهويات المدنية والجوازات والمطلوبين، وغيرها من الاستثناءات المفصلة في الكتب الفقهية.



في هذا المعنى. فلا يساويه في هذا التشديد ـ هذا أو معناه ـ وهذا القول عندنا باطل قطعاً، لأنه قد ورد في الأحاديث: الإخبار عن أمر الآخرة بعذاب المصورين، وأنهم يقال لهم «أحيوا ما خلقتم» وهذه علة مخالفة لما قاله هذا القائل وقد صرح بذلك في قوله ـ عليه السلام ـ «المشبهون بخلق الله» وهذه علة عامة مستقلة مناسبة، لا تخص زماناً دون زمان، وليس لنا أن نتصرف في النصوص المتظاهرة المتضافرة بمعنى خيالي، يمكن أن يكون هو المراد، مع اقتضاء اللفظ التعليل بغيره، وهو التشبه بخلق الله[1].

* **الوجه الخامس**: أن الصور ذات الأجسام أو مالها ظل محرمة بالإجماع.

قال ابن العربي: حاصل ما في اتخاذ الصور أنها إن كانت ذات أجسام حرم بالإجماع[2].

وقال النووي: وأجمعوا على منع ما كان له ظل ووجوب تغييره[3].

ولم يفصل العلماء عند نقل الإجماع على تحريمه، بين ما اتخذت للعبادة، أو اتخذت للرمز والتذكار. أو بين ما كان قريباً من زمن الجاهلية، أو كان بعيداً عنها.

---

(١) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام (١/٣٧١ ـ ٣٧٢).

(٢) فتح الباري (١٠/٣٩١).

(٣) شرح النووي على مسلم (١٤/٨٢).

❊ **الوجه السادس**: في شريعتنا الإسلامية قاعدة عظيمة من القواعد الكلية الكبرى وهي: أن اليقين لا يزول بالشك.

فتكسير الصحابة للأصنام والتماثيل في عهد النبي ﷺ معلوم يقيناً، وما قيل في الصحابة بأنهم لم يتعرضوا لهدم التماثيل في البلدان المفتوحة يدخله عدة احتمالات: إما أنها كانت داخل معابدهم التي قد صولحوا على إبقائها[1]، أو أنها كانت مطمورة تحت الرمال، أو عجزوا عن إزالتها لصلابتها وضخامتها. فهذه ثلاثة احتمالات، وكل احتمال منهن وارد فلا يزول ما علم يقيناً بما فيه شك واحتمال.

❊ **الوجه السابع**: لو سلمنا أنها كانت موجودة ـ في غير خارج معابدهم التي صولحوا عليها ـ وتركوها، لا يد ل على أنهم تركوها رضاً بل عجزاً وقد تقدم معك ضخامة وصلابة الأهرام (أبو الهول)، وقد ذكر ابن خلدون في تاريخه: في الفصل الرابع: بأن الهياكل العظيمة جداً لا تستقل ببنائها الدولة الواحدة، قال: ويشهد لذلك أيضاً أنّا نجد آثاراً كثيرة من المباني العظيمة تعجز الدّول عن هدمها وتخريبها مع أنّ الهدم أيسر من البناء بكثير؛ لأنّ الهدم رجوع إلى الأصل الّذي هو العدم والبناء على خلاف الأصل.

فإذا وجدنا بناء تضعف قوّتنا البشريّة عن هدمه مع سهولة الهدم علمنا أنّ القدرة الّتي أسّسته مفرطة القوّة وأنّها ليست أثر دولة واحدة،

(١) فتترك بشرط عدم إظهارها وإخراجها خارج تلك المعابد انظر: معابد الكفار وأحكامها لإبراهيم الفهيد (ص/١٩٢).



وهذا مثل ما وقع للعرب في إيوان كسرى لمّا شرع الرّشيد في هدمه وجمع الأيدي عليه واتّخذ له الفؤوس وحماه بالنّار وصبّ عليه الخلّ حتّى إذا أدركه العجز ثم أقصر عن هدمه، وكذلك اتّفق للمأمون في هدم الأهرام الّتي بمصر وجمع الفعلة لهدمها فلم يحل بطائل، وشرعوا في نقبه فانتهوا إلى جوّ بين الحائط والظّاهر وما بعده من الحيطان وهنالك كان منتهى هدمهم[1].

فإذا علمت أخي الكريم: ما امتازت به هذه التماثيل من قوة وصلابة، فكيف نريد من الصحابة رضي الله عنهم أن يزيلوا هذه الأجسام الصلبة والكتل الصخرية بسيوفهم البيضاء وأسلحتهم الأولية، وقد علمنا أنهم كانوا يحاصرون العدو وهم في قصورهم الأيام العديدة ولا يستطيعون ثقب الجدار، ولو رجعنا للأعوام الماضية ورأينا كيف بذلت طالبان من جهد لتحطيم بوذا وهم في عصر التقنيات، فكيف بالأسلحة القديمة.

❁ **الوجه الثامن:** أن الذي أمر بكسر التماثيل والأصنام هو الذي قيدها بالاستطاعة قال رسول الله ﷺ «وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ»[2] وهذا من سماحة ديننا الإسلامي.

---

(١) انظر: تاريخ ابن خلدون (١/١٣).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب: الاعتصام بالكتاب والسنة، باب: الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ (٦) رقم (٦٨٥٨) واللفظ له، ومسلم: كتاب: الفضائل، باب: وجوب امتثال ما قاله شرعا.. (٢) رقم (١٣٣٧).




قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[2].

فالله سبحانه جعل القيام ركناً في الصلاة لا تصح الصلاة بتركه ولو سهواً مع القدرة عليه، ومع ذلك إذا لم يستطع المصلي القيام رخص له أن يصلى قاعداً، كذلك أسقط الله الصيام عن الشيخ الكبير الذي لا يطيق الصيام والمريض المزمن وأمرهم بالإطعام وأمر بالحج وقيده بالاستطاعة.

فإذا كانت هذه أركان الإسلام ولم يكلف الله فيها المسلم ما لا يطيق فكيف بغيرها ؟!.

وعليه ومن خلال ما سبق فإنه قد ثبت لدينا بما لا يدع مجالاً للشك ضعف هذه الروايات التي شوهت تاريخ الصحابي الجليل عمرو ابن العاص رضي الله عنه، وكل من عرف مجتمع الصحابة معرفة حقيقية يجزم ببطلان ما نسب إليه زوراً وبهتاناً قبل أن يقرأ ما يبطل زيفها، لأن الصحابة رضي الله عنهم هم أفضل الناس بعد الأنبياء، اصطفاهم الله لصحبة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، فهم أبر هذه الأمة قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، وأقومها هدياً، وأحسنها حالاً، وهم قدوة الشعوب في كل جيل، وأئمة الناس في كل ما يصلح شؤونهم من دين ودنيا، وعلم وحكمة، وأدب وفضيلة، وبذل وفداء، كيف لا يكونوا كذلك ومعلمهم ومؤدبهم أفضل

(١) سورة البقرة من الآية (٢٨٦).

(٢) سورة الحج من الآية (٧٨).



الخلق وسيد ولد آدم محمد صلوات ربي وسلامه عليه، ويكفي أن الله سبحانه زكاهم من فوق سبع سمواته، ووعدهم بالحسنى وهي الجنة[1].

وعمرو رضي الله عنه أحد الصحابة وهو ممن قال الله فيه وكلاً وعد الله الحسنى، فمن رابه شيء في سيرة هذا الصحابي الجليل فليقل كما قاله صلى الله عليه وآله وسلم «أَسْلَمَ النَّاسُ وَآمَنَ عَمْرُو بْنُ العَاصِ».

** ** **

(١) تقدم بيان مكانة الصحابة رضي الله عنهم (ص/٢٩).



الخاتمة

وبعد هذا العرض المتواضع أشكر المولى سبحانه وتعالى أن وفقني للبحث في هذا المجال العظيم مجال الدفاع عن الصحابة الكرام رضي الله عنهم ، فله سبحانه وتعالى الحمد على توفيقه وتسديده، وأسأله سبحانه المزيد من فضله ونواله، وأن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم.

ثم إنه يجدر بي أن أختمها بأهم النتائج التي توصلت إليها، ثم أعقبها بالتوصيات المتعلقة بالموضوع:

*** النتائج:**

- الصفات الحميدة والأخلاق الرفيعة منها ما تكون سجية في المرء، ومنها ما تكتسب من بيئة مجتمعه، وأفراد قبيلته.

- من الظلم تحميل الأبناء جرم والديهم، أو تعييرهم به.

- الأصل أن من ثبت إسلامه، أو عدالته، أو فضله بيقين؛ لا يزول عنه ذلك إلا بيقين.

- ليس من العدل أن ينسب لشخص ما أمراً بدون بينة صحيحة.

- حرص المسلم على تطبيق السنن حين احتضاره من دلالة توفيق الله له.



- استعمال النبي ﷺ لشخص ما من الصحابة في بعض المهام دليل على فضل ذللك الصحابي وعدالته.

- الصحابة رضي الله عنهم كلهم عدول ويتفاوتون في الدرجة.

- من أراد أن يتوصل إلى نتيجة صحيحة من خلال دراسته لعصر من عصور التاريخ؛ عليه أن يدرسه بطبيعة ذلك العصر وأخلاقه لا بطبيعة وأخلاق عصر آخر.

- تتغير طبيعة المجتمع من حين لآخر لأسباب منها تغير البيئة، وطبيعة السلطان.

- المعرفة بطبيعة مجتمع ما وأخلاقه؛ تمنح صاحبها البصيرة بسبر الأخبار المشاعة عنه.

- من أسباب حصول الفتن؛ الفهم الخاطئ، والجهل، والحقد، والحسد.

- حفظ اللسان من أهم سبل النجاة في زمن الفتن.

- بسبب الفتن التي حصلت بين الصحابة أثيرت شبه حول بعضهم، منهم عمرو بن العاص رضي الله عنه، وهذه الشبه المثارة حوله تندرج تحت خمسة أقسام:

القسم الأول: شبهات تتعلق بنسبه رضي الله عنه.

والقسم الثاني: شبهات تتعلق بعدالته رضي الله عنه.

والقسم الثالث: شبهات حول علاقته بالنبي ﷺ.



والقسم الرابع: شبهات حول علاقته بالصحابة رضي الله عنه.

والقسم الخامس: شبهات حول فتحه لمصر وحكمه لها، وعلاقته بأهلها عموماً والأقباط خصوصاً.

- جميع هذه الشبه ـ البالغ عددها ستة عشر ـ بعيدة كل البعد عن هذا الصحابي الجليل بل لا تمت إليه بصلة فهي بين ضعيف لا يصح إسناده وهو الغالب، أو صح سنده ولكن حمل معناه على معنى غير مراد يفطن له من عنده أدنى مسكة من علم، أو معرفة بمجتمع الصحابة رضي الله عنهم الذين زكاهم الله من فوق سبع سموات ورحم الله عبد الله بن المبارك إذ يقول: الإِسْنَادُ مِنَ الدِّينِ وَلَوْلاَ الإِسْنَادُ لَقَالَ مَنْ شَاءَ مَا شَاءَ. وقال بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْقَوَائِمُ. يَعْنِى الإِسْنَادَ[1].

- وأخيراً قد لا أكون استقصيت جميع الشبه ـ المثارة حول الصحابي الجليل ـ مما لها ذكر في كتب السنة المعتمدة، لكن إن وجدتَ شيئاً منها فهي كسابقتها، وقد وضعتُ لك الخطوط؛ فبادِ بَيْنَ الخَيْطَيْنِ واعرف الأمثال والأشباه.

وفي الأخير لا يسعني إلا أن أعترف بالقصور والتقصير في الدفاع عن هذه الشخصية الفذة، وإنما سيرته الخالدة وأقواله التاريخية هي من يجيب عما يثار حوله ويراد المساس بجنابه؛ والله بأسمائه الحسنى أسأل وصفاته العليا أتوسل أن يسلك بنا سبل مرضاته وطريق أوليائه،

(١) مقدمة صحيح مسلم (ص/١٥).



وهو حسبي ونعم الوكيل؛ سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

*** التوصيات:**

- التعاون بين العلماء والباحثين في كتابة الأبحاث المتعلقة بالصحابة وذلك بذكر فضائلهم، والثناء المتبادل بينهم، ودحض ما يثار حولهم.

- تحقيق كتب التواريخ والسير لبيان الأحاديث والأثار والقصص الضعيفة والموضوعة التي تتعلق بالصحابة رضوان الله عليهم.

- على الكاتب والخطيب والواعظ ـ عند حديثه عن الصحابة ـ أن يتنبه من ذكر الأحاديث والآثار والقصص الضعيفة والموضوعة التي تمس بجنابهم.

- توعية المجتمع بحب جميع الصحابة والترضي عنهم، وبيان فضلهم، وخطورة تنقصهم؛ وذلك من خلال الندوات وتوزيع الكتب والأشرطة المتعلقة بهذا الموضوع.

** ** **

قائمة المصادر والمراجع

١ ـ الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. الهيئة المصرية العامة للكتاب عام ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م.

٢ ـ آثار مصر القديمة في كتاب الرحالة والعرب والأجانب جيلان عباس. تقديم مختار السّويفي. الدار المصرية اللبنانية.

٣ ـ أحاديث أم المؤمنين عائشة لمرتضى العسكري. دار التوحيد (ط٥) عام ١٤١٤هـ.

٤ ـ الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان لعلاء الدين بن بلبان الفارسي. تحقيق شعيب الأرنؤوط. مؤسسة الرسالة عام ١٤١٨هـ.

٥ ـ أحكام القرآن لأبي بكر بن العربي. راجع أصوله محمد عبد القادر عطا. دار الكتب العلمية. بيروت: لبنان (ط٣) عام ١٤٢٤ هـ ـ ٢٠٠٣ م.

٦ ـ أحكام أهل الذمة لابن القيم. تحقيق: يوسف بن أحمد البكري ـ شاكر بن توفيق العاروري. دار رمادى: الدمام. عام ١٤١٨ ـ ١٩٩٧ م.

٧ ـ أخبار الزمان ومن أباده الحدثان، وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران لأبي الحسن علي بن الحسين المسعودي. دار الأندلس: بيروت عام: ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

٨ ـ أخبار العلماء بأخيار الحكماء لأبي الحسن علي بن يوسف



القفطي تحقيق إبراهيم شمس الدين. دار الكتب العلمية: بيروت. عام ١٤٢٦ هـ ـ ٢٠٠٥ م

٩ ـ الأخبار الطوال للدينوري. وثق أصوله محمد الحاج علي. عام ١٤٢١هـ.

١٠ ـ أخبار مكة للفاكهي في قديم الدهر وحديثه. تحقيق د. عبد الملك عبد الله دهيش. دار خضر: بيروت.

١١ ـ الاختيار لتعليل المختار لعبد الله بن محمود بن مودود الموصلي الحنفي. تحقيق: عبد اللطيف عبد الرحمن. دار الكتب العلمية: بيروت (ط٣) عام ١٤٢٦ هـ ـ ٢٠٠٥م.

١٢ ـ الأدب المفرد للإمام البخاري. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. دار البشائر الإسلامية: بيروت (٤ط) عام ١٤١٧ هـ ـ ١٩٩٧م.

١٣ ـ إرواء الغليل لناصر الدين الألباني. المكتب الإسلامي عام ١٤٠٥ هـ.

١٤ ـ الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر تحقيق عادل عبد الموجود وعلي معوض طبعة دار الكتب العلمية. عام١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٥م.

١٥ ـ أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير تحقيق علي معوض. دار الكتب العلمية.

١٦ ـ الإسقاط في مناهج المستشرقين والمبشرين للدكتور شوقي أبو خليل، دار الفكر المعاصر: بيروت.



١٧ ـ الإصابة في تميز الصحابة لابن حجر، دار الكتب العلمية. عام ١٤١٥هـ.

١٨ ـ أصول السرخسي تحقيق أبي الوفاء الأفغاني دار الكتاب العلمية.

١٩ ـ الأعلام للزركلي دار العلم للملايين (ط٨) عام ١٩٨٩م.

٢٠ ـ الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء لسليمان بن موسى الكلاعي الأندلسي تحقيق: د. محمد كمال. عالم الكتب عام١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

٢١ ـ الإمامة والسياسة لابن قتيبة الدينوري. تحقيق خليل المنصور. دار الكتب العلمية. عام ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

٢٢ ـ الأمثال لأبي عبيد بن سلام (الشاملة).

٢٣ ـ أنساب الأشراف للبلاذري. تحقيق الزكار والزركلي. دار الفكر بيروت ١٤١٧هـ.

٢٤ ـ الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام أحمد بن حنبل للمرداوي. دار إحياء التراث العربي: بيروت. عام ١٤١٩هـ.

٢٥ ـ الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به لأبي بكر الباقلاني (الشاملة).

٢٦ ـ بحار الأنوار للمجلسي دار إحياء التراث العربي: بيروت.

٢٧ ـ بداية المبتدي للمرغيناني. مكتبة ومطبعة محمد علي صبح: القاهرة.



٢٨ ـ البداية والنهاية للحافظ إسماعيل بن عمر بن كثير. تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي. دار هجر. عام ١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٧ م.

٢٩ ـ البدر المنير في تخريج الأحاديث والأثار الواقعة في الشرح الكبير لابن الملقن. تحقيق: مصطفى أبو الغيط وعبد الله بن سليمان وياسر بن كمال. دار الهجرة: الرياض. عام: ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

٣٠ ـ بيان الوهم والإيهام في كتاب الأحكام لأبي الحسن بن القطان تحقيق: د. الحسين آيت دار طيبة: الرياض. عام ١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٧م.

٣١ ـ بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع للكاساني. دار الكتب العلمية (ط٢) عام ١٤٠٦هـ.

٣٢ ـ البرهان في علوم القرآن للزركشي. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه. عام ١٣٧٦هـ ـ ١٩٥٧م.

٣٣ ـ تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي. دار الهداية.

٣٤ ـ التاج والإكليل لمختصر خليل لابن المواق. دار الكتب العلمية. عام ١٤١٦هـ.

٣٥ ـ تاريخ ابن خلدون، تحقيق: خليل شحادة. دار الفكر: بيروت (ط٢) عام ١٤٠٨ هـ.

٣٦ ـ تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام للذهبي تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري. دار الكتاب العربي: بيروت. عام ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.




٣٧ ـ تاريخ الأمة القبطية ليعقوب نخلة روفيله. مطبعة متروبول (ط٢) عام٢٠٠٠م.

٣٨ ـ تاريخ الأمم والملوك لابن جرير الطبري دار التراث: بيروت (ط٢) ١٣٨٧ هـ.

٣٩ ـ تاريخ العالم القديم يوحنا النقيوسي.

٤٠ ـ التاريخ الكبير للبخاري. دار الكتب العلمية.

٤١ ـ تاريخ المدينة النبوية لابن شبه. تحقيق: فهيم محمد شلتوت. دار الفكر عام١٧٣ هـ.

٤٢ ـ تاريخ مصر من خلال مخطوطة البطاركة لساويرس ابن المقفع. تحقيق عبدالعزيز جمال الدين. مكتبة مدبولي. عام ٢٠٠٦م.

٤٣ ـ تاريخ دمشق لابن عساكر. دار الفكر. تحقيق: العمروي. عام١٤١٨ هـ.

٤٤ ـ تاريخ عمرو بن العاص د. حسن إبراهيم حسن مكتبة مدبولي ـ القاهرة عام١٩٩٦م.

٤٥ ـ تاريخ مولد العلماء ووفياتهم لابن زبر الربعي تحقيق د. عبد الله الحمد. دار العاصمة. عام١٤١٠ هـ.

٤٦ ـ تاريخ وآثار مصر الاسلامية من الفتح العربي وحتى نهاية العصر الفاطمي للدكتور أحمد عبدالرزاق. دار الفكر العربي: القاهرة عام١٤٢٠ هـ ـ ١٩٩٩م.

٤٧ ـ تاريخ وحضارة مصر القديمة للدكتور سمير أديب. مكتبة




الاسكندرية. عام١٩٩٧م.

٤٨ ـ تحذير العبقري من محاضرات الخضري لمحمد العربي التباني. دار الكتب العلمية عام ١٣٧٤ هـ ـ ١٩٥٥م.

٤٩ ـ تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة من روايات الإمام الطبري والمحدثين للدكتور محمد أمحزون دار طيبة. عام: ١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٦م.

٥٠ ـ تفسير ابن أبي حاتم تحقيق: أسعد محمد الطيب. المكتبة العصرية.

٥١ ـ تقسير القرآن العظيم لابن كثير. تحقيق سامي بن محمد سلامة. دار طيبة (ط٢) ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

٥٢ ـ تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر العسقلاني. تحقيق محمد عوامة، دار الرشيد. عام ١٤٢٠ هـ ـ ١٩٩٩م.

٥٣ ـ تهذيب الكمال للمزي. تحقيق: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة. عام ١٤١٣ هـ ـ ١٩٩٢م.

٥٤ ـ تهذيب اللغة للأزهري. تحقيق عبدالسلام هارون، الدار المصرية.

٥٥ ـ الثقات لابن حبان. طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد، الدكن ـ الهند، الطبعة الأولى عام ١٤٢٠ هـ ـ ١٩٨٢ م.

٥٦ ـ جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير المحقق: أحمد محمد شاكر. مؤسسة الرسالة. عام ١٤٢٠ هـ ـ ٢٠٠٠ م.

٥٧ ـ جامع التحصيل في أحكام المراسيل للعلائي تحقيق حمدي




السلفي. عالم الكتب: بيروت. (ط٢) عام ١٤٠٧ هـ.

٥٨ ـ الجامع الكبير للإمام الحافظ أبي عيسى الترمذي. تحقيق: بشار عواد معروف. دار الغرب الإسلامي: بيروت. عام ١٩٩٦م.

٥٩ ـ جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر دراسة وتحقيق: فواز أحمد زمرلي. مؤسسة الريان ـ دار ابن حزم. عام ١٤٢٤ ـ ٢٠٠٣ هـ.

٦٠ ـ الجامع لأحكام القرآن للقرطبي. تحقيق: هشام سمير البخاري دار عالم الكتب: الرياض. ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م

٦١ ـ الجرح والتعديل لابن أبي حاتم، تحقيق المعلمي، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند. عام ١٣٧٢هـ ـ ١٩٥٢م.

٦٢ ـ جواهر المطالب في مناقب الإمام علي لابن الدمشقي. تحقيق الشيخ محمد باقر المحمودي. مطبعة پاسدار إسلام: قم ـ ايران ـ. عام ١٤١٦هـ.

٦٣ ـ الحاوي الكبير للماوردي. دار الفكر: بيروت.

٦٤ ـ الحضارة العربية لجاك ريسْلر. تعريب الدكتور خليل أحمد. منشورات عويدات. بيروت عام ١٩٩٣م.

٦٥ ـ حكم شهادة الكفار وإقرارهم بأنسابهم للصنعاني. تحقيق عبد الله عجمي ووليد عبدالحق. دار نسائم: صنعاء ـ اليمن ـ.

٦٦ ـ حلية الأولياء وطبقات الأتقياء لأبي نعيم الأصبهاني. طبعة دار الكتاب العربي، بيروت (ط٣) عام ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠م.



٦٧ ـ حياة الحيوان الكبرى لأبي البقاء الدميري. دار الكتب العلمية. عام ١٤٢٤ هـ.

٦٨ ـ الخراج لأبي يوسف. تحقيق: طه عبد الرؤوف، سعد حسن. المكتبة الأزهرية للتراث.

٦٩ ـ دراسة نقدية في المرويات الواردة في شخصية عمر بن الخطاب وسياسته الإدارية ﵁ لعبد السلام بن محسن آل عيسى. عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة. عام ١٤٢٣ هـ/٢٠٠٢م.

٧٠ ـ الرحيق المختوم للمباركفوري. دار إحياء التراث العربي (ط٢) ١٤٢٠ هـ.

٧١ ـ الروض المربع شرح زاد المستنقع للبهوتي. تحقيق: سعيد محمد اللحام. دار الفكر بيروت.

٧٢ ـ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لشهاب الدين الآلوسي تحقيق: على عبد الباري عطية. دار الكتب العلمية. عام ١٤١٥ هـ.

٧٣ ـ روضة الطالبين وعمدة المفتين للنووي. تحقيق: زهير الشاويش. المكتب الإسلامي، بيروت (ط٣) عام ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م.

٧٤ ـ الرياض النضرة في مناقب العشرة للمحب الطبري دار الكتب العلمية عام ١٤٠٥ هـ.

٧٥ ـ الزهد لابن المبارك تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي دار الكتب العلمية ـ بيروت.



٧٦ ـ السلسلة الصحيحة للألباني. مكتبة المعارف: الرياض. عام١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٥م.

٧٧ ـ السلسلة الضعيفة للألباني. مكتبة المعارف: الرياض ١٤٢٥ هـ.

٧٨ ـ السنة لأبي بكر الخَلَّال تحقيق: د. عطية الزهراني. دار الراية: الرياض. عام ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م.

٧٩ ـ سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، طبعة دار الفكر.

٨٠ ـ سنن أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني. دار الكتاب العربي - بيروت.

٨١ ـ السنن الكبرى للبيهقي. نشر مجلس دائرة المعارف النظامية: الهند ببلدة ـ حيدر آباد ـ عام ١٣٤٤ هـ.

٨٢ ـ سنن الكبرى للنسائي. تحقيق: د. عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية عام ١٤١١ هـ ـ ١٩٩١م.

٨٣ ـ سؤالات مسعود بن علي السجزي مع أسئلة البغداديين عن أحوال الرواة للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري تحقيق: موفق بن عبد الله بن عبد القادر. دار الغرب الإسلامي: بيروت عام ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

٨٤ ـ سير أعلام النبلاء للذهبي، طبعة مؤسسة الرسالة (ط١١) عام ١٤١٧هـ.



٨٥ ـ السيرة النبوية لابن هشام تحقيق طه عبد الرؤوف سعد. دار الجيل عام ١٤١١ هـ.

٨٦ ـ شرح السنة للبغوي. تحقيق شعيب الأرنؤوط ومحمد زهير الشاويش. المكتب الإسلامي. عام ١٣٩٦ هـ ـ ١٩٧٦م.

٨٧ ـ شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين. دار ابن الجوزي: السعودية (٤) عام ١٤٢٤هـ.

٨٨ ـ الشرح الكبير لأبي البركات أحمد بن محمد العدوي، الشهير بالدردير، إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاء.

٨٩ ـ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه.

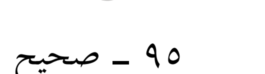
٩٠ ـ الشريعة للآجري. تحقيق: الدكتور عبد الله الدميجي. دار الوطن (ط٢).

٩١ ـ صبح الأعشى في صناعة الإنشاء للقلقشندي. دار الكتب العلمية: بيروت.

٩٢ ـ الصحابة ومكانتهم عند المسلمين لمحمود عيدان أحمد الدليمي. رسالة ماجستير (الشاملة).

٩٣ ـ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري. تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين: بيروت (ط٤) عام ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

٩٤ ـ صحيح البخاري. تحقيق: د. مصطفى ديب البغا. دار ابن كثير: بيروت (ط٣) عام ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧م.

٩٥ ـ صحيح مسلم. تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي. دار إحياء التراث العربي بيروت.

٩٦ ـ صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته للألباني. المكتب الإسلامي. (ط٣) عام ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٩٨م.

٩٧ ـ صفوة الصفوة لابن الجوزي تحقيق: محمود فاخوري ـ د. محمد قلعه جي. دار المعرفة: بيروت (ط٣) عام ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥م.

٩٨ ـ الضعفاء والمتروكين لابن الجوزي. تحقيق عبد الله القاضي. دار الكتب العلمية عام ١٤٠٦ هـ.

٩٩ ـ طبقات الحنابلة أبو الحسين ابن أبي يعلى. تحقيق: محمد حامد الفقي. دار المعرفة: بيروت.

١٠٠ ـ الطبقات الكبرى لابن سعد. تحقيق إحسان عباس. دار صادر: بيروت. عام ١٩٦٨م.

١٠١ ـ طبقات خليفة بن خياط تحقيق: د. أكرم ضياء العمري. دار طيبة: الرياض (ط٢) عام ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢م.

١٠٢ ـ عبقرية عمر عباس العقاد. دار نهضة مصر. عام ١٩٩٨ م.

١٠٣ ـ العقيدة رواية أبي بكر الخلال لأحمد بن محمد بن حنبل الشيباني. تحقيق: عبد العزيز السيروان. دار قتيبة: دمشق. عام ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨م.

١٠٤ ـ عمرو بن العاص للدكتور نظمي لوقا. مكتبة غريب.

١٠٥ ـ العواصم من القواصم لابن العربي المالكي. تحقيق محب الدين



الخطيب ـ ومحمود مهدي الإستانبولي. دار الجيل: بيروت. (ط٢) عام ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

١٠٦ ـ العيال لابن أبي الدنيا. تحقيق: د نجم عبد الرحمن خلف. دار ابن القيم: الدمام. عام ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

١٠٧ ـ غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام للألباني. المكتب الإسلامي: بيروت (ط٣) عام ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠م.

١٠٨ ـ الغدير للأميني. دار الكتاب العربي: بيروت (ط٤) عام ١٣٩٧هـ.

١٠٩ ـ غريب الحديث لا بن قتيبة تحقيق. د. عبد الله الجبوري. مطبعة العاني: بغداد. عام ١٣٩٧ هـ.

١١٠ ـ غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام. دار الكتاب العربي: بيروت.

عام ١٣٩٧ هـ ـ ١٩٦٧م.

١١١ ـ الفتاوى الحديثية لابن حجر الهيتمي. دار الفكر.

١١٢ ـ فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر. مؤسسة مناهل العرفان. عام ١٤٢١ هـ.

١١٣ ـ فتح العرب لمصر لبتلر تعريب محمد فريد. مكتبة الدبولي: القاهرة. (ط٢) عام ١٤١٦ هـ ـ ١٩٩٦م.

١١٤ ـ فتح مصر للدكتور جمال عبدالهادي. دار الطباعة والنشر الإسلامية. مكتب القاهرة.



١١٥ ـ فتوح مصر وأخبارها لابن عبد الحكم تحقيق: محمد صبيح. مكتبة مدبولي. القاهرة.

١١٦ ـ الفروق أو أنوار البروق في أنواء الفروق للقرافي. تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية: بيروت عام ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م.

١١٧ ـ الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم: مطبعة التمدن: القاهرة١٣٢١ هـ.

١١٨ ـ فضائل الصحابة للإمام أحمد بن حنبل تحقيق: د. وصي الله محمد عباس. مؤسسة الرسالة: بيروت. عام١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م.

١١٩ ـ الكامل في التاريخ لابن الأثير. تحقيق عمر عبدالسلام تدمري. الكتاب العربي: بيروت عام ١١٤٢٢ هـ ـ ٢٠٠١م.

١٢٠ ـ الكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي. تحقيق عادل عبد الموجود وعلي معوض. طبعة دار الكتب العلمية.

١٢١ ـ كتاب الفتن لنعيم بن حماد. تحقيق: سمير أمين الزهيري. مكتبة التوحيد: القاهرة ١٤١٢ هـ ـ ١٩٩٢م.

١٢٢ ـ كتاب الفتوح لابن أعثم. دار الأضواء. عام ١٤١١ هـ.

١٢٣ ـ كتاب جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري. تحقيق: محمد أبو الفضل وعبد المجيد قطامش. دار الفكر (ط٢) عام ١٩٨٨ م.

١٢٤ ـ كشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي تحقيق: علي حسين البواب. دار الوطن: الرياض. عام ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

١٢٥ ـ لسان العرب لابن منظور. دار صادر: بيروت. عام ١٤١٠ هـ ـ ١٩٩٠م.

١٢٦ ـ لسان الميزان لابن حجر. دار الكتاب الإسلامي.

١٢٧ ـ متن الطحاوية للطحاوي (الشاملة).

١٢٨ ـ المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين لابن حبان البستي. تحقيق محمود ابراهيم زايد. دار المعرفة: بيروت.

١٢٩ ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي. تحقيق الدرويش دار الفكر: بيروت عام ١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٤م.

١٣٠ ـ مجموع الفتاوى لابن تيمية. جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم. مؤسسة قرطبة.

١٣١ ـ المجموع شرح المهذب للنووي. دار الفكر.

١٣٢ ـ المحكم والمحيط لابن سيده. تحقيق هنداوي. دار الكتب العلمية ١٤٢١ هـ٢٠٠٠م.

١٣٣ ـ مختار الصحاح للرازي تحقيق: محمود خاطر. مكتبة لبنان: بيروت عام ١٤١٥هـ.

١٣٤ ـ المخصص لا بن سيده تحقيق: خليل إبراهم جفال. دار إحياء التراث العربي: بيروت. عام ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

١٣٥ ـ المدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي. تحقيق: الأعظمي. دار الخلفاء للكتاب الإسلامي: الكويت.

١٣٦ ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودي. تحقيق: عبد الأمير مهنا. مؤسسة الأعلمي: بيروت. عام١٤١١ هـ ـ ١٩٩١م.

١٣٧ ـ المستدرك على الصحيحين لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري.



تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. دار الكتب العلمية: بيروت. عام ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م.

١٣٨ ـ المستقصى في أمثال العرب لأبي القاسم محمود بن عمر للزمخشري. دار الكتب العلمية: بيروت (ط٢) عام ١٩٨٧م.

١٣٩ ـ مسند أبي حنيفة لأبي نعيم الأصبهاني تحقيق: نظر محمد الفاريابي. مكتبة الكوثر: الرياض. عام ١٤١٥ هـ.

١٤٠ ـ مسند أبي داود الطيالسي تحقيق التركي. دار هجر.

١٤١ ـ مسند أبي يعلى الموصلي. طبعة دار المأمون للتراث. تحقيق حسين سليم أسد. عام ١٤٠٤ هـ.

١٤٢ ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل. تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون. مؤسسة الرسالة (ط٢) عام ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

١٤٣ ـ مسند البزار. تحقيق: د محفوظ الرحمن. مكتبة العلوم والحكم: المدينة. عام ١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٤م.

١٤٤ ـ مسند الروياني. تحقيق أيمن أبو يماني. مؤسسة قرطبة: القاهرة. عام ١٤١٦ هـ.

١٤٥ ـ المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للفيومي. المطبعة الأميرية بالقاهرة (ط٥).

١٤٦ ـ المصنف في الأحاديث والآثار لابن أبي شيبة. تحقيق عامر العمري الأعظمي. الدار السلفية. عام ١٤٠٣ هـ.



١٤٧ ـ معجم البلدان ياقوت بن عبد الله الحموي. تحقيق: فريد الجندي. دار الكتب العلمية. ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

١٤٨ ـ معجم الصحابة لابن قانع. تحقيق: صلاح بن سالم المصراتي. مكتبة الغرباء الأثرية.

١٤٩ ـ المعجم الكبير للطبراني. تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي. مكتبة ابن تيمية.

١٥٠ ـ المعجم الوسيط. دار إحياء التراث العربي (ط٢).

١٥١ ـ معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع لأبي عبيد البكري الأندلسي تحقيق: مصطفى السقا. عالم الكتب.

١٥٢ ـ معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. طبعة دار الفكر. عام ١٣٩٩ هـ.

١٥٣ ـ معرفة الصحابة لأبي نعيم. تحقيق: عادل العزازي. دار الوطن (الرياض) عام ١٤١٩ هـ ـ ١٩٩٨ م.

١٥٤ ـ المعرفة والتاريخ للفسوي. تحقيق: د. أكرم ضياء. مكتبة الدار: المدينة. عام ١٤١٠هـ.

١٥٥ ـ المغازي للواقدي. تحقيق: د. مارسدن جُونس عالم الكتاب (ط٣) عام ١٤٠٤هـ.

١٥٦ ـ مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج للخطيب الشربيني. دار الكتب العلمية عام ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.

١٥٧ ـ المغني في الضعفاء للذهبي. تحقيق الدكتور نور الدين عتر.



١٥٨ ـ المغني لابن قدامة المقدسي. دار الفكر: بيروت. عام ١٤٠٥هـ.

١٥٩ ـ المفصل في شرح آية لا إكراه في الدين. جمع وإعداد الباحث علي بن نايف الشحود (الشاملة).

١٦٠ ـ المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة السَّخاوي. تحقيق محمد عثمان. دار الكتاب العربي (ط٣) عام ١٤١٧ هـ ـ ١٩٩٦م.

١٦١ ـ المنمق في أخبار قريش محمد بن حبيب البغدادي. طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية: بحيدر آباد ـ الهند ـ.

١٦٢ ـ منهاج السنة النبوية شيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق: د. محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة. عام ١٤٠٦ ـ ١٩٨٦ م.

١٦٣ ـ المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي. دار إحياء التراث العربي. بيروت (ط٢) عام ١٣٩٢ هـ.

١٦٤ ـ المواعظ والاعتبار المقريزي. تحقيق: محمد زينهم. مكتبة مدبولي: القاهرة.

١٦٥ ـ مواقف الشيعة للأحمدي الميانجي. مؤسسة النشر الإسلامي. عام ١٤١٦هـ.

١٦٦ ـ مواهب الجليل لشرح مختصر الخليل للحطاب الرُّعيني. تحقيق: زكريا عميرات. دار عالم الكتب. عام ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣م

١٦٧ ـ المؤتلف والمختلف الدارقطني. تحقيق: موفق بن عبد الله بن



عبد القادر. دار الغرب الإسلامي: بيروت عام: ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م.

١٦٨ ـ الموضوعات لابن الجوزي تحقيق نور الدين شكري. مكتبة أضواء السلف: الرياض. عام ١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٧م.

١٦٩ ـ ميزان الاعتدال للذهبي. تحقيق: الشيخ علي معوض ـ والشيخ عادل عبد الموجود. دار الكتب العلمية. عام ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.

١٧٠ ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن تغري الاتابكي. وزارة الثقافة والإرشاد القومي. دار الكتب: مصر.

١٧١ ـ نسب قريش لمصعب الزبيري. دار المعارف (ط٣).

١٧٢ ـ نفحات من منبر رسول الله ﷺ للثبيتي. دار طيبة: مكة المكرمة (ط٢) عام ١٤٢٣ هـ.

١٧٣ ـ نهاية الأرب في فنون الأدب لشهاب الدين أحمد النويري. المؤسسة المصرية العامة. عام ١٤٢٤ هـ ـ ٢٠٠٤ م.

١٧٤ ـ النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير. تحقيق: خليل شيحا. دار المعرفة: بيروت. عام ١٤٢٢ هـ ـ ٢٠٠١م.

١٧٥ ـ هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى لابن القيم. تحقيق: أحمد السقا. دار الريان.

١٧٧ ـ وقعة صفين لابن مزاحم المنقريي. تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون المؤسسة العربية الحديثة (ط٢) ١٣٨٢ هـ.

** ** **



فهرس الآيات






الآية	الصفحة
﴿وَإِن يُرِيدُواْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ﴾	٢٩
﴿وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون﴾	٢٣٨
﴿وَجَاءتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾	٢٣٦
﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمْ الْبَاقِينَ﴾	٣١٦
﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ﴾	٣١٣
﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً﴾	٤٢
﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ﴾	٧٩
﴿وليست التوبة للذين يعملون السيئات﴾	٢٣٠
﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾	٣١٨
﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾	٣٧٦
﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ﴾	٣٢
﴿ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً﴾	٢١١، ٢٩١
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾	١٥
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا﴾	١٥
﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾	٣١٤
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾	١٥

** ** **



فهرس الأحاديث




الحديث	الصفحة
«تَخْرُجُ عُنُقٌ مِنَ النَّارِ»	٣٧٢
«تَمْرُقُ مَارِقَةٌ فِي فُرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ	٦٧، ٢٩٥
«خُذْ مِنْهُنَّ أَرْبَعًا»	١٩١
«خَرَجْتُ مِنْ لَدُنْ آدَمَ مِنْ نِكَاحٍ غَيْرِ سِفَاحٍ»	١٩١
«خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي»	٣٤، ٤٤
«عمرو بن العاص من صالحي قريش»	١٢٧
«فَجَحَدَ آدَمُ فَجَحَدَتْ ذُرِّيَّتُهُ»	٧٩
«قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ»	٣٧١
«مَا أَغْبِطُ أَحَدًا بِهَوْنِ مَوْتٍ»	٢٤١
«ما له ترب جبينه»	٢٦٥
«مَا مِنْ أَمِيرٍ يَلِي أَمْرَ الْمُسْلِمِينَ ثُمَّ لاَ يَجْهَدُ لَهُمْ»	٢٧٠
«مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللَّهُ رَعِيَّةً»	٢٧٠
«مات النبي ﷺ وإنه لبين حاقنتي»	٢٤٠
«مَنْ ذَبَّ عَنْ لَحْمِ أَخِيهِ بِالْغِيبَةِ»	١٨
«مَنْ سَبَّ أَصْحَابِي فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ»	٣٤
«وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ»	٣٧٥
«وجعل الذل والصغار على من خالف أمري»	١٦
«ولا تُتبع الجنازة بصوت ولا نار»	٢٣٤



** ** **

فهرس الآثار



الأثر	الصفحة

❊❊ ❊❊ ❊❊